

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة - مكة المكرمة
قسم الدراسات العليا
فرع اللغات والسنن

خوارق العادات في القرآن الكريم

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب
٢١٤٦ هـ
عبد الرحمن بن صالح عبد العزيز المحمدي



إشراف الدكتور

محمد عبد المنعم الفيضي

١٤٩

١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ

المقدمة
~~~~~

الحمد لله الذى خلق الكون بقدرته واودع فيه سر حكته . يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فسيحان الذى بيده ملكوت كل شىء " واليه ترجعون " .  
ثم الصلاة والسلام على نبينا محمد الذى نزل عليه قول ربه " وبالحق انزلناه وبالحق نزل " .

وبعد :

فلقد كنت افكر مليا عندما اردت ان اختار موضوعا لا كتب فيه رسالة تتعلق بالقرآن الكريم فاستعرضت انوعا من مباحث القرآن ووجدت ان مامن نوع الا قد كتب فيه وخاض العلماء عليه ثم اجلت النظر فى كتاب الله تعالى فلفت انتباهى تلك الخوارق المبهوثة فى ثناياه وطمت ظم العقين ان كتاب الله لم يكن موطنا للحشو واشباح الفرائز بالخيال ، بل هو نور وهدى للناس فاستيقنت ان تلك الخوارق قد حوت اسرارا كثيرة وحكما بالغة ، وقد كان هذا الموضوع من الصعوبة بمكان حتى لقد هممت بعدم الاقدام لصعوبته كما اسلفت ولانى لم ارا احدا كتب فيه كتابة مستقلة مما جعلنى اتهب الموضوع ثم استخرت الله وعقدت النية عليه .

وقد اخترت هذا الموضوع " خوارق المعاديات فى القرآن الكريم " لا سور

اهمها :

( ١ ) لابراره كنوانه لمباحت جديده من مباحث القرآن الكريم التي تعنى بتدبير

القرآن والاستفادة منه .

( ٢ ) لايجاد الفروق بين اهم تلك الخوارق كالمعجزة والكرامة وكذا بين

المعجزة وما قد يشبهها كالاامور السحرية والمخترعات الملمية .

( ٣ ) لتحقيقها بما يتناسب مع روح القرآن الكريم والاستفادة من مواطن

المعبر فيها .

واما منهجى فى البحث فهو على قسمين :

القسم الاول : خطة البحث :

لقد قسمت خطة هذه الرسالة الى مقدمة ومدخل للرسالة وثلاثة ابواب

وخاتمة .

( ١ ) المقدمة : وقد اشتملت على اختيار الموضوع واسباب ذلك ، ومنهجى

فى البحث .

( ٢ ) المدخل : وهو عبارة عن تمهيد وتوطئة للرسالة .

( ٣ ) الباب الاول : مباحث وتحريفات .

ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث الاول : معنى خوارق الامادات .

المبحث الثانى : الكلام على المعجزة .

- المبحث الثالث : الكلام على الكرامة .
- المبحث الرابع : الفرق بين المعجزة والكرامة .
- المبحث الخامس : الفرق بين المعجزة والسحر .
- المبحث السادس : الفرق بين المعجزة والمخترعات العلمية .
- ( ٤ ) الباب الثاني : معجزات الانبياء عليهم السلام .
- ويشتمل هذا الباب على فصلين :
- الفصل الاول : معجزات الانبياء السابقين .
- وفيه ثلاثة مباحث :
- المبحث الاول : معجزة صالح عليه السلام .
- المبحث الثاني : معجزات موسى عليه السلام .
- ( أ ) المعجزات الكبرى :
- \* معجزة العصا
- \* معجزة اليد
- ( ب ) معجزات الرجز :
- \* الطوفان
- \* الجراد
- \* القمل
- \* الضفادع

\* الدم

( ج ) معجزة الطور .

المبحث الثالث : معجزات عيسى عليه السلام .

( أ ) المعجزات العامة :

\* خلق الطير

\* ابراهيم الاكمة والابوص

\* احياء الموتى

\* الاخبار بما يأكلون وما يدخرون

( ب ) المعجزة الخاصة :

\* المائدة

الفصل الثاني : معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وفيه مبحثان :

المبحث الاول : المعجزة العقلية : ( القرآن الكريم )

المبحث الثاني : المعجزة الحسية : ( انشقاق القمر )

( ٥ ) الباب الثالث : كرامات الاولياء الواردة في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : كرامات السيدة مريم .

\* الكرامة الاولى : وجود رزقها .

\* الكرامة الثانية : ظهور حطها .

\* الكرامة الثالثة : تيرمة ابنها في المهدي لها .

المبحث الثاني : كرامة اصحاب الكهف :

\* عناية الله بهم .

المبحث الثالث : كرامة صاحب سليمان عليه السلام :

\* حضور عرش الطكة .

القسم الثاني : طريقتي في البحث .

اما بالنسبة للباب الاول : وهو تعريف معنى خرق العادة ومعنى المعجزة والكرامة وما الى ذلك . . . الى آخر الباب فقد اعتمدت في جمع مادته على كتب العقيدة الاصلية في هذا الفن وقد ارجع احيانا الى بعض المؤلفات الحديثة خصوصا فيما يتعلق بالمبحث الاخير من الباب وهو الفرق بين المعجزة والمخترعات العلمية .

اما عند الكتابة فاني اقدم تعريفا لغويا للمسألة التي اريد عرضها كالعادة، والمعجزة، والكرامة . . . . وقد اثبتها بالادلة الصحيحة من الكتاب والسنة اذا كان قد ورد عليها انكار كما هو الحال في الكرامة والسحر ويعد هذا اعراض الاراء فما رأيت موافقا للصواب اقررت وما رأيت مخالفا ناقشته ممن غير عنف ولا ميل ولا تعصب، وقد يستدعي المقام لختام المسألة بخلاصة مستخلصة كنتيجة في المسألة .

وأما بالنسبة للباب الثاني والثالث ؛ فأنى اعمد الى جمع الاينات  
التي تحدثت عن الخارقة سواء اكانت محجزة ام كرامة من القرآن الكريم  
حسب الامكان وحسب ما يقتضيه المقام ؛ ثم انظر الى الايات فاذا كانت تشمل  
على وحدة موضوعية اجريتها على الوحدة وفرقتها حسب ما تقتضيه ، واذا كانت  
الايات لا تتحمل في ثاياتها وحدة موضوعية اجريتها حسب ما تقتضيه الخارقة  
كتمريفها وبيان حقيقتها والوجهة الخارقة فيها . وفي كليهما اجمل  
الهدف الرئيسي هو نفس الخارقة ان هو محور الارتكاز ، فلا استطراد فيما  
لا يتعلق بالخارقة .

اما عند اثبات قضية او نفيها فأنى اعتمد في ذلك على الادلة  
الشرعية الثابتة واذا كانت تحتمل القضية هذا وذاك وليس ثم دليل قطعي  
فقد اعتمد في ذلك على القواعد العامة كالمصروف من اللفظة ونحوها .

وقد اورد بعض الاثار على سبيل الاستئناس لاعلى وجه الاستدلال  
خصوصا فيما يتناسب مع القواعد الشرعية وقواعد اللفظة .

ومما تجدر الاشارة اليه انه قد حفر بهذه الخوارق كثير من الروايات  
الاسرائيلية التي تتنافى مع روح القرآن وسموه ولذا فقد اسقطتها من  
الاعتبار لانها غالبا ما تكون وسيلة للدين في الاسلام وتشويهها لسمعة القرآن .

وفي الختام ارجو من القارىء الكريم ان يلتبس لي العذر عند الهفوات

والحق احق ان يتبع فما توصلت اليه من صواب فمن الله واحمده على ذلك  
وما وقعت فيه من خطأ فمن نفسي ولا يستغفر الله العظيم ، وهو الهادي الى  
سواء السبيل .



## مدخل لدراسة خوارق العادات

## في القرآن الكريم

ان ما يستدعي له المقام - عند البحث في آيات الله الخارقة - معرفة الحكمة في افعال الله تعالى وبهذه المعرفة تتميز افعاله عن افعال غيره ، ولما كان بحثنا في خوارق العادات في القرآن الكريم وكانت هذه الخوارق من فعل الله تعالى كان يجب علينا ان نكشف النقاب عن هذه المواقع .

فلقد عرف ان اي انسان من البشر اذا كان في تصرفاته وافعاله موافقا لما اصطلح عليه اهل الفطر المستقيمة والعقول السليمة فيضع كل شيء في موضعه المناسب فانه يمد عاقلا حكيمًا عند العقلاء . وبالعكس اذا كان في افعاله مخالفا لذلك فانه يحكم عليه انه فاقد العقل ناقص الادراك .

فاذا كان هذا هو من شأن البشر في تصرفاتهم وافعالهم فان الله اعلى قدرا واجل احكاما . فلا تصدر افعاله الا على وجه الحكمة والعدالة . فلا يخرق عادة الا لسبب قضت به الحكمة والعدالة . لكنه لا يلزم من عدم معرفة هذا السبب نفي الحكمة والعدالة بل ان حكمته وعدالته تعالى ثابتة في افعاله تعالى سواء عرفت للمخلوقين ام لم تعرف فانه سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

ويمد الاشارة الى ما سبق فلنفس الفرض يتحتم علينا ان نقدم نبذة من

## القرآن الكريم .

لا شك ان اى عالم يقدم كتابا فى اى فن كان ، لابد ان يعتمد على ما كتب من سبقه فى هذا الفن بالدرجة الاولى ثم يعتمد بالدرجة الثانية على معلوماته المكتسبة التى قد يكون منها الصحيح وقد يجوز عليها الخطأ ثم يخرجها فى ثوبه الجديد ويحد ذلك تبدوله نظرات وتطرق عليه غطرات تدعوه الى تهذيب هذا الكتاب وتنقيحه او الزيادة عليه او النقص منه مساهمة للتطور الفكرى ، يدلنا هذا على ان صاحب الكتاب لم يحط بالمعلومات التى اسس عليها تأليف هذا الكتاب على سبيل التقصى . كما يدلنا على انه لم يتصور ما سيؤول اليه هذا التقدم الفكرى او الحضارى او غير ذلك مما يتعلق بغير كتابه لكن كتاب الله تعالى على خلاف ذلك فقد صدر من احاط بكل شىء ، علما وقد انزله الله هدى ورحمة وشفاء لما فى الصدور وتبيانا لكل شىء ، وقد تضمن القرآن الكريم الكشف عن بعض اسرار الوجود ودعا الى التفكير فى ذلك لاسيما وانه تنزيل ممن خلق الوجود الا يعلم من خلقه وهو اللطيف الخبير . وقد اشار القرآن الكريم الى بعض هذه الاسرار الكونية لتكون دليلا على ان خالق هذا الوجود ومنزل هذا الكتاب له الخلق والامر وهو الفاعل المختار وربك يخلق ما يشاء ويختار وليس القرآن الكريم كتاب بلاغة وبيان او تاريخ وقصص او حكم واحكام فحسب بل انه كتاب كبير جليل عظيم القدر رجم الفوائد تعجز الالسنه عن وصفه وتكل الافكار عن الاحاطة به

لا تحصن فنونه ولا تمد عجائبه ، ولكننا نعلم ان الله خلق هذا الوجود ونظمه في غاية الاحكام ورتبه على نظام الاسباب والمسببات واخبرنا في كتابه المحكم عن طرف من تلك الايات التي تتضمن نقض تلك الاسباب والمسببات ولم تكن هذه الايات تخيلات واهام او اشارات وايما ، بل كانت حقائق ثابتة وآيات ظاهرة وقدرات باهرة لتدلنا من هذا الجانب على قدرة الفاعل المختار . وتكون تبيانا واضحا على ان الله جلت قدرته لا تحكمه الاسباب والمسببات ، بل هو فعال لما يريد انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كـن فيكون على انا نجد من يستثقل التسليم بحقائق هذه الايات . وما ذلك الا للتأثر بالحضارة الغربية المادية التي تجعل العقل هو الحكم الاول على جواز الاشياء ومنعها او التسليم بها او انكارها وفق حكم العقل ، ولم يؤخذ في الاعتبار ان العقل مخلوق من سائر المخلوقات ومن عادة المخلوق الضعف والقصور والعقل كسائر الحواس له حدود ينتهي اليها فلا يجوز ان يكون هو الحاكم على كل شيء .

ويعد معرفة هذا يجب ان نعرف ان البحث في خوارق المعاديات في القرآن الكريم يقتضي البحث في المعجزات والكرامات الواردة في القرآن من الوجهة الخارقة للمادة فكان لزاما علينا ان نبين الصلة بين خوارق المعاديات وبين الانبياء والاولياء فنقول ان النبوة هي اصل المعجزة والولاية هي اصل الكرامة ، فلا تحصل المعجزة الخارقة للمادة - التي هي اصل

الكرامة في الجنس - الا مع النبوة الصادقة، كما ان الكرامة الخارقة للعادة لا تحصل للولى الا بالتبع لشرع نبيه .

فالمعجزة اذا دليل على النبوة الصادقة، والكرامة دليل على صدق الشاهد بالنبوة الصادقة وجامعهما آية الله الخارقة الدالة على النبوة الصادقة فهما من جنس واحد لكنه لا يلزم من هذا ان تكون المعجزة والكرامة متساويتين في الحد والحقيقة فأيات الله لا يحاط بها علما كما لا يحيطون به علما الا بما شاء سبحانه وتعالى .

فمنها آيات كبرى وآيات صغرى . فالآيات الكبرى لا تكون الا للانبياء المرسلين وهى التى وجب على الناس الايمان بمقتضاها وهى التى يطلق عليها اسم المعجزات، والآيات الصغرى نمونجا صغرا للآيات الكبرى ويطلق عليها اسم الكرامات فلا تبلغ الاية الصغرى مبلغ الاية الكبرى ففى الحد والحقيقة لكن لما كانتا من جنس واحد وكان من خواصيهما خرق العادة كان من الواجب ان يكون خرق العادة فيهما مخالفا لسنن الطبيعة وخواص المادة وقانون الاسباب والمسببات لاسيما فى المعجزات التى هى الدلائل اليقينية على صدق الرسل فان رتبة الرسالة ذات شأن عظيم اذ هى الوسط بين الخالق والمخلوق والعايد والمعبود وعليها تترتب سمادة المصدقين وشقاوة المكذابين فى كلا الدارين .

فلا توجد هذه الخوارق مع عدم النبوة الصادقة او الشهادة بالنبوة

الصادقة ونعلم ان الانسان اذا ارسل رسولا واراد تمييزه للمرسل اليه  
 وجب ان يميزه بمميزات خاصة وبمطية علامات تصرف بصدقه انه من لـ  
 مرسله لاسيما اذا كان في امر هام يتعلق بالمرسل والمرسل اليه . فاذا  
 كان هذا من شأن الانسان فكيف بخالق الانسان ؟ ولله الصل الاعلى  
 سبحانه وتعالى . فانه يقتضى على هذا ان يكون الله احكم في هذا من  
 المخلوق على ان الله تعالى اوجب على نفسه عادات لا تُفترق وسنن لا تُبدل  
 كوما منه فضلا فمن عاداته تعالى ان لا يوجد مثل هذه الخوارق الا مع  
 النبوة الصادقة ومع الشهادة بالنبوة الصادقة وان هذا الجنس من الايات  
 لا يكون الا وفق حكمة الله وعدالته وفي اطار سنته وعاداته التي قضت بعدم  
 وجود هذه الايات الخارقة الا مع النبوة الصادقة ومع التصديق بالنبوة  
 الصادقة .

لكن لما كانت هذه الحياة الدنيا دار تكليف وابتلاء على وجه الحكمة  
 والعدالة فقد يوجد ما يشبه بهذه الايات في رأى العين وسمع الاذن وفكر  
 العقل لاني الحد والحقيقة ولحل هذا هو مناط الابتلاء حتى يجتهد  
 الانسان في التمييز بين الحقائق وما يشاكلها ما ليس من جنسها فلو كان  
 الحق متميزا - في هذه الدار - عن الباطل تميزا لا شبهة فيه لما احتاج  
 الناس الى الاجتهاد في التمييز بين الحق والباطل على ان الناس  
 يختلفون في القدرة على هذا التمييز وفق توفيق الله وتسديده . . فنجد

بعضهم سريع التفريق بين الحق والباطل كما نجد الهمض الآخر يحتاج الى  
الفكر والتروي وآخرون لا يستطيعون تفريقا ابدا من ذهب نور ابصارهم  
وبصائرهم فلا يهتدون سبيلا . وقد يشتبه الحق بالباطل على القاضى فى  
قضيته ويشتبه المرض على الطبيب فى وصفه .

فلا يكفد اذا حصل مثل هذا الاشتباه فيما دق امره وعظم خطا سره  
كاشتياء الايات الخارقة بالمعجائب الساعرة والمخترعات الباهرة . فلهذا  
كان لزاما علينا ان نقدم مباحث حول هذا الموضوع لنكشف - ان شاء الله  
تعالى - بعض الستور عن هذه المواقع وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه  
انيب والله لطيف خبير وهو حسبي ونعم الوكيل .

## الباب الاول

### مباحث وتحريرات

- \* معنى خوارق العادات .
- \* المعجزة .
- \* الكرامة .
- \* الفرق بين المعجزة والكرامة .
- \* الفرق بين المعجزة والسحر .
- \* الفرق بين المعجزة والمخترقات العلمية .

### معنى خوارق العادات

لعل اهم مايعنى الباحث فى خوارق العادات هو تمييز آيات الله الخارقة عن غيرها من المعجائب، وفى ذلك تمييز بين الحق والباطل . فان من آيات الله الخارقة ما كان مصداقا على الاديان السماوية .

لذا فان اول ما يخطر ببال القارىء ان هذا الاسم " خوارق العادات " مركب تركيبا اضافيا ومكونا من كلمتين : الكلمة الاولى خوارق وهى المضاف . . . والكلمة الثانية العادات وهى المضاف اليه .

ولما كانت معرفة المضاف تتوقف على معرفة المضاف اليه كان من المستحسن تعريف العادات فى اللغة والاصطلاح .

### معنى العادات فى اللغة :

قال فى محيط المحيط : العادة الدين سميت بذلك من العود ، اى الرجوع لان صاحبها يعاودها اى يرجع اليها مرة بعد اخرى . واصلمها قوادة قلبت الواو الفا لتحركها بعد فتحة .

عاد وعيد وعادات وعوائد كانه جمع عائدة .

فى التمرينات : العادة ما استمر الناس على حكم المعقول وعادوا اليه مرة بعد اخرى .



وفي الاشباه والنظائر : المادة صارة عما يستقر في النفوس من الامور  
المتكررة المقبولة عند الطباع السليمة وهي انواع ثلاثة :

الصرفية العامة لوضع القدم .

والصرفية الخاصة كاصطلاح كل طائفة مخصوصة كالرفع للنحاة .

والصرفية الشرعية كالزكاة والصلوة والحج<sup>(١)</sup> .

اقول ولم يخرج ما جاء في القاموس ولسان العرب عما سبق<sup>(٢)</sup> .

ومن هذه التصريفات اللغوية السابقة ارى ان المادة لا تثبت الا

بالتكرار على ان يكون للطبع السليم والعقل المستقيم مدخل في تقريرها

فما لم يتكرر لا يكون امرا عاديا كما ان اتفاق اصحاب الطباع المنحرفة والمعقول

المختلفة لا يكون المادة مهما تكررت وتعارفوا عليها .

تصريفها في الاصطلاح :

يقول ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في كتابه النبوات : والتحقيق

ان المادة امراضية ، فقد يعتاد قوم ما لم يعتده غيرهم فهذه اذا خرقست

فليست الا لصدق النبي ، لا توجد بدون صدقه<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) محيط المحيط ( ٢ : ١٤٩٤ ) .

( ٢ ) انظر لسان العرب ( ٣ : ٢١٦ - ٢١٧ ) .

( ٣ ) انظر النبوات لابن تيمية ( ص ٢٢٢ ) .

ثم قال في موطن آخر : فانه قد علم عاداته سبحانه في طلوع الشمس والقمر والكواكب والشهور والاعوام ، وعاداته في خلق الانسان وغيره من المخلوقات وعاداته فيما عرفه الناس من الطعام والمشرب والاذية والادوية ولفات الامم ، كالعلم بنحو كلام العرب وتصريفه ، والملم بالطب وغير ذلك .  
كذلك سنته تعالى في الانبياء الصادقين واتباعهم ، وفيمن كذبهم او كذب عليهم فاولئك ينصرهم ويمزهم ويجعل لهم العاقبة المحمود قولاً اخرين يهلكهم ويذلهم ويجعل لهم العاقبة العذيمة .<sup>(١)</sup>

ثم نراه يستطرد في هذا المعنى الى ان قال : فهذا كله يبين ان سنة الله وعاداته مطردة لا تتقضى في اكرام صدق الرسل واهانة مكذبيهم .<sup>(٢)</sup>  
اما القاضي عبدالجبار من الممتزلة فقال في كتابه المغنى : واعلم ان العادات في بابها كاللغات . فكما لا يمتنع تغييرها ، فكذلك تفسير العادات . فقد يجوز في الامر الذي اذا حدث في حال كان ناقضا للعادة وان يصير بعد ذلك عادة وكذلك الامر المعتاد قد يقل على التدريج وتفسير به الحال فيصير الواقع منه - من بعد - جاريا مجرى نقض العادة .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) النبوات - لابن تيمية ( ٢٦٣ ) .

( ٢ ) المرجع السابق ( ص ٢٦٩ ) .

( ٣ ) المغنى - للقاضي عبدالجبار ( ١٨٤ : ١٥ ) .

واعلم ان المادة المعتبرة في هذا الباب يجب ان تكون راجعة الى فعله تعالى او ما يتصل بفعله لانه لا محذور بافعال العباد في هذا الباب .<sup>(١)</sup>  
 فالحاصل من استقراءى معنى المادة انها تنقسم الى ثلاثة اقسام :  
اولا : عادات تتمثل في افعال العباد فهذه تختلف بحسب الامور  
 وحسب البلدان والاجناس فهذه لا ضابط لها وليست في شيء مما نحن  
 بصدده ولا تتعلق بموضوع بحثنا في خرق المادة .

ثانيا : عادات كونية تتمثل في قوانين الطبيعة وخواص المادة ونظام  
 الاسباب والمسببات وهذه يجوز طيها الخرق بفعله تعالى حسب ما تقتضيه  
 سنته وحكمته عز وجل .

وهذا عندي تحقيق للعادات في معنى خوارق العادات . ولمل  
 هذا ما اشار اليه العلامة ابن تيمية رحمه الله في قوله " فهذه اذا خرقت  
 فليست الا لصدق النبي <sup>(٢)</sup> .

فقد حدّ حدودا ووصف اوصافا توصله الى هذا المعنى وان لم  
 يصرح بذلك .

ثالثا : عادات تتعلق بفعله تعالى وتتمثل في الوعد والوعيد وهي  
 سنته وعادته في انجاز الوعد لرسله واتباعهم وانجاز الوعيد في مكذبهم

(١) المشفى : للقاضي عبد الجبار (١٥ : ١٨٣) .

(٢) انظر النبوات - لابن تيمية (ص ٢٣٣) .

واتباعهم وهذه العادات لا تخرق ولا تتبدل ، وهى ما عنى ابن تيمية بقوله  
" فهذا كله يبين ان سنة الله وعاداته مطبوعة لا تنتقض فى اكرام مصدق  
الرسول واهانة مكذبيهم " .

وبعد ما سبق من الايضاح لمعنى العادات فسنخلص الى تعريف  
معنى خوارق العادات فى اللغة والاصطلاح .

معنى خرق العادة فى اللغة :

قال فى لسان العرب : الخرق : الشق<sup>(١)</sup> .

وقال فى محيط المحيط : خَرَقَ يَخْرِقُ ويَخْرِقُ خَرْقًا . وخرق الكذب  
صنعه ، والمفازة قطعها حتى بلغ اقصاها . وفى البناء فتح نافذة فيه . وفى  
سورة الكهف انطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قيل اى قلع لوحين  
من الواحها .

وفى سورة بنى اسرائيل انك ان تخرق الارض اى لن تجعل فيها  
خرقا بشدة وطأتك .

والعادة تجاوزها ونقضها . ومنه قولهم لله خرق المواعد .

وفى سورة الانعام وخرقوا له بنين وبنات قيل اى اقتتلوا واخذوا له  
واخترق الارض مر فيها او عرضا على غير طريق .

---

( ١ ) لسان العرب ( ١١ : ٣٦١ ) .

والخارق اسم فاعل . وفي عرف العلماء هو الامر الذي يخرق العادة  
(١)  
جمع خوارق .

فالحاصل بمد هذا ان الخارق ينقسم الى قسمين :

القسم الاول : لغوى يأتي على وجهين :

احدهما : مادي بمعنى النفوذ كالشق في الثوب والنافذة في البناء .

وثانيهما : معنوي كصنع الكذب . وكلاهما مقدور للعباد وتحسنت

اختيارهم وجودا وعدما .

والقسم الثاني : عرفى يأتي بمعنى نقض العادة وتجاوزها على هيئة

مخصوصة ولغرض مخصوص وهو من فعل الله تعالى . وهو ما سنبينه فسي

المعنى الاصطلاحي ان شاء الله تعالى .

معنى خرق العادة في الاصطلاح :

ليس الخلاف في معنى خرق العادة باقل منه في معنى العادة ، فلقد

اختلفت الاقوال في " معنى خرق العادة " ولعل هذا الاختلاف كان منشأه

عدم تحقيق هذا المعنى . واليك الاقوال في هذا المعنى :

---

(١) محيط المحيط (١: ٥٢٨-٥٢٩) .

خوارق العادات عند الاشاعرة :

اعلم ان خوارق العادات سبعة :

الاول : المعجزة المقارنة للمتحدى .

الثاني : الارهاص قبل النبوة من رهص الجدار وهو اساسه .

الثالث : الكرامة للاولياء .

الرابع : المعونة لعاصي تخلصه من شدة .

الخامس : الاستدراج للفاجر على طريق دعواه . قال المصنف وانما

يحصل لمدعي الالوهية كالدجال دون المتبني لوضوح ادلة نفي الالوهية  
من سمات الحدوث فلا يخاف اللبس .

السادس : الالهانة للفاجر على خلاف دعواه .

السابع : السحر ومنه الشمعة . وقيل ليس من الخوارق لانـه

ممتد عند تماطى اسبابه .<sup>(١)</sup>

خوارق العادات عند المعتزلة :

قال القاضي عبد الجبار - من المعتزلة - في كتابه المصنف ما حاصله :

" ان العادة لا تخرق الا عند ارسال الرسل ولا تخرق لغير هذا الوجه

---

(١) انظر حاشية الامير على الجوهرة - لمحمد بن الامير (ص ١٢٩) .

لان خرقها لغير هذا الوجه يكون بمثالة العبت<sup>(١)</sup> .  
قال ابن تيمية - تبيانا لمذهب الفريقين - بعد الكلام عن الاشعري  
ورأيه في المعجز واصلهم في ذلك " اى الاشاعة " .

قال : ( فصل ) والمعتلة قبلهم - يريد قبل الاشاعره - ظنوا  
ان مجرد كون الفعل خارق للعادة هو الاية على صدق الرسول ، فلا يجوز  
ظهور خارق الا لنبى ، والتزموا طردا لهذا انكار ان يكون للسحر تأثير  
خارج عن العادة . . . بلا مباشرة شىء وانكروا الكهانة . . . وانكروا  
كرامات الاولياء . . . فأتى هؤلاء - يريد الاشاعة - فاثبتوا ما اثبتته الفقهاء  
واهل الحديث من السحر والكهانة والكرامات ، لكن قيل لهم فميزا بين  
هذا وبين المعجزات فقالوا لافرق في نفس الجنس ، وليس نفس جنس  
مقدورات الرب ما يختص بالانبياء . لكن جنس خرق العادة واحد . فهذا  
اذا اقترن بدعوى النبوة وسلم عن المعارضة عند تحدى الرسول بالمشعل  
فهو دليل (٢) .

ولهذا رد ابن تيمية رحمه الله على من جعل الخوارق من جنس واحد  
فقال في معرض الرد : والثانى ان هذا من اعظم القدح فى الانبياء . اذا  
كانت آياتهم من جنس سحر السحرة وكهانة الكهان . (٣)

(١) انظر المغنى - للقاضى عبد الجبار (١٥ : ١٨٩) .

(٢) النبوات - لابن تيمية (ص ١٠٩) .

(٣) النبوات لابن تيمية (ص ٣٥) .

وأرى ان هذا الذى ذكره ابن تيمية رحمه الله هو الحق والصواب وهو  
ان خوارق الانبياء واتيامهم مخالفا لما يظهر على ايدى السحرة فى الجنس  
والحد والحقيقة .

اما ما ذهب اليه المعتزلة من جعلهم الخوارق خاصة بالانبياء وانكارهم  
كرامات الصالحين وما يظهر على ايدى السحرة . .

فقد اجاب ابن تيمية عن ذلك ايضا بقوله : والمنازع لهم يقول : هسى  
موجودة مشهودة لمن شهدها ، متواترة عند كثير من الناس اعظم ما تواترت  
عندهم بعض معجزات الانبياء ، وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات  
الانبياء . فكيف يكذبون بما شهدوه ويصدقون بما غاب عنهم ، ويكذبون بما  
تواتر عندهم اعظم ما تواتر غيره .<sup>(١)</sup>

اقول هذا الذى رد به ابن تيمية على مذهب المعتزلة هو الواقع  
الصحيح .

وان ما ذهب اليه المعتزلة ومن تبعهم فى مذاهبهم - من منصفهم  
ظهور الخوارق على غير الانبياء - مخالفا للمكتاب والسنة .

اما الكتاب فضها : وجود الرزق عند السيدة مريم الصذراء بلا سبب  
فكانت تتنعم بفاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف .

---

( ١ ) انظر النبوات - لابن تيمية ( ص ٣ ) .



قال تعالى " كلما دخل طيمها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال  
يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير  
حساب (١) .

ومنها : احضار عرش بلقيس عند سليمان عليه السلام قبل ارتداد  
طرفه .

قال تعالى " قال الذى عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد  
اليك طرفك (٢) .

وكذلك قصة اصحاب الكهف : وهى ان الله سبحانه وتعالى ابقاهم  
ثلثائة سنة وازيد نياما احياء بلا آفة ولم يكونوا انبياء اجماعا (٣) .

فهذه نماذج مما جاء فى الكتاب العزيز، وان كان هؤلاء يجمعون  
الاولى معجزة لزكريا والثانية معجزة لسليمان لكن السياق وقرائن الاحوال  
تضغ ذلك .

واما السنة : فقد جاءت بذكر بعض الخوارق لغير الانبياء، فمن  
ذلك حديث اصحاب الفار وانفراج الصخرة عنهم حين آووا الى غار فاطبقت

---

( ١ ) سورة آل عمران : ٣٧ .

( ٢ ) سورة النمل : ٤٠ .

( ٣ ) المواقف بشرح الجرجاني ( ٨ : ٢٨٩ ) .

عليهم صخرة عظيمة . فسألوا الله بمالحم أعمالهم فانفجرت عنهم وخرجوا  
سالمين .<sup>(١)</sup>

وحديث : جريج وكلام الفلام ببيبراته حين اتهم بانة واقع المرأة  
فحملت بالفلام فلما ولدتة ناشده بالله من ابوه فقال الفلام ان اباه الراعى .<sup>(٢)</sup>  
فهذه نصوص من الكتاب الكريم والسنة المطهرة الصحيحة تدل دلالة  
واضحة على ظهور الخوارق على غير الانبياء .

اما رأى ابن تيمية رحمه الله فى الخوارق فيرى انها تنقسم الى  
ثلاث مراتب حيث قال :

" فيقال المراتب ثلاثة : آيات الانبياء ، ثم كرامات الصالحين ، ثم  
خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان . . . اما الصالحون الذين يدعون  
الى طريق الانبياء لا يخرجون عنها فتلك خوارقهم من معجزات الانبياء .<sup>(٣)</sup>  
ثم قال فى النصوص التالية :

( أ ) فالكهانة والسحر هو معتاد للسحرة والكهان ، وهو خارق بالنسبة الى

---

( ١ ) صحيح البخارى ( ٤ : ٢٠٩ ، ٢١٠ ) مطبعة البايى بمصر ، صحيح مسلم

( ٤ : ٢٠٩٩ ) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - طبعة بيروت .

( ٢ ) صحيح مسلم ( ٤ : ١٩٧٦ ) كتاب البر والصلة - طبعة بيروت .

( ٣ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ٥ ) .

غيرهم ، كما ان ما يعرفه اهل الطب والنجوم والفقهاء والنحو هو معتاد  
لنظرائهم ، وهو خارق بالنسبة الى غيرهم .<sup>(١)</sup>

( ب ) واما اخبار الكهان . . . وسحر السحرة . . . ما هو باعانة الشياطين  
فهذا امر موجود في العالم معتاد يعرفه الناس ليس هذا من خسر  
العادة .<sup>(٢)</sup>

( ج ) والخوارق المقدورة للناس منها ما سببه من الناس يحذقهم في ذلك  
الفن كما يحذق الرجل في صنعة من الصناعات . . . وكما يحذق  
بعض الناس في رص النشاب وحمل الرمح وركوب الخيل . . . لكنها  
مع ذلك مقدورة مكتسبة معتادة .<sup>(٣)</sup>

( د ) واما السحر والكهانة فهو من اعانة الشياطين لبنى آدم . . فامورهم  
خارجة عما اعتاده الانس .<sup>(٤)</sup>

( هـ ) وخوارق الجن كالاخبار ببعض الامور الغائبة وكالتصرفات الموافقة  
لاغراض بعض الانس كثيرة معروفة في جميع الامم . . . فهي امور معتادة

- 
- ( ١ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ١٣ ) .
  - ( ٢ ) المرجع السابق ( ص ٢١٩ ) .
  - ( ٣ ) المرجع السابق ( ص ٢٢٠ ) .
  - ( ٤ ) المرجع السابق ( ص ٢٢١ ) .

(١)  
للجن والانس .

ويقول عند الكلام عن الفروق بين خوارق الانبياء وخوارق غيرهم :

(السابع) ان آيات الانبياء هي الخارقة للمعادات عادات الانس

والجن بخلاف خوارق مخالفيهم فان كل ضرب منها معتاد لطائفة (٢)

فانت تراه في هذه النصوص قد سلك مسلكا عجيبا فهو يصف ما يأتي

به السحرة واهل الصناعات انها خارقة للمادة تارة وتارة يصفها بانها

معتادة وليست خارقة .

وكأنه بهذا التصرف في هذا اللفظ " خرق المادة " يشير الى انه

لا ضابط له وانه امراض في . وقد صح بنحو هذا فقال : وكون الاية خارقة

للمادة او غير خارقة هو وصف لم يصفه القرآن والحديث ولا السلف . وقد بينا

في غير هذا الموضوع ان هذا وصف لا ينضبط (٣)

لكنه قال في موطن آخر : وانما الخارق كما قال في القرآن (الاسراء :

: (١٨

" قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن

---

(١) النبوات - لابن تيمية (ص ٢٨٢ - ٢٨٣) .

(٢) المرجع السابق (ص ٢٩٩) .

(٣) المرجع السابق (ص ١٣) .

لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا<sup>(١)</sup> .

فهو يشير بهذا الى المعنى الحقيقي لخرق المادة وانه امر يفوق  
طاقات الانس والجن ،

ويقول احد المؤلفين في كتابه المعجزة الخالدة : فالخارق للمادة  
- فيما استقرأنا - امر يفوق طاقات البشر ويخرق قوانين الطبيعة وخواص  
المادة<sup>(٢)</sup> .

اما خلاصة الكلام بمد هذه الأقوال فنقول ان الخوارق تنقسم الى  
قسمين من حيث المعنى :

اولا : قسم لقوى لا ضابط له فهذا يكون خارقا للماديات السنتي  
لا ضابط لها . فيكون مرة عادة ومرة خرق عادة بالنسبة والاضافة . وهذا  
ما نخرج عليه نصوص ابن تيمية السابقة في خوارق السحرة والحدائق في  
الصناعات .

ثانيا : قسم اصطلاحي فهذا يكون خارقا لقوانين الطبيعة وخواص  
المادة وعاريا عن الاسباب المعقولة المعتادة في الكون على ان خرق  
المادة يختلف باختلاف الامور المعتادة في الكون ، فليس خرق المادة في

---

( ١ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ٢٣٠ ) .

( ٢ ) انظر المعجزة الخالدة - لحسن ضياء الدين ( ص ٤٤ ) .

انقلاب العصا حية كخرق المادة في انفراج الصخرة عن الفار . . . ان الاول اعظم من الثاني ، وكل ما توصل اليه الانسان باى سبب من الاسباب العادية لا يعتبر من خرق المادة في شىء . . . والله اعلم .

المعجزة

المعجزة في اللغة :

قال في لسان العرب : **عَجَزَ** : **العَجْزُ** : نقيض الحزم ، عجز عن الامر **يعجز** و**عجز** عجزا .

والمعجزة ، بفتح الجيم وكسرها ، مفعلة من العجز عدم القدرة .  
والتعجيز : التشييط .

ومعنى الاعجاز الفوت والسيق . يقال : اعجزنى فلان اى فاتنى .  
وقد يكون ايضا من العجز . يقال : **عَجَزَ يَعْجِزُ** عن الامر اذا قصر عنه  
والمعجزة : واحدة معجزات الانبياء عليهم السلام .<sup>(١)</sup>

وقال في محيط المحيط : والمعجزة اسم فاعل من الاعجاز . . والهاء  
للمبالغة . وسميت معجزة لان البشر يحجزون عن الاتيان بمثلها .  
وقال في التعريفات : المعجزة امر حارق للمادة داعية الى الخسير  
والسعادة مقرونة بدعوى النبوة قصيد بها اظهار صدق من ادعى انه رسول  
من الله . جمعها معجزات .<sup>(٢)</sup>

(١) انظر لسان العرب (٥ : ٣٦٩ - ٣٧٠) .

(٢) محيط المحيط (٢ : ١٣٤٢) .

والذى يبدو من هذا ان لفظ المعجز يطلق فى اللغة على ما لا يستطيع  
فعله او التوصل اليه لعدم القدرة . ويطلق فى الصرف على ما قصد بسسه  
تأييد الرسول وتصديقه فى نبوته .

المعجزة فى الاصطلاح :

للنظار فى معجزات الانبياء طيبم السلام آراء عجيبة وتعريفات مختلفة  
واليك هذه الآراء والتعريفات مع مناقشتها وبيان الصواب ان شاء الله  
تعالى .

اولا : رأى الفلاسفة وتعريفهم للمعجزة .

يقول الفيلسوف ابن رشد : اما الكلام فى المعجزات فليس فيه للقدماء  
من الفلاسفة قول . لان هذه كانت عندهم من الاشياء التى لا يجب ان تتعرض  
للفحص عنها وتجعل مسائل ، فانها ميانى<sup>(١)</sup> الشرائع ، والفاحص عنها ، والمشكك  
فيها يحتاج الى عقوبة عندهم .

ويقول ابن تيمية وليس فى كلام ارسطو واتباعه كلام فى النبوة<sup>(٢)</sup> .

اما الفلاسفة الغلاة كالفارابى من يفضل الفيلسوف على النبي فانسه

( ١ ) تهافت التهافت - لابن رشد ( ٢ : ٧٧٣ ) .

( ٢ ) انظر النبوات - لابن تيمية ( ص ١٧٩ ) .



يجعلها امورا متخيلة فهو يقول : وكثير من هذه التي يمطيها العقل  
الفعال فتخيلها القوة المتخيلة بما تحاكيها من المحسوسات المرئية فان  
تلك المتخيلة تعود فترسم في القوة الحاسة . . . فيصير ما اعطاه العقل  
الفعال من ذلك مرعيا لهذا الانسان .<sup>(١)</sup>

ويقول ابن سينا في كتابه الاشارات : ونملك قد بلغك عن المارفين  
اخبار تكاد تأتي بقلب العادة فتبادر الى التكذيب وذلك مثل ما يقال  
ان عارفا استسقى للناس، فسقوا . . . او دعا طيهم فحسف بهم وزلزلوا . . .  
فلا تستبعدن ان يكون ليمض النفوس ملكة يتمدى تأثيرها بدنها، وتكون  
لقوتها، كأنها نفس ما ، للعالم . . . فلا تستكرن ان يكون ليمض النفوس  
هذه القوة حتى تفعل في اجرام اخر .<sup>(٢)</sup>

وقد تعرض ابن تيمية لرأى ابن سينا فقال : وابن سينا عظمها  
- يريد النبوة - فجعل للنبي ثلاث خصائص :  
احدها : ان ينال العلم بلا تعلم .  
والثاني : ان يتخيل في نفسه ما يطمه .  
والثالث : ان يكون له قوة يتصرف بها في هيولى العالم باحداث امور

---

( ١ ) راجع آراء اهل المدينة الفاضلة - للغارابي ( ص ٧٥ ) .

( ٢ ) انظر الاشارات والتبسيات - لابن سينا ( ٤ : ٨٩٢ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ) .

غريبة وهي عندهم آيات الانبياء ( يريد المعجزات )<sup>(١)</sup> .

وكلام ابن تيمية هذا يوافق مانص عليه ابن سينا ولكن لا يخفى على فطنك اللطيفة تعبير ابن سينا السابق بقوله " تكاد تأتي بقلب المادة " فان كلمة تكاد تشير الى انه لم يحصل ذلك حقيقة ، ولهذا اخذ الامام الغزالي في بيان ذلك ومناقشته فقال في كتابه تهافت الفلاسفة :

" اما الطبقة بالطبيعيات فهي علوم كثيرة تذكر اقسامها ، ليعرف ان الشرع ليس يقتضى المنازعة فيها ، ولا انكارها الا في مواضع نذكرها<sup>(٢)</sup> .

ثم قال : وليس يلزم مخالفتهم شرها في شيء من هذه العلوم ، وانما نخالفهم من جملة هذه العلوم في اربع مسائل :

الاولى حكمهم بان هذا الاقتران المشاهد في الوجود بين الاسباب والمسببات ، اقتران تلازم بالضرورة فليس في المقدور ، ولا في الامكان ايجاد السبب دون المسبب ، ولا وجود المسبب دون السبب .

ويتابع كلامه فيقول : وانما يلزم النزاع في الاولى : من حيث انه يبنى عليها اثبات المعجزات الخارقة للعادة ، من قلب العصا شعبانا ، واهياء الموتى ، وشق القمر ومن جعل مجارى المعاديات لازمة لزوما ضروريا احال جميع ذلك واولوا ما في القرآن . . .

---

( ١ ) النبوات لابن تيمية ( ص ١٧٩ ) .

( ٢ ) تهافت الفلاسفة - للغزالي ( ص ٢٣٤ ) .

ثم يستطرد قائلا : ولم يثبت الفلاسفة من المعجزات الخارقة للمعادن الا ثلاثة امور : احدها القوة المتخيلة . . . الثانية خاصة في القوة النظرية العقلية . . . الثالث : في القوة النفسية العملية ، فقد تنتهي الى حشد وتأثيرها الطبيعية وتتسخر . . . فلا يبعد ان تبلغ قوة النفس الى حشد تخدصها القوة الطبيعية فتتطلع نفسه ، الى هبوب ريح او نزول مطر . . . من غير حضور سبب طبيعي ظاهر ، ويكون ذلك معجزة للنبي عليه السلام . ولكنه انما حصل ذلك في هواء مستمد للقبول ولا ينتهي الى ان ينقلب الخشب حيوانا وينطلق القمر الذي لا يقبل الانخراق . فهذا مذهبه في المعجزات ونحن لانكر شيئا ما ذكره ، وان ذلك ما يكون للانبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - وانما ننكر اقتصارهم عليه ومنعهم قلب العصا حية واحياء الموتى وغيره .<sup>(١)</sup>

اقول : الذي يظهر من كلام الفلاسفة الذين تعرضوا للحديث عن المعجزات وبما سبق من كلام الفيزالي ان الفلاسفة ارادوا تفسير المعجزات من الناحية العقلية التي هي معتمدهم في ابحاثهم وان العقل عندهم يوجب تلازم الاسباب والمسببات تلازما ضروريا ، والحق ان العقل لا يوجب هذا التلازم .

ولو سلمنا - جدلا - ما قاله الفلاسفة من ضرورة التلازم بين السبب

(١) تهافت الفلاسفة - للفيزالي (ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

والمسبب لكان من الضروري ان يوجد المسبب بمجرد وجود السبب لكن هذا على العكس فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب ما يدل على عدم التلازم الضروري .

ولنأخذ مثالا على ذلك وهو حمل المرأة من الرجل ، فان السبب الظاهر للحمل هو ملاقات الرجل للمرأة في عملية الجنس والمسبب هو الحمل وهو الذى استشره السيدة العذراء مريم الصديقة لعدم وجود سببه الظاهر في قوله تعالى " قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر (١) .

وتقول مؤلفة معاصرة فيما يتعلق بنمو الجنين فالحياة تبدأ من لحظة الاخصاب . . . . . وهى تحدث عندما يقابل حيى منوى صحيح بويضة صحيحة فى الوقت الصحيح فى دورة حياة البويضة . حيث تنهيا الفرصة لان يخصب الحيى المنوى تلك البويضة .

وتقول ايضا : ولكننا قد تساءل لماذا يحدث فشل فى انتاج ذرية فى بعض الاحيان ؟

ان ذلك قد ينتج عن عدة ظروف غير مناسبة فى الرجل او الانثى ، ومن اهمها بالنسبة للانثى حامضية الافرازات المهبلية التى تقتل الحيوانات المنوية او الالتصاقات الرحمية ، او انسداد قناة فالوب نتيجة الالتهابات او بعض المواد الفربية او اضطراب الهرمونات .

( ١ ) سورة مريم : ٢٠ .

اما في الزجل فقد يكون نشيجة اتسداد في التجارى الضوية مما  
يعتوق وصول الحيات الضوية . . او بسبب اضطرابات هرمونية .<sup>(١)</sup>

اقول : هذا الذى ذكرته الطويلة يدلنا على وجود موانع خفية لـم  
تكن معروفة لدى القدماء - لاسيما الفلاسفة الذين بحثوا في النفس وعلومها  
بل عرفت بواسطة العلم التجريبي النحلي الحديث، فهذه الموانع الخفية  
قد منعت من وجود المسبب مع وجود السبب الظاهر فلا يبعد اذا ان توجد  
اسباب خفية يحصل بها المسبب مع عدم السبب الظاهر، وبهذا نعلم  
ان الاسباب منها ظاهر ومنها خفى قد لا يدركه العقل فكيف تحكم الفلاسفة  
بتلازم ما لم تحط به علما .

يقول البوطى في كتابه اليقينات الكونية : واذا علمت ان المعجزة  
انما هي من خوارق الماديات، ادركت ان العقل لا يحيل امكان وقوعها  
ذلك لان استمرار الظواهر الطبيعية على نسقها المألوف الذى نراه ليس  
شيئا ضروريا يفرضه العقل فرضا وانما هو ما نسجت المادة وتكون بفعل  
الاسباب الجمالية . وما يلحق هذه الخوارق من التعجب منها او الاستكثار  
لها انما هو بسبب غرابتها عن المشاهدة والمألوف .<sup>(٢)</sup>

ويقول كاتب معاصر : الانسان يجعل عقله دائما الميزان لكـل

(١) راجع في علم نفس النمو - لسعدية محمد بهادر (ص ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥) .

(٢) انظر اليقينات الكونية - لمحمد سعيد البوطى (ص ٢٢٦) .

ما يحدث . . وهذا مطلوب في امور الحياة اليومية ، ، فيما يعرض لنا من حوادث ويصادفنا من مشاكل . . وان نبحث في قوانين الكون . . وان نكتشف بحقولنا ما اودعه الله في هذا الكون من اسرار . . ولكن هناك اشياء قد تكون فوق قدرة العقل ان يفهمها او يفسرها (١) .

اقول : هذا ما اشرت اليه في مدخل هذه الرسالة من ان العقل ليس الحكم على كل شئ في ادراك الجزئيات والكليات والكيفيات . والذي ارى بعد هذا هو عدم الخوض في المعجزات من الوجهة الفلسفية التي مبناهها على الادراك العقلي البحت .

اما اخضاعها لمدرجات العقل من الوجهة الكيفية فهو ما لا يحتملـه العقل كما فسرها ابن سينا وغيره . لكن اذا ثبت في العقل ان الفاعل للاسباب والمسببات هو الله جلت قدرته سهل عليه قبولها من غير تكييف لحصولها . واما عدم ادراك كيفية حصولها فهذا لا يقتضى تأويلها وانكارها في الحكم العقلي السليم . واذا كان العقل هو المعيار عند الفلاسفة الذي تقاس به الاشياء ويسبر غورها فما بالناس نجد اختلافهم في النظر العقلي لاسيما فيما وراء الطبيعة كالنفس وغيرها فليس ادل من هذا على قصور العقل وان له طاقة لا يتعداها .

---

(١) راجع كتاب بعنوان " ابن الله " ل احمد زين (ص ١٨) مطابع الاهرام .

ثانياً : تعريف الاشاعة للمعجزة .

عرفوها بانها امر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى  
الرسالة او النبوة مع عدم المصارضة .

وقال السعد : هي امر يظهر بخلاف المادة على يد مدعى النبوة  
عند تحدي المنكرين على وجه يحجز المنكرين عن الاتيان بمثله .  
وقد اعتبر المحققون فيها سبحة قيود .

الاول : ان تكون قولاً او فعلاً او تركاً فالاول كالقرآن والثاني كبيع  
الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم والثالث كمدم حرق النار لسيدنا  
ابراهيم وخرج بذلك الصفة القديمة كما اذا قال آية صدق كونه الاله متصفاً  
بصفة الاعتراع .

الثاني : ان تكون خارقة للمادة وهي ما اعتاده الناس واستمروا عليه  
مرة بعد اخرى وخرج بذلك غير الخارق كما اذا قال آية صدق طلوع الشمس  
من حيث تطلع وتغربها من حيث تغرب .

الثالث : ان تكون على يد مدعى النبوة او الرسالة وخرج بذلك الكرامة  
وهي ما يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح والممونة وهي ما يظهر على يمسد  
الموام تخليصاً لهم من شدة والاستدراج وهو ما يظهر على يد فاسق  
خديسة ومكرا به والاهانة وهي ما يظهر على يده تكديبا له كما وقع لمسيمة  
الكذاب فانه تغل في عين اعور لتبراً فصحبت الصحيحة .

الرابع : ان تكون مقرونة بدعوى النبوة او الرسالة حقيقة او حكما بيان تأخرت بزمن يسير وخرج بذلك الارهاص وهو ما كان قبل النبوة والرسالة تأسيسا لها كاطلال النمام له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة .

الخامس : ان تكون موافقة للدعوى وخرج بذلك المخالف لها كما اذا قال آية صدقى انفلاق البحر فانطلق الجبل .

السادس : ان لا تكون مكذبة له وخرج بذلك ما اذا كانت مكذبة له كما اذا قال آية صدقى نطق هذا الجماد فنطق فانه مفتر كذاب بخلاف ما لو قال آية صدقى نطق هذا الانسان الميت واحياؤه فاحيي ونطق بانه مفتر كذاب والفرق ان الجماد لا اختيار له فاعتبر تكذيبه لانه امر الهى والانسان مختار فلا يعتبر تكذيبه لانه ربما اختار الكفر على الايمان .

السابع : ان تتعذر ممارسته وخرج بذلك السحر ومنه الشمبذة وهى خفة فى اليد يرى ان لها حقيقة ولا حقيقة لها كما يقع للحواة وزاد بعضهم :  
ثامنا : وهو ان لا تكون فى زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها وخرج بذلك ما يقع من الدجال كآضه للسماء ان تمطر فتمطر وللارض ان تثبت فتنبت (١) .

---

(١) انظر حاشية الباجورى المسماة بتحفة المرید - لابراهيم الباجورى

(ص ١١٩، ١٢٠)، وانظر المواظف بشرح الجرجاني (٨: ٢٢٣، ٢٢٤،



وقال عبد الوهاب الشمراني : والمراد بالتحدي هو الدعوى للرسالة  
وفيما قلنا تشبيهه بطلن انه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الايمان  
بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدي وانما المراد انه يكفي دعوى الله تعالى  
الرسالة فكل من قيل له ان كنت رسولا فاتنا بمعجزة فظهر الله تعالى على  
يديه معجزة كان ظهور ذلك دليلا على صدقه نازلا بمنزلة التصريح بالتحدي .<sup>(١)</sup>

وقال ايضا : ثم اذا نظرنا الى الذين انساقوا بالمعجزات السلي  
الايمان فرأينا ذلك انما كان لا استقرار الايمان عندهم فتوقفت استجابتهم على  
المعجزة لضعف ايمانهم واما غيرهم فما احتاج الى ظهور ذلك بل آمن بساؤل  
وهلة بما جاء به رسوله لقوة نصيبه من الايمان . . . واما من ليس له نصيب في  
الايمان فلم يستجب بالمعجزات ولا بغيرها .<sup>(٢)</sup>

اقول : هذا الذي ذكره الشمراني يبين ان من لوازم المعجزات ومن  
صفات المعنوية الدعوة الى الايمان .

ويرى الشمراني انه قد يحصل احيانا افعال ناقضة كالزلازل والصواعق  
وليست بمعجزة لانها لم تكن مقرونة بذلك - اى بالتحدي - وان يكون على  
وجه الابتلاء لانه لو تلقن انسان سورة من القرآن ثم مضى الى قبيلة بصيدة

---

( ١ ) انظر اليواقيت والجواهر - للشمراني ( ١ : ١٥٢ ) .

( ٢ ) المرجع السابق ( ١ : ١٥٧ ) .

لم تلبسهم الدعوة وتنبأ هناك لم تكن معجزة<sup>(١)</sup> .

اقول : هذا الذى ذكره الاشاعرة فى تعريف المعجزة وما اوردوه من شروط لتستبين عن غيرها مما قد يشتهى بها فنقول ان هذا التعريف، وهذِهِ الشروط لا تخلو من مناقشة وسنتعرض لها بعد ايراد رأى المعتزلة لكونهم من تكلم فى المعجزة فكن على ذكر من هذا .

ثالثا : تعريف المعتزلة للمعجزة .

يرى المعتزلة ان كل ما خرج عن الامر الممتاد فانه معجزة وهو الخارق للعادة اذا اقترن بدعوى النبوة . وقد ظنوا ان الدليل مستلزم للمدلول فيلزم ان يكون كل من خرقت له العادة نبيا . . ولا تخرق العادة الا للنبي وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وكرامات الصالحين<sup>(٢)</sup> .

ويقول القاضى عبد الجبار : ذكر شيخنا " ابو هاشم " رحمه الله ، فى كثير من كتبه ان الاعلام انما تدل على النبوات عن طريق الابانة والتخصيص واذا ثبت انها تدل من جهة الابانة فيجب<sup>ص</sup> الا يصح ظهورها على غير النبي لان ذلك ينقض كونها ابانة<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) البواقيت والجواهر - للشمرانى ( ١ : ١٦٢ ) .

( ٢ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ٣ ) .

( ٣ ) المغنى - للقاضى عبد الجبار ( ١٥ : ٢١٨ ) وابواب من جوز ظهور

الخوارق على غير الانبياء .

هكذا يرى المعتزلة في المعجزة وقد اشترط عبد الجبار لها شروط  
فقال : واعلم ان من حق المعجز ان يكون واقعا من الله تعالى حقيقة  
او تقديرا . وان يكون مما تنتفض به المادة المختصة بمن اظهر المعجز فيه  
وان يتعذر على المباد فعل مثله في جنسه او صفته ، وان يكون مختصا  
بمن يدعى النبوة على طريقة التصديق له . فما اختص بهذه الصفات وصفناه  
بانه معجز من جهة الاصطلاح (١) .

ويقول ايضا في كتابه المصنئ بأسلوب الحوار :

فان قال : افيجوز ان تتقدم المعجزة على دعوى المدعى للنبوة  
او يتأخر عنه ؟ قيل له : انا لانجيز ذلك ، لان مايتقدم من المعجز لا يتعلق  
بالدعوى لان الدعوى لم توجد ، فكيف تصح تعلقه بها ، او يتأخر فلا يوجد الا  
بعد موت النبي فانه ايضا لا يتعلق بالدعوى لان حكم الدعوى قد بطل (٢) .

ثم يقول : قال شيوخنا في اطلال القمامة وغيره ان ذلك معجزا  
لنبي في الوقت ، ورووا ما يدل على ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم فسئى  
خالد بن سنان العباسي - وقد شاهد اخوته - ذلك نبي ضيعه قومـــــــــــــــــه  
وثبت عنه ما يقارب ذلك في قس بن ساعدة وغيره .

واما كلام عيسى في الصهد فهو معجز له ، ولا بد من ان تكون الدعوى

---

(١) المصنئ - للقاضي عبد الجبار (١٥ : ١٩٩) .

(٢) المرجع السابق (١٥ : ٢١٣) .

منه قد تقدمت، وهكذا ورد الكتاب بقوله " انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا " فقد قارنت المعجزة الدعوى . . . وغير ممتنع عندنا ان يكمل عقل الصبى فى حال صفه ويبلغه فى الفضل مبلغ الانبياء<sup>(١)</sup> .

اقول الذى بيد ومن هذا ان المعتزلة قد اعتبروا خرق المادة حدا للمعجزة فلا يوجد خرق المادة الا فى المعجزة، واعتبروا جميع ما حصل للانبياء وما ظهر على ايديهم من الخوارق اعتبروها جميعا معجزات بخلاف الاشاعة فانهم جعلوا ما حصل للانبياء وما ظهر على ايديهم على قسمين :

قسم سموه معجزات وعرفوه وشروطوا له شروطا كما سبق بيانه . وقسم جعلوه فى معنى الكرامة وقد يسمونه ارهاصا . وقد جاء بيان ذلك فى كتاب المواقف بشرح الجرجانى على صورة الحوار فقال مانصه : وما تقولون ايضا فى معجزات رسولكم من شق بطنه وغسل قلبه وظلال الغمامة وتسليم الحجر والمدر عليه فانها كلها متقدمة على دعوى الرسالة ( قلنا ) تلك الخوارق المتقدمة على الدعوى ليست معجزات انما هى كرامات وظهرها على الاولياء جاءز والانبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الاولياء فيجوز ظهورها عليهم ايضا وحينئذ تسمى ارهاصا اى تأسيسا للنبوة من ارهصت للحائط اسسته<sup>(٢)</sup> .

اما ابن حزم فقال : وان المعجزات لا يأتى بها احد الا الانبياء عليهم

( ١ ) انظر المفنى - للقاضى عبد الجبار ( ١٥ : ٢١٥ ) .

( ٢ ) انظر المواقف بشرح الجرجانى ( ٨ : ٢٢٥ - ٢٢٦ ) .

السلام قال عز وجل " وما كان لرسول ان يأتي بأية الا باذن الله " . وقسمال  
 تعالى " وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر " . وقال تعالى حاكيا عن  
 موسى عليه السلام انه قال " اولو جئتكم بشئ مبین قال فأت به ان كنت ممن  
 الصادقين فالقى عصاه " . . وقال تعالى " فذانك برهانان من ربك السحري  
 فرعون وطلته " فصح انه لو امكن ان يأتي احد - ساحر او غيره - بما يحيي السهل  
 طبيعة او يقلب نوما لما سمي الله تعالى ما يأتي به الانبياء عليهم السلام  
 برهاناً لهم ولا آية لهم ولا انكر على من سقى ذلك سحرا ولا يكون ذلك آية  
 لهم عليهم السلام (١) .

اقول لو اراد ابن حزم بالمعجزات المعجزات الخاصة التي ظهرت  
 على ايدي الانبياء والتي وجب على الناس الايمان بمقتضاها - كالناقة والعصا  
 وخلق الطير من الطين والقرآن الكريم - لاستقام كلامه (٢) . وان كانت الادلة  
 التي اوردها لا تقيم له الحجة على هذا الذي افترضناه . لكن ابن حزم  
 يريد بالمعجزات الخوارق فهو يسمي الخوارق معجزات كالمعتزلة ويمنعون  
 ظهورها - اي الخوارق - على غير الانبياء وقد قرره في كتبهم وذكر ذلك  
 عنهم ابن تيمية في كتابه النبوات (٣) .

(١) المحلي - لابن حزم (٣٦:١) .

(٢) انظر مقاله ابن تيمية حول هذا المصنف في النبوات (ص ١١٥) .

(٣) النبوات لابن تيمية (ص ٣) .

ولا شك ان ما ذهب اليه المعتزلة وابن حزم من اختصاص الانبياء بالخوارق مخالفاً للكتاب والسنة كما اوضحناه فيما سبق<sup>(١)</sup>.

واعاما اورد ابن حزم من الادلة الانفة الذكر على ان المعجزات لا يأتى بها احد الا الانبياء فلا تدل على دعواه انما تدل على ان الايات لا تأتى ولا تقع الا باذن الله كما تدل على ان جنس الايات مخالفاً لجنس السحر حيث انكر على من سعى الاية عند رؤيتها سحر مستطير .

والحاصل بعد هذا ان الاشاعة والمعتزلة قد عرفوا المعجزة وحدودها لها حدودا وشروطا لها شروطا ولم تكن تلك الحدود وتلك الشروط جميعها قاطبا مسلما بل كان منها المقبول ومنها المردود ولهذا رد ابن تيمية على من جعل حرق المادة هو الحد الحقيقي للمعجزات بحيث يكون وصفا لازما لا يتمداها الى غيرها .

فقال : وهؤلاء - اى المعتزلة - جعلوا مجرد كونه " اى المعجز " خارقا للمادة هو الوصف المعجز . وفرق بين ان يقال لا بد ان يكون خارقا للمادة وبين ان يقال كونه خارقا للمادة هو المؤثر فان الاول يجعله شرطا لا موجبا والثانى يجعله موجبا<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) انظر الرد على هذا المذهب ( فى المبحث الاول ) معنى خوارق العادات ( ص ٢٤ ) من هذه الرسالة .

( ٢ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ٣١ ) .

وقال ايضا : ولهذا لم يسمها الله في كتابه الا آيات وبراهين ، فبان ذلك اسم يدل على مقصودها ويختص بها لا يقع على غيرها ، لم يسمها معجزة ولا خرق عادة وان كان ذلك من بعض صفاتها ، فهي لا تكون آية وبرهانا حتى تكون قد خفقت العادة وعجز الناس عن الاتيان بمثليها ، لكن هذا بعض صفاتها وشرط فيها وهو من لوازمها لكن شرط الشيء \* ولا زمة قد يكون اعم منه .<sup>(١)</sup>

وقد رد ايضا على من جعل التحدى وعدم الممارسة والدعوى هي خاصة المعجزة . فقال : وايضا فان هامة معجزات الرسول لم يكن يتحدى بها ويقول اعنتوا بمثلها . والقرآن انما اشعدهم لما قالوا انه افتراه ولم يتحد بهم به ابتداء ، وسائر المعجزات لم يتحد بها وليس فيما نقل تحدى الا بالقرآن ، لكن قد علم انهم لا يأتون بمثل آيات الانبياء . فهذا لازم لهما لكن ليس من شرط ذلك ان يقارن خبره . وايضا فن آيات الانبياء ما كان قبيل ولادتهم وقيل انبائهم وما يكون بعد موتهم . . . . وهذا الدليل لا يختص لا بمكان ولا زمان . . . . واما قولهم خاصة المعجز عدم الممارسة فهذا باطل ، وان كان عدم الممارسة لازما له ، فان هذا عدم لا يعلم ان يمكن ان يعارضه من ليس هناك اذا كان ما يعلم انه محتك مثل خوارق السحرة والكهان ، فانه وان لم يمكن ان يعارض في هذا الموضع ففي السحرة والكهان من يفعل مثلها مع انه ليس بنبي . . . . . وانا قالوا الدليل هو مجموع الدعوى والدليل

---

( ١ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ٢٢٠ ) .

تبين خطأهم وان القوم لم يعرفوا دلائل النبوة ولا اقاموا دليلا على نبوة الانبياء . . . . وايضا مسيلمة والنسب لم يكن عندهما من يمارضهما (١) .

ويقول ابن حزم : ومن ادعى ان افعالة الطبيعة لا تكون آية الا حتى يتحدى فيها النبي صلى الله عليه وسلم الناس فقد كذب وادعى ما لا دليل عليه اصلا لا من عقل ولا من نص قرآن ولا سنة وما كان هكذا فهو باطل ويوجب من هذا ان حنين الجذع واطعام النفر الكثير من الطعام اليسير حتى شبعوا وهم مئون من صاع شعير ونبتان الماء من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم واروا الف واربعماية من قدح صغير تضيق سعته عن الشبر ليس شيء من ذلك آية له عليه السلام ، لانه عليه السلام لم يتحدى بشيء من ذلك احدا (٢) .

اقول : الذى ييدو فيما قاله ابن تيمية فى رده على من جعل خرق العادة من خصائص المعجزات بحيث اذا وجد الخارق وجدت المعجزة وهذا الرد ينصب بالخصوص على المعتزلة ومن هذا حدوهم فانهم جعلوا خرق العادة من خاصة المعجزات مما ادى بهم الى انكار كرامات الاولياء وما يظهر على ايدى السحرة .

والصحيح هو ما ذهب اليه ابن تيمية وهو ان خرق العادة شرط فنى

---

( ١ ) النبوات - لابن تيمية (ص ٢٠٩) .

( ٢ ) المحلى - لابن حزم (١ : ٣٦) .



المعجزة وليس من خصائصها .

اما رده على من جعل عدم المعارضة والتحدى الذي هو دعوى الرسالة ما تتميز به المعجزة عن غيرها فهذا الرد ينصب على الاشاعة لانهم جعلوا المعجزة والكرامة والسحر من جنس واحد وهذه الشروط لا تؤدي الغرض والمطلوب في تمييز المعجزة عن غيرها ، فهذا ما حدا بابن تيمية فسي عدم تسليمه بهذه الشروط في تمييز المعجزة عن غيرها . وقد اشار الى نقض هذه القضية في قصة مسيلمة والحنسي فانهما ادعيا النبوة واطهرا عليها خوارج وتحديا بها ولم يمارضا .

واما ما ذكره ابن تيمية وابن حزم من انكارهما على من جعل التحصى شرطا لازما بحيث لا تكون الاية آية او معجزة حتى يتحدى بها . فاقبول ان التحدى يكون على وجهين :

الاول : التحدى الحقيقي الصريح وهو المطالبة بالمثل وهذا هو الذى انكره ابن تيمية وابن حزم وما ذهبوا اليه هو الصواب فان الاية والمعجزة تثبت وان لم يصح بطلب المثل .

الثانى : التحدى الحكيم وهو اظهار الدليل على الدعوى فانه ينزل منزلة التحدى الصريح وان لم يصح بذلك وهذا ما اشار اليه الشمرانى وما يؤيده ابن تيمية عند قوله : والله تعالى لم يقل فليأتوا

بحدِيث مثله الا حين قالوا افتراه لم يجعل هذا القول شرطا في الدليل<sup>(١)</sup> .  
واما انكار ابن تيمية على من شرط مقارنة المعجزة للدعوى فانما كان  
انكاره على ما ذهب اليه المعتزلة من جعلهم مقارنة المعجزات للدعوى شرطا  
لازما ما ادى بهم الى تأويل بعض المعجزات كاظلال الفمامة بانها معجزة  
لنبي في الوقت كما سبق بيانه على ان ابن تيمية لم ينف هذا الشرط ولا غيره  
من الشروط السابقة عن الايات عموما بل نوه بوجود آيات تتوفر فيها جميع هذه  
الشروط ولملها هي التي يطلق عليها لفظ المعجزات في الاصطلاح .  
فهو يقول : فقد تبين انه ليس من شرط دلائل النبوة لاقتترانه  
بدعوى النبوة ولا الاحتجاج به ولا التحدي بالمثل ولا تقريع من يخالفه ، بل كل  
هذه الامور قد تقع في بعض الايات ، لكن لا يجب ان مالا يقع معه لا يكون آية  
بل هذا ابطال لاكثر آيات الانبياء لخلوها من هذا الشرط<sup>(٢)</sup> .  
فانت تراه يتحدث هنا عن آيات الانبياء عموما وهي التي تسمى  
آيات النبوة ودلائل واعلام النبوة .

رأى شيخ الاسلام ابن تيمية في المعجزة .

يقول ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح : والايات والبراهين . . . .

( ١ ) النبوات - لابن تيمية (ص ١٥٢) .

( ٢ ) المرجع السابق (ص ١٥٢) .

ويسمى من يسميها من النظار معجزات، وتسمى دلائل النبوة واطلام النبوة ونحو ذلك وهذه الالفاظ اذا سميت بها آيات الانبياء كانت ادل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ " المعجزات " موجودا فى الكتاب والسنة، وانما فيه لفظ " الاية " و " البينة " و " البرهان " .

واما لفظ المعجز، فانما يدل على انه اعجز غيره كما قال تعالى " وما هم بمعجزين " . . . وهذا اللفظ لا يدل على كون ذلك آية ودليلا اذا فسر المراد به، وذكر شرايطه ولهذا كان كثير من اهل الكلام لا يسمي معجزا الا ما كان للانبياء فقط، وما كان للاولياء ان اثبت لهم خرق عادة سماها كرامة . والسلف - كأحمد وغيره - كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ويقولون لخوارق الاولياء انها معجزات، اذا لم يكن فى اللفظ ما يقتضى اختصاص الانبياء بذلك (١) .

ثم يقول : وآيات النبوة وبراهينها تكون فى حياة الرسول، وقبل مولده وبعد ماته لا تختص بحياة فضلا عن ان تختص بحال دعوى النبوة او حال التحدى كما ظنه بعض اهل الكلام، بل لا بد من آيات فى حياته تدل على صدقه تقوم بها الحجة، وتظهر بها المحجة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح " ما من نبي من الانبياء الا وقد اوتى من الايات ما آمن على مثله البشر، وانما كان الذى اوتيته وحيا او حاه الله

(١) انظر الجواب الصحيح - لابن تيمية (٤: ٦٧، ٦٩، ٧٠) .

الى فارجهو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة<sup>(١)</sup> .

ويقول ايضا : ومن آيات الانبياء اهلاك الله لمكذبيهم ونصره للمؤمنين بهم فهذا من اعلام نبوتهم ودلائل صدقهم ، كما غرق الله قوم نوح لما كذبوه وكاهلاك قوم عاد بالريح الصرصرة ، واهلاك قوم صالح بالصيحة ، واهلاك قوم شعيب بالظله ، واهلاك قوم لوط بقلب مداينهم ورجسهم بالحجارة وكاهلاك قوم فرعون بالخرق . وقد ذكر الله هذه القصص في القرآن في غير موضع ، وبـ  
انها من آيات الانبياء الدالة على صدقهم<sup>(٢)</sup> .

اما في كتابه النبوات فيقول : ( فصل ) وحقيقة الامران ما يدل على النبوة هو آية على النبوة وبرهان عليها ، فلا بد ان يكون مختصا بها ، لا يكون مشتركا بين الانبياء وغيرهم ، فان الدليل هو مستلزم لمدلولة ، لا يجب ان يكون اعم وجودا منه ، بل اما ان يكون مساويا له في العموم والخصوص ، او يكون اخص منه ، وحينئذ فآية النبي لا تكون لغير الانبياء<sup>(٣)</sup> .

ويقول ( التاسع ) ان يقال آيات الانبياء لا تكون الا غارقة للمصادرة ولا تكون مما يقدر احد على معارضتها ، فاختصاصها بالنبي وسلامتها من

( ١ ) الجواب الصحيح - لابن تيمية ( ٤ : ٢٥١ ) .

( ٢ ) المرجع السابق ( ٤ : ٢٥٤ ) .

( ٣ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ١٢ ) .

المعارضة شرط فيها بل وفى كل دليل<sup>(١)</sup> .

يريد ابن تيمية بقوله " وفى كل دليل " اى اختصاص الدليل بالمدلول عليه والسلامة من المعارضة شرط فى كل دليل .

ثم يقول ابن تيمية : واما آيات الانبياء التى بها تثبت نبوتهم وبها  
وجب على الناس الايمان بهم فهى امر يخص الانبياء لا يكون للاولياء ولا لغيرهم.<sup>(٢)</sup>  
ويقول ايضا ( التاسع ) ان خوارق غير الانبياء والصالحين من السحرة  
والكهان اهل الشرك والبدع تال بافعالهم كعباداتهم وشركهم وفجورهم  
ونحو ذلك .

واما آيات الانبياء فلا تحصل بشئ من ذلك بل الله يفعلها آية  
وعامة لهم ، وقد يكرمهم بمثل كرامات الصالحين واعظم من ذلك مما يقصد به  
اكرامهم ، لكن هذا النوع يقصد به الاكرام والدلالة بخلاف الايات المجردة  
كانشق القمر وقلب العصا حية واخراج يده بيضا والاتيان بالقرآن والاخبار  
بالغيب الذى يختص الله به فاموالايات الى الله لا الى اختيار المخلوق.<sup>(٣)</sup>

اقول هذا الذى ذكره ابن تيمية هو الصواب لكن اذا امتت النظر

- (١) النبوات - لابن تيمية (ص ١١٤)
- (٢) المرجع السابق (ص ٢٣٢)
- (٣) المرجع السابق (ص ٣٠٠)

فينا قاله وفيما اوردته من نصوص وجدته يتحدث عن الايات ههنا قيل مولد النبي وفي حياته وبعد موته وما فضل به بين الانبياء واممهم ويعتبرها آيات ودلائل على النبوة وهذا كلام في غاية الصحة .

ويقول ان من النظار من يسميها معجزات والذي يبدوا انهم المعتزلة فانهم يسمون جميع آيات الانبياء معجزات كما هو الواضح من مذهبيهم ومذهب ابن حزم ، بخلاف الاشاعرة فانهم يحتبرون من الايات الواقعة للانبياء كرامات ويسمونها ارهاصا ومنها معجزات ويصفونها باوصاف ويشترطون لها شروطا كما سبق بيانه .

وقد جاء في نصوص ابن تيمية السابقة ما يشير الى ان من الايات ما لا بد من وجوده في حياة النبي لتقوم به الحجة وتظهر به المحجة واستدل بالحديث الصحيح " ما من نبي من الانبياء الا وقد اوتي من الايات ما على مثله آمن البشر " . . . الحديث (١)

وذكر ايضا ان من الايات ما تكون للانبياء خاصة فلا توجد للاولياء ولا لغيرهم وان منها ما يكون لهم - اي للانبياء - على سبيل الاكرام فالذي يظهر من استقراءي للكلام ابن تيمية في تحقيقه للفظ المعجز وفي تقسيمه للايات ان منها آيات خاصة لاقامة الحجج وآيات عامة قد يكون فيها معنى الاكرام فهي دلائل وعلامات .

(١) صحيح البخارى (١١٣: ٩) ، صحيح مسلم (١: ١٣٤) .

فالايات الخاصة تمثل المعجزات والايات العامة تمثل دلائل النبوة  
واعلام النبوة فكل معجزة علامة ودلالة على النبوة وليس كل علامة ودلالة على  
النبوة معجزة بالمعنى الاصطلاحي ، اما بالمعنى اللغوي فقد تطلق  
المعجزات على اعلام النبوة ودلائلها كما نقل ذلك ابن تيمية عن السلف كأحمد  
وفيره .

يقول شيخ الاسلام ابن حجر في فتح الباري عند شرح علامات النبوة  
العلامات جمع علامة ، وعبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك اعم من المعجزة  
والكرامة والفرق بينهما ان المعجزة اخص لانه يشترط فيها ان يتحدى النبي  
من يكذبه بان يقول : ان فعلت كذا اصدق بانى صادق ؟ او يقول ممن  
يتحداه : لا اصدقك حتى تفعل كذا ويشترط ان يكون المتحدى به ممسا  
يمجز عنه البشر في العادة المستمرة .<sup>(١)</sup>

ويقول الباقلاني في كتابه الانصاف : ويجب ان يعلم ان صدق مدعى  
النبوة لم يثبت بمجرد دعواه ، وانما ثبتت بالمعجزات وهى افعال الله تعالى  
الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الانبياء . وتحديهم للامم بالاتيان بمثل  
ذلك .<sup>(٢)</sup>

---

( ١ ) فتح الباري - لابن حجر ( ٦ : ٥٨١ ) .

( ٢ ) انظر الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به - للقاضي

الباقلاني ( ص ٦١ ) .

اقول وبعد معرفة اقوال العلماء وآرائهم في المعجزة يحسن بنا ان نقدم تعريفا مستخلاصا مما سبق فنقول :

المعجزة : امر يجريه الله على يد النبي على وجه الطلب او الاشداء او يكون خارقا لقوانين الطبيعة وخواص المادة ومجردا عن الاسباب والمسببات المعتادة على وجه يفوق طاقات الائن والجن . ويتحدى به النبي قومه فلا يستطيع احد ممارضته بمثله على الوجه الذي تحداهم به .

#### شروط المعجزة :

- ( ١ ) ان تكون باذن الله وانجازه فليس للنبي الا الدعاء حتى يأذن الله فيها . قال تعالى " وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله <sup>(١)</sup> .
  - ( ٢ ) ان تكون خارقة للمادة المألوفة في الكون من غير ارتباط بالاسباب المعروفة للبشر، ان لو كانت معروفة لاسباب لم تكن خارقة للمادة .
  - ( ٣ ) ان يتحدى بها النبي قومه وهو التحدى الحكيم فليس التحدى الصريح شرطا فيها واذا فسر التحدى بما قاله ابن حجر كان المعنى واضحا <sup>(٢)</sup> .  
فالتحدى يفهم من واقع الحال والمقام عند دعوى النبي وظمور
- المعجز .

---

( ١ ) سورة الرعد : ٣٨ .

( ٢ ) انظر ما قاله ابن حجر في معنى التحدى ( ص ٥٥ ) من هذه الرسالة .



( ٤ ) ان لا يمكن معارضتها بمثلها وعلى الوجه الذى وقع التحدى به ففى  
اى زمان او مكان وهذا حقيقة الاعمجاز فيها وهو مطابقة اسمها  
لسمها .

( ٥ ) ان لا تكون متقدمة على دعوى النبوة بل مقارنة لها او بعدها على  
ان تكون فى حياة النبي ، فما كان خارجا عن ذلك فهو من دلائل  
النبوة وعلاماتها<sup>(١)</sup> .

---

( ١ ) انظر مقاله ابن تيمية ( ص ٥١ ) من هذه الرسالة .

## الكرامة

### الكرامة في اللفظة :

- قال في لسان العرب: كرم : الكرم : من صفات الله واسماءه  
وهو الكثير الخير الجواد العطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكرم المطلق .  
والكرم : اسم جامع لكل ما يحمد، قاله عز وجل كرم حميد أفعال .  
ابن سيده : الكرم نقيض اللئيم .  
وقد كرم الرجل وغيره ، بالضم كوما وكوامة .  
والتكريم والاكرام بمعنى ، الاسم منه الكرامة . قال ابن برب ، وقال ابو  
المثلّم " ومن لا يُكرم نفسه لا يُكرم " .  
واكرام الرجل وكرمه : اعظمه ونزّهه .  
قال الاخفش : وقرأ بعضهم ومن يهن الله فماله من مكرم ، بفتح الراء  
اي اكرام . والكرامة : اسم موضع للاكرام (١) .  
اقول : ان الكرامة بهذا المعنى اللفوي من الاسماء الجامعة فهي  
تطلق على كل انعام حسي او معنوي وهي ضد الالهانة وخير الاكرام ما كان  
من الله عز وجل .

---

(١) انظر لسان العرب (١٢ : ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢) .

الكرامة في اصطلاح المتكلمين :

والكرامة في الاصطلاح ، اعني اصطلاح المتكلمين - الامر الخارق للمادة يجزيه الله على يد عبد صالح له متبع للشرع فاذا كان غير متبع للشرع فهو استدراج واهانة (١) .

ثبوت الكرامة بالمعنى الاصطلاحى :

لقد درج العلماء من السلف والخلف على ذكر الكرامة الخارقة للمادة وذكر وقائعها المتكاثرة بما لا يدع مجالاً للشك في وقوعها لاسيما اهل الكلام فقد ادرجوها في انواع خوارق العادات وقرروها في كتبهم الا ما كان ممن المعتزلة وابن حزم فقد انكروها وسنورده مذهبهم فيما بعد ان شاء الله تعالى .

ادلة ثبوتها :

لقد ثبتت الكرامة الخارقة للمادة بالكتاب والسنة والمقل .

اولا : ثبوتها بالكتاب الكريم :

لقد ثبتت الكرامة بما ورد في القرآن الكريم من قصة مريم الصديقة

( ١ ) انظر الاولياء والكرامات - محمد عبد الظاهر ( ص ٣ ) .

حيث وجد الرزق عندها بلا سبب ظاهر فكانت تتنعم بفاكهة الصيف في الشتاء  
وبفاكهة الشتاء في الصيف . قال تعالى " كلما دخل عليها زكريا المحراب  
وجد عندها رزقا ، قال يا مريم انى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله ، ان الله  
يرزق من يشاء بغير حساب <sup>(١)</sup> .

وكذلك حضور العرش لصاحب سليمان عليه السلام قبل ارتداد الطرف  
مع بعد المسافة بين ارض اليمن وبلاد الشام . قال تعالى " قال الذى  
عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقسرا  
عنده قال هذا من فضل ربي " . . . . . الاية <sup>(٢)</sup>

ثانيا : ثبوتها بالسنة .

اثبتت السنة المطهرة الصحيحة وقوع الكرامة على وجه نقض العادة فمنها :

( أ ) تكليم الطفل ببراعة جريج الراهب من الفاحشة . فقد شهد الطفل  
على رؤوس الاشهاد بنزاهته مما اتهمه به القوم . فكان كرامة ظاهرة  
له وقد وردت هذه القصة بطريق صحيحة <sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) سورة آل عمران : ٣٧ .

( ٢ ) سورة النمل : ٤٠ .

( ٣ ) انظر صحيح مسلم ( ٤ : ١٩٧٦ ) كتاب البر والصلة - طبعة بيروت .

( ب ) انفراج الصخرة عن الثلاثة بعد ان وقفت عليهم وسدت عليهم المنافذ

فتوسلوا الى الله بصالح اعمالهم ففج الله عنهم وخرجوا سالمين <sup>(١)</sup> .

( ج ) منقبة أسيد بن خضير وعباد بن يشر حين خرجا من عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فكان بين ايديهما نور وكانا

يمشيان في ضوئه فلما افترقا افترق النور معهما فكان لكل منهما

نور يمشى في ضوئه حتى بلغ منزله <sup>(٢)</sup> .

( د ) وجود عنقود من المنب في غير اوانه لخبيب الصحابي عندما اسره

المشركون لما ارادوا قتله .

وكذلك قصة الصحابي الجليل حاصم بن ثابت عندما قتله المشركون

ويعثوا من يأتيهم بشيء من جسده لتصرفه قريش فيميت الله عليه مثل الظلّة

من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء <sup>(٣)</sup> .

ثالثا : ثبوتها بالمقل .

واما بالمقل فاذا كان الله لا يكوم اولياءه واحبابه فمن يكوم <sup>(٤)</sup> ؟

( ١ ) انظر صحيح البخارى ( ٤ : ٢٠٩ ، ٢١٠ ) مطبعة البايى بصر .

( ٢ ) صحيح البخارى ( ٥ : ٤٤ ) ، فتح البارى - لابن حجر ( ٢ : ١٢٥ ) .

( ٣ ) صحيح البخارى ( ٥ : ١٣٢ ) .

( ٤ ) الاولياء والكرامات - محمد عبد الظاهر ( ص ٥ ) .

يقول الرازي : ان تشریف الله تعالى عبده بمعرفته ومحبه اعظم من اعطاه رغيفا في المفازة او شقيه شربة من الماء فاذا لم يبعد الاول كيف يبعد الثاني (١) .

اقول : وبعد ان ذكرنا تعريف الكرامة في اصطلاح المتكلمين وعرفنا ادلة ثبوتها بما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة والعقل ينبغى لنا ان نعرف موقف المتكلمين من الكرامة بشئ من التفصيل .

#### اولا : موقف المعتزلة من الكرامة .

ينكر المعتزلة ظهور الكرامة على الاولياء الصالحين وعمدتهم فسى ذلك ان الكرامة خارقة للمادة . عند من يقول بوقوعها - فهي كالمعجزة في انخراق العادة والخوارق لا تظهر على يد غير الانبياء وقد وافقهم على ذلك ابن حزم (٢) .

اما موقفهم من الادلة التي اثبتت وقوع الكرامة والتي ذكرنا نموذجاً منها فهم يتأولون ذلك . فمثلا يجعلون ما وقع لمریم معجزة لزيكها وارهاساً (٣)

---

( ١ ) انظر الاربعين في اصول الدين - للرازي (ص ٣٨٦) .

( ٢ ) راجع المفنى - للقاضى عبد الجبار (٥: ٢٤١) ، المحلى - لابن حزم

( ١ : ٣٦ ) .

( ٣ ) الارهاس : ما يقع قبل النبوته تهيدا لها .

لميسى وهكذا .

يقول احد المؤلفين ردا على تأويل الممترلة : انك ترى ان زكريا نفسه متمجب من وجود الرزق عند مريم وما يدل على انه ليس ذا صلة بالامر . ثم انه انتفع من مشاهدته الرزق عندها ، ان ذكر عظيم كرم الله وحسن صنيمه باحبابه فدعا ربه ان يرزق امرأته العاقرة ولدا ، ويدلك على هذا ان اللطيف قد اعقب الآية السالفة - يريد " كلما دخل عليها زكريا . . . الآية - بقوله تعالى " هنا لك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء " .

ولا ارى ان الرزق ارهاص بميسى ، لان سياق الايات يشير الى انه سابق على الحمل به فضلا عن ولادته بوقت غير قليل ، ويبدو ان القرآن سياق قصة الرزق عند مريم ليبين اهليتها للمكانة التي احلها الله فيها ، ويبدل على براءتها وصدقها . فالآية في صدر تعداد فضل الله على مريم لقوله قبلها " فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتنا نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما . . . (١)

اقول هذا هو الواقع في عموم وقائع الكرامة فان السياق وقرائن الاحوال تمنع من تأويلها على انها معجزات الا بتكليف يمنعه العقل والذوق السليم واذا لم يستقم تأويل ما وقع لمريم على انه معجزة وارهاص مع معاصرة مريم

( ١ ) انظر المعجزة الخالدة .. لحسن ضياء الدين ( ص ٣٠ ) .

للانبياء ووجود الصلة بينها وبين زكريا ويسي فكيف يتأول ما وقع في غير عصر النبوة ؟ كحال اهل الكهف وهي ان الله سبحانه وتعالى ابقاهم ثلاثمائة سنة وازيد نياما احياء بلا آفة ولم يكونوا انبياء اجماعاً (١) .

ولعل السبب الذي حدا بالمعتزلة ومن وافقهم الى انكار الكرامة هو حصول الالتباس بين المعجزة والكرامة .

وقد رد بعض الملما على مذهب المعتزلة حين انكروا ما هو مشهود ومعلوم بالتواتر .

فقال ابن تيمية ردا على ذلك : والمنازع لهم يقول هي - اي الكرامات موجودة مشهودة لمن شهدها وتواترة عند كثير من الناس اعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الانبياء . وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الانبياء فكيف يكذبون بما شهدوه ويصدقون بما غاب عنهم ويكذبون بما تواتر عندهم اعظم مما تواتر غيره (٢) .

ويقول الباجوري ردا على مذهبهم وازالة لما التمس عليهم . يقول : ومن نفى الكرامة وقال بعدم جوازها كالأستاذ - يريد الاسفرايني - واي عبد الله الحلبي من اهل السنة وجمهور المعتزلة اطرحن كلامه ولا تعمل عليه . . . . .

---

( ١ ) الموافق بشرح الجرجاني ( ٨ : ٢٨٩ ) .

( ٢ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ٣ ) .



وتمسك من نفي الكرامة بانه لو ظهرت الخوارق من الالولياء لا التيس النبي بغيره لان الخارق انما هو المعجزة وبانها لو ظهرت على ايديهم لكثرت بكثرتهم وخرجت عن كونها خارقة للمادة والفرغائها كذلك ورد الالول بانه ليس في وقوعها التباس النبي بغيره للفرق بين المعجزة والكرامة يدعوى النبوة في الالولى وعدمها في الثانية ورد الثاني باننا لانسلم انها تخرج بكثرتها عن كونها خارقة للمادة بل غاية الامر استمرار خرق المادة وذلك لا يوجب كونه عادة (١).

ويقول ابن تيمية - موضحا انه لا يتنافى وجود الكرامات مع المعجزات - وما ذكره المعتزلة وغيرهم كابن حزم من ان آيات الانبياء مختصة بهم كلام صحيح لكن كرامات الالولياء هي من دلائل النبوة فانها لا توجد الا لمن اتبع النبي الصادق فصار وجودها كوجود ما اخبر به النبي من الغيب (٢).

اقول : لا شك ان ما ذهب اليه المعتزلة ومن وافقهم في انكار الكرامات مخالف للصواب . وذلك لشبهت الكرامات بالنصوص القرآنية التي يستبعد فيها التأويل وبالاحاديث الصحيحة التي تفيد في مجموعها التواتر المعنوي وبالمقل الذي لا يحيل وقوعها . واذا كان خشية الالتباس بين المعجزة والكرامة لكونها مشتركين في انخراق المادة فليس

( ١ ) راجع حاشية الباجوري - المسماة بتحفة المريد - لابراهيم الباجوري

• (ص ١٣٩)

( ٢ ) انظر النبوات - لابن تيمية (ص ١١٥) •

هذا مبررا لانكار الكرامة لان خرق المادة شرط في المعجزة ولا يتمتع وجود  
الشرط في المشروط وفي غيره . ولكن الالتباس يزول بالفوارق المعروفة بين  
المعجزة والكرامة والتي سنذكرها في المبحث الاتي ان شاء الله تعالى  
وهو الفرق بين المعجزة والكرامة .

### ثانيا : رأى الاشاعرة في الكرامة .

يقول الجرجاني في شرحه على المواقف : اما جوازها - اى الكرامة -  
فظاهر على اصولنا وهى ان وجود الممكنات مستند الى قدرته الشاملة  
لجميعها فلا يتمتع شىء منها على قدرته . . . ولا شك ان الكرامة امر ممكن  
اذ ليس يلزم من فرض وقوعها محال لذاته . واما وقوعها فلقصة مريم رضى  
الله عنها حيث حطت بلا ذكر ووجد الرزق عندها بلا سبب وتساقت عليها  
الرطب من النخلة اليابسة . . . وقصة اصحاب الكهف وهى ان الله سبحانه  
وتعالى ابقاهم ثلاثمائة سنة وازيد نياما احياء بلا آفة ولم يكونوا انبياء  
اجمعا (١) .

ويقول الامير فى حاشيته : والكرامة امر خارق للمادة غير مقرون  
بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها يظهر على يد عبد ظاهر الضلاح ملتزم لمتابعة  
نبي كلف بشريعته محبوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها اولم

(١) المواقف بشرح الجرجاني (٨ : ٢٨٨ ، ٢٨٩) .

يعلم فدخل في قولنا امر خارق جنس الخوارق وخرج بغير مقرون بدعوى النبوة  
المعجزة وينفي مقدماتها الارهاص ويظهر الصلاح ما يسمى معونة مما  
يظهر على يد بعض العوام وبالتزام متابعه نبي ما يسمى اهانة كالخسوارق  
المؤكدة لكذب الكاذبين كبصق مسيلمة في البئر وبالصحوية بصحيح الاعتقاد  
الاستدراج كما خرج السحر من جهات عدة (١).

اقول : اما مذهب الاشاعرة في اصل وقوع الكرامة فهو موافق لما عليه  
السلف لكن الخلاف في قولهم " فدخل في قولنا خارق جنس الخوارق " وهذا  
يدل على جعلهم الكرامة من جنس السحر وهو الواضح من قولهم " كما  
خرج السحر من جهات عدة " فهذا يبين ان جنس السحر داخل في جنس  
ما دخلت فيه الكرامة في رأى الاشاعرة .

يقول ابن تيمية تبينا لهذا وردا عليه : فاتي هؤلاء - يريد الاشاعرة -  
فاثبتوا ما اثبته الفقهاء واهل الحديث من السحر والكهانة والكرامات ، لكن  
قليل لهم فميزوا بين هذا وبين المعجزات ، فقالوا لافرق في نفس الجنس  
..... لكن جنس خرق المادة واحد (٢).

ثم قال : وان من قال ان آيات الانبياء والسحر والكهانة والكرامات

---

( ١ ) حاشية الامير على شرح عبدالسلام على الجوهرة (ص ١٥٤) .

( ٢ ) النبوات - لابن تيمية (ص ١٠٩) .

وغير ذلك من جنس واحد فقد غلط (١)

اقول : الذى ارى ان الصواب ما قاله ابن تيمية وهو ان جنس الكرامة  
مخالف لجنس السحر، اذ ان السحر امر عادى عند من يتماطى اسيابه .

### حقيقة الكرامة .

لا شك ان الكرامات هبة الهية يكرم بها الله عز وجل من يشاء من  
اوليائه المتقين ، وليس للكرامات انواع محددة بل الله يكرم من يشاء بما يشاء  
ولكن بعض العلماء قد اخذ في تعدد الكرامات واكثر من ذكر انواعها حتى  
خرجت هذه الانواع عن قبولها عقلا وذكرا .

يقول المناوى فى كتابه " ارغام اولياء الشيطان " عند تعدده لانواع  
الكرامات التى تحصل للاولياء يقول : ومنهم - اى الاولياء - من يرفع له عسك  
الجنان ومراتب درجاتها وجهنم ومراتب درجاتها وتفاضل عذابها . . . .  
من ينطق بالكهن قيل ان يكون والاخبار بالمغيبات قبل حصول اعيانها فى  
الوجود . (٢)

---

( ١ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ٢٩٢ ) .

( ٢ ) راجع ارغام اولياء الشيطان بذكر مناقب اولياء الرحمن - مخطوط برقم

١٩٧ مكتبة الحرم المكى ( تنبيه ) الصفحات غير مرقمة .

ويقول ابن تيمية في ذلك : لكن من الناس من يدعى له من الكرامات  
 ما لا يجوز ان يكون للانبياء كقول بعضهم : ان لله عبادا لو شاءوا من الله  
 ان لا يقيم القيامة لما اقامها . وقول بعضهم انه يعطى كمن ، اى شىء  
 اراده قال له كمن فيكون ، وقول بعضهم : لا يعزب عن قدرته ممكن كما لا يعزب  
 عن قدرة ربه محال . فانه لما كثرت الفحولة من يقول بالحلول والاتحاد  
 والهيبة بضم البشر - كما قاله النصارى في المسيح - صاروا يجعلون ما هو من  
 خصائص الربوبية لبعض البشر وهذا كفر .<sup>(١)</sup>

وايضا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمة الله عليه : فالاولياء  
 دون الانبياء والمرسلين ، فلا تبلغ كرامات احد قط مثل معجزات المرسلين ، كما  
 انهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب الى درجاتهم .<sup>(٢)</sup>

واما الايات الصغرى فقد تكون للصالحين مثل تكثير الطعام ، فهذا  
 قد وجد لغير واحد من الصالحين ولكن لم يوجد كما وجد للنبي صلى الله  
 عليه وسلم انه اطعم الجيش من شىء يسير .<sup>(٣)</sup>

ويقول شيخ الاسلام ابن حجر : والمشهور عند اهل السنة اثبات

( ١ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ٢٨٤ ) .

( ٢ ) المرجع السابق ( ص ٦٥٥ ) .

( ٣ ) المرجع السابق ( ص ٢١١ ) .

الكرامات مطلقا - اى الخارقة وغير الخارقة - لكن استثنى بعض المحققين منهم  
كأبى القاسم القشيري ما وقع به التحدى لبعض الانبياء فقال : ولا يصلحون  
الى مثل ايجاد ولد من غير اب ونحو ذلك . وهذا اعدل المذاهب فـ  
ذلك<sup>(١)</sup> .

اقول : والحاصل ان الكرامة الخارقة للمادة ثابتة الوقوع لثبوت  
الادلة الصحيحة وصراحتها بذلك ، واما بنوعها فهي نماذج مصفورة لا تبلغ  
الى درجة معجزات الانبياء خلافا لمن ذكر انواعا يرد لها العقل المستسير  
والذوق السليم . . . وبالله التوفيق . . .

---

( ١ ) فتح الباري شرح صحيح البخارى - لابن حجر ( ٢ : ٣٨٣ ) .

### الفرق بين المعجزة والكرامة

ليس الفرق بين المعجزة والكرامة بالامر اليسير، إذ ان كل منهما  
تدل على مدلولها الخاص فالمعجزة تدل على صدق النبي في نبوته ورسالته  
والنبوة ذات شأن عظيم فهي عطية جراحية في اعماق القلوب تستهدف تفييرا  
في الاتجاه والسلوك البشرى .

واما الكرامة فهي تدل على صدق متابعة الولي لشرع نبيه دلالة اولية  
كما تدل على صدق النبوة دلالة ثانوية . لذا فقد انكر بعض الطوائف من  
المتكلمين - كالمعتزلة - ظهور الكرامة للاولياء لثلا يؤدي وجودها الى  
اشتباهاها بالمعجزة فيؤدي بالتالى الى فساد دلالة المعجزة .

ولعل السبب الذى حدا بمن انكر الكرامة هو عدم وجود الفسواق  
الحاسمة بين المعجزة والكرامة لاسيما وانه قد نقل ان من المعجزات ما ظهر  
مثله كرامة للاولياء .

يقول ابن تيمية : " وقد يكون احيا الموتى على يد اتباع الانبياء كما  
قد وقع لطائفة من هذه الامة ومن اتباع عيسى " (١)

ولاشك ان فيما قاله ابن تيمية تصريحاً بظهور مثل معجزة النبي كرامة  
للولى وهنا يظهر سراختلاف العلماء وتشعب آرائهم في الفرق بين المعجزة

---

( ١ ) انظر النبوات - لابن تيمية (ص ٢١٣) .

والكرامة، وقيل الحديث عن الفرق بين المعجزة والكرامة يجب ان نعرف ان الفرق ليس بين معجزة لذاتها وبمينها وكرامة لذاتها وبمينها ولكن الفرق يكون بين معجزات متنوعة وكرامات متنوعة وليس على الله تعالى حجر فـسـى افعاله فله سبحانه وتعالى ان يجري ما يشاء من المعجزات والكرامات وفقا لمدله وهكتمه .

يقول ابن تيمية في ذلك : " ولهذا تنوعت آيات الانبياء بل النبي الواحد تنوع آياته ، فليس القرآن الذي هو قول الله وكلامه من جنس انشقاق القمر ولا هذا وهذا من جنس تكثير الطعام والشراب كبيع الماء من بسوسن الا صابغ ، وهذا كما ان آيات الرب الدالة على قدرته ومشيئته وحكمته وامره ونهيه لا تختص بنوع فكذلك آيات انبيائه ، فهذا ما ينبغي ان يعرف (١) .  
وبعد معرفة هذا فلنذكر ما قاله العلماء حول الفرق بين المعجزة والكرامة وذلك بعد تبين مكانة الكرامة من المعجزة .

#### منزلة الكرامة من المعجزة .

لا شك ان لفظ المعجزة يختلف في مدلوله عند المتكلمين ما كان عليه عند السلف . فالمعجزة عند المتكلمين تطلق على الايات الخاصة بالانبياء والتي حدوا لها حدودا وشرطوا لها شروطا .

( ١ ) النبوات - لابن تيمية (ص ٢٣٢) .



اما السلف فلم يكن يقتضى هذا اللفظ اختصاص الانبياء به دون الاولياء  
يقول ابن تيمية : " ولهذا كان كثير من اهل الكلام لا يسي مجزا الا ما كان  
للانبياء فقط ، وما كان للاولياء ان اثبت لهم خرق عادة سماها كرامة والسلف  
- كأحمد وغيره - كانوا يسمون هذا وهذا - اى المعجزة والكرامة - مجزا  
ويقولون لخوارق الانبياء انها معجزات اذا لم يكن فى اللفظ ما يقتضى  
اختصاص الانبياء بذلك (١) .

ويقول : " وقد ذكر غير واحد من العلماء ان كرامات الاولياء معجزات  
لنبيهم وهى من آيات نبوته ، وهذا هو الصواب كقصة ابي مسلم الخولانى  
وغيره مما جرى لهذه الامة من الايات ، ومثل ما كان يظهر على ايدى الحواريين  
وعلى يد موسى واتباعه (٢) .

ويقول ايضا : وعلى هذا فكرامات الاولياء هى من آيات الانبياء فانها  
مختصة بمن شهد لهم بالرسالة ، وكل ما استلزم صدق الشهادة بنبوتهم  
فهو دليل على صدق هذه الشهادة سواء كان الشاهد بنبوتهم المخبر بها  
هم او غيرهم ، بل غيرهم اذا اخبر بنبوتهم واظهر الله على يديه ما يدل على  
صدق هذا الخبر كان هذا البلغ فى الدلالة على صدقهم من ان يظهر على

( ١ ) انظر الجواب الصحيح - لابن تيمية ( ٤ : ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ) .

( ٢ ) راجع النبوات - لابن تيمية ( ص ١٣٠ ) .

(١)  
أيد بهم .

أقول : هذا الذي قال ابن تيمية يبين لنا مكانة الكرامة من المعجزة  
وانها من جنسها عند من يطلق لفظ المعجزة على خوارق الانبياء والاولياء  
كما هو مذهب السلف، وهذا هو الصواب بالنظر الى آيات النبوة عموما ، فان  
الكرامة تعتبر آية من آيات النبوة الدالة على صدق التابع في متابعتها لشعر  
نبيه كما تدل على صدق النبي المتبوع في نبوته فهي بالتالي من معجزات  
النبي بمفهوم السلف لانها انما ظهرت على الولي الصالح لمتابعتها لشعر نبيه  
وايمانه برسالات الرسل . وانما كانت هذه هي منزلة الكرامة من المعجزة  
عند السلف فانها بلا شك تختلف ما اصطلاح عليه المتكلمون لاختلاف مدلول  
المعجزة ، فالكرامة عند المتكلمين تخالف المعجزة بالمفهوم الاصطلاحي  
وقد اعتبرها بعض المتكلمين كالوازي قسما مستقلا عن المعجزة مما جعلهم  
يبحثون في الفروق بين المعجزة والكرامة . وفيما يلي آراء المتكلمين في ذلك .

#### الفرق بين المعجزة والكرامة عند المتكلمين .

قال الجرجاني : والجواب انها تتميز - اي المعجزة - بالتهدى مع

( ١ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ١٥٢ ) .

( ٢ ) انظر الاربعين في اصول الدين - للرازي ( ص ٣٨٧ ) .

ادعاء النبوة في المعجزة وعدمه أي عدم التحدي مع ذلك الادعاء في الكرامة<sup>(١)</sup>.  
ويقول الشمراني : ( فان قلت ) ما الفرق بين الكرامة والمعجزة  
( فالجواب ) الفرق بينهما ظاهر وذلك انه اذا توقفت الاجابة على المعجزة  
يجب على النبي ان يتحدى بها ويظهرها بخلاف الكرامة لا يجب على الولي  
اظهارها لانه انما يدعو بحكم التبع بشرع نبيه الثابت عنده فلا يحتاج الى  
دليل على صحة طريقة ودعواه بخلاف النبي . . . وقد فرق الائمة بين المعجزة  
والكرامة بفروق كثيرة غير ما ذكرناه فقال بعضهم من الفرق بينهما المعجزة  
تقع عند قصد النبي صلى الله عليه وسلم وتحديه واما الكرامة فقد تقع ممن  
غير قصد الولي وقال بعضهم يجوز ان تقع الكرامة ايضا بقصد الولي وانما  
الفرق الصحيح بينهما ان المعجزة تقع مع التحدي والكرامة لا يتحدى بها  
الولي وقال بعضهم يجوز للولي ايضا ان يتحدى بالكرامة على ولا يتسببه  
اذا رأى في ذلك مصلحة ونصيحة للخلق حتى يهديهم الى الحق ، وانما  
الفرق الصحيح بينهما هو ان المعجزة لا تكون الا بعد دعوى له ولا تكون  
مع السكوت معجزة ، والكرامة يجوز ان تقع مع كلامه ومع سكوته مما .

ويقول ايضا : وحقيقة ذلك ان الولي اذا ادعى بفعل خارق للمعادة  
انه ولي فان ذلك لا يقدح في معجزة النبي بخلاف ما اذا ادعى بمثل  
ذلك الفعل الا ان على انه نبي فانه يكذب في دعواه والكاذب لا يكون وليا

( ١ ) الموافق بشرح الجرجاني ( ٢٨٩ : ٨ ) .

لله تعالى فلا يصح ان يظهر على يديه ما يظهر على ايدى الانبياء والا ولىاء  
قال الشيخ ابو طاهر وهو فرق ظاهر وهو معنى قول المشائخ المعجزات علامات  
صدق حيث وجدت فلا تظهر على ايدى الولىاء عند دعواهم النبوة لانها  
لو وجدت عند ذلك لانقلب الصدق كذبا وهو محال .<sup>(١)</sup>

هكذا استطرد الشمرانى فى ذكر هذه الفروق التى منها المقبول  
ومنها المردود مما يدل على عدم تحريمه لهذه الفروق . ولذلك رد ابن تيمية  
على من ذكر هذه الفروق المتأرجحة فقال : ومن الناس من فرق بين معجزات  
الانبياء وكرامات الولىاء بفروق ضعيفة ، مثل قولهم : الكرامة يخفيها صاحبها  
او الكرامة لا يتحدى بها . ومن الكرامات ما اظهرها اصحابها كظهار العسلاء  
ابن الحضرمى المشى على الماء ، واطهار عمر مغاطبة سارية على الصخر ، واطهار  
ابى مسلم لما القى فى النار انها صارت عليه بردا وسلاما . . . ومنها ما يتحدى  
بها صاحبها ان دين الاسلام حق كما فعل خالد بن الوليد لما شرب السم  
وكالفلام الذى اتى الراهب وترك الساحر وامر بقتل نفسه بسهمه باسم ريسه  
وكان قبل ذلك قد هزقت له المادة فلم يتمكنوا من قتله ، ومثل هذا كثير .<sup>(٢)</sup>

فانت ترى بهذا ان التحدى واخفاء الكرامة او عدم اخفائها فروق ضعيفة

( ١ ) انظر اليواقيت والجواهر - هيد الوهاب الشمرانى ( ١ : ١٦٦ ) .

( ٢ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ٥ ) .

لا تؤدي الفرض المطلوب في الفرق بين المعجزة والكرامة .

واما ما ذكره الشمراني من ان الولي الصالح لا يدعى النبوة ولو ادعاها  
لم يكن وليا فهذا صحيح . فقد قال ابن تيمية رحمه الله " فالتابع للانبياء  
الصالح لا يكذب في دعوى النبوة قط <sup>(١)</sup> .

ويقول الرازي في الفرق بين المعجزة والكرامة :

ان الكرامات والمعجزات وان اشتركا في كون كل واحد منهما امرا خارقا  
للمادة ولكن تتماز المعجزة من الكرامة من وجوه :

احدها : ان الدعوى شرط في النبوة وليست شرطا في الكرامة .

وثانيها : ان الحاصل في النبوة ادعاء النبوة وفي الكرامة ادعاء

ان لا تحصل الدعوى او ان حصلت لكنها لا تكون دعوى النبوة بل دعوى الولاية .

وثالثها : ان المعجزة لا تكون لها معارضة والكرامة قد تكون لها

معارضة <sup>(٢)</sup> .

اقول : الذي يبدو ان دعوى النبوة والتحدى هو عمدة القوم في الفرق

بين المعجزة والكرامة عند المتكلمين ولذا قال ابن تيمية منكرا عليهم : ثم

هو لا يجوزوا كرامات الصالحين ، ولم يذكروا بين جنسها وكنس كرامات الانبياء

( ١ ) انظر النبوات - لابن تيمية (ص ١١٢) .

( ٢ ) انظر الاربعين في اصول الدين - للرازي (ص ٢٨٧) .

فرقا بل صرح ائمتهم ان كل ما خرق لنبي يجوز ان يخرق للاولياء ، حتى ممراج محمد وفرق البحر لموسى ، وناقاة صالح وغير ذلك .<sup>(١)</sup>

ثم قال فى موطن آخر : فليس كل ما كان من آيات الانبياء يكون كرامة للصالحين ، وهؤلاء يسوون بين هذا وهذا - اى المعجزة والكرامة - ويقولون الفرق هو دعوى النبوة والتحدى بالمثل ، وهذا غلط فان آيات الانبياء التى دلت على نبوتهم هى اعلى مما يشتركون فيه هم واتباعهم مثل الاتيان بالقرآن ومثل الاخبار باحوال الانبياء المتقدمين واممهم والاخبار بما يكون يوم القيامة واشراط الساعة ، ومثل اخراج الناقة من الارض ، ومثل قلب العصا حية وشق الحجر ، ومثل ان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا ياذن الله .<sup>(٢)</sup>

هكذا يرى ابن تيمية رحمه الله ان آيات الانبياء التى بها ثبتت نبوتهم اعلى مما يقع للاولياء كما هو حال الانبياء فى الفضيلة والشواب والقرب والزلفى من الله ذى الجلال والاکرام والاولياء يقصرون عنهم فى الدرجة والشواب فهكذا الحال فى الايات .

وبعد ان ذكرنا رأى المتكلمين فى الفرق بين المعجزة والكرامة وبيننا

---

( ١ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ٤ ) .

( ٢ ) المرجع السابق ( ص ٢٤ ) ( ١٢٥ ) .

موقف ابن تيمية من ذلك فلنستعرض رأيه بشئ من الوضوح .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : واما كرامات الاولياء فهي ايضا من آيات الانبياء فانها انما تكون لمن تشهد لهم بالرسالة ، فهي دليل على صدق الشاهد لهم بالنبوة وايضا فان كرامات الاولياء معتادة من الصالحين ومعجزات الانبياء فوق ذلك ، فانشقاق القمر والانيان بالقرآن وانقلاب العصا حية وخروج الدابة من الصخرة لم يكن مثله للاولياء ، وكذلك خلق الطير من الطين ، ولكن آياتهم صفار وكبار كما قال تعالى " فأراه الآية الكبرى " فلهذا تعالى آية كبيرة وصغيرة وقال عن نبيه محمد " لقد رأى من آيات ربه الكبرى " فالآيات الكبرى مختصة بهم - اي بالانبياء - واما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين مثل تكثير الطعام ، فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين لكن لم يوجد كما وجد للنبي صلى الله عليه وسلم انه اطعم الجيش من شئ يسير فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم لكن لا يماثلون في قدره ، فهم - اي الانبياء - اما بجنس الآيات فلا يكون لمثلهم <sup>(١)</sup> كالانيان بالقرآن وانشقاق القمر وقلب العصا حية وانفلاق البحر وان يخلق من الطين كهيئة الطير ، واما بقدرها وكيفية كثار الخليل ، فان ايا مسلم الخولاني وغيره صارت النار عليهم بردا وسلاما لكن لم تكن مثل نار ابراهيم في عظمتها كما وصفوها ، فهو مشارك

(١) كأنه يريد ( لغيرهم ) وهو المناسب للسياق .

للخليل في جنس الالية كما هو مشارك في جنس الايمان : محبة الله وتوحيده  
ومعلوم ان الذي امتاز به الخليل من هذا لا يماثله فيه ابو مسلم وامثاله .<sup>(١)</sup>

ويقول : واما كرامات الصالحين فهي من آيات الانبياء كما تقدم ، ولكن  
ليست من آياتهم الكبرى ، ولا يتوقف اثبات النبوة عليها .<sup>(٢)</sup>

ولاشك ان مقاله ابن تيمية رحمه الله - من ان كرامات الاولياء تقصر عن  
درجة معجزات الانبياء وانها نماذج مصغرة لمعجزاتهم عليهم السلام - هبطو  
الذي تطمئن له النفس ويؤيده العقل ، وبالنظر الى حال الانبياء ومنزلتهم  
وصهمتهم والى حال الاولياء ومنزلتهم وصهمتهم كان هذا الرأي اكثر قبولا  
واستحسانا . لكن اذا تمنا في كلام ابن تيمية رحمه الله وجدناه ينص على  
ان الايات الكبرى مختصة بالانبياء ، واما الايات الصغرى فقد تكون للصالحين  
وهذا ما يؤيده فيه ايضا غير انه نقل ان من الاولياء من اتباع محمد صلى  
الله عليه وسلم ومن اتباع عيسى عليه السلام من ظهر على يده احياء الموتى  
ولاشك ان هذه كانت معجزة صريحة لعيسى عليه السلام وارى ان هذه  
المعجزة من المعجزات الكبرى بل لا تقل في عظمتها عن خروج الدابة من  
الصخرة وانقلاب العصا حية . فكيف نزيل هذا الاشكال ونوفق بينه وبين  
ما نص عليه ابن تيمية ؟

(١) النبوات - لابن تيمية (ص ٢١٢، ٢١١) .

(٢) انظر المرجع السابق (ص ٣٠٠) .



والذى ارى فى هذا ان المعجزة فى احيا الموتى هو احياؤهم على الاطلاق سواء من مات قريبا او بعيدا على وجه لا يتميز وهذا - فى نظرى - هو المعجز . قال تعالى - فى شأن عيسى عليه السلام - " وان تخرج الموتى باذننى <sup>(١)</sup> .

قال الشوكانى : اى من قبورهم فيكون ذلك آية لك عظيمة <sup>(٢)</sup> .  
واما الكرامة فى ذلك فهو احيا من مات قريبا بحيث يكون الجسد قابلا للحياة . وقد يقول قائل اى فرق فى ذلك فكلاهما اعجاز ؟  
والجواب ان الفرق شاسع اذ احيا ما لا يتميز ابعد فى مدركات العقل وابتعد عن الشبهة وابلغ فى الاعجاز من احيا ما كان قريب عهد بالحياة .  
يقول القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى - على لسان عيسى عليه السلام -  
" واحي الموتى باذن الله <sup>(٣)</sup> .

يقول : قيل : احيا اربعة انفس : العاذر وكان صديقا له ، وابــــن المجوز وابنة العاشر وسام بن نوح ، فالله اطم . فاما العاذر فانه كان توفى قبل ذلك بايام فدعا الله فقام باذن الله وودك يقطر فماش وولد له . واما ابن العجوز فانه مر به يحمل على سريره فدعا الله فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله . واما بنت العاشر فكان اتى عليها ليلة

( ١ ) سورة المائدة : ١١٠ .

( ٢ ) فتح القدير - للشوكانى ( ٢ : ٩١ ) .

( ٣ ) سورة آل عمران : ٤٩ .

فدعا الله فعاثت بمد ذلك وولد لها فلما رأوا ذلك قالوا : انك تحيي  
من كان موتا قريبا فلعلهم لم يموتوا فاصابتهم سكرة فاحي لنا سام بسن  
نوح فقال لهم : دلوني على قبره فخرج وخرج القوم معه حتى انتهى الى  
قبره فدعا الله فخرج من قبره .<sup>(١)</sup>

اقول : وان كان هذا السياق يشير الى ان في صحته نظرا لانه  
لا يوجد فقد ورد في القرآن الكريم الشئ الكثير من تمتت بنى اسرائيل على  
انبيائهم وعلى كلا الاحتمالين فقد قرر القرآن الكريم ان احياء الموتى  
معجزة لميسى عليه السلام ووردت على الاطلاق . قال تعالى " واحيي  
الموتى باذن الله " <sup>(٢)</sup> فلم تقيد بمن مات قريبا او بعيدا .

ويقول النبهاني في كتابه حجة الله على العالمين : قال التاج  
السيكي للكرامات انواع النوع الاول احياء الموتى واستشهد لذلك بقصة  
ابى عبيد اليسرى فقد صح انه عزا وصحة دابته فماتت فسأل الله ان يحييها  
حتى يرجع الى بسر فقامت الدابة تنفض اذنيها فلما فرغ من الفزوة ووصل  
الى بسر امر خادمه ان يأخذ السرج من الدابة فلما اخذه سقطت ميتة  
والحكايات في هذا الباب كثيرة . . . ولا سبيل الى استقصاء ما يحكى من  
هذا النوع لكثرتنا وانا اؤمن به غير اني اقول لم يثبت عندي ان وليا حيا  
له ميتات من ازمان كثيرة بمد ما صار عظما رميا ثم عاش بمد ما حيى له

( ١ ) تفسير القرطبي - محمد احمد القرطبي ( ٢ : ١٣٣٧ ) .

( ٢ ) سورة آل عمران : ٤٩ .

زمانا كثيرا هذا القدر لم ييلفنا ولا اعتقده وقع لا حد من الالوليا ولا شك فى وقوع مثله للانبيا عليهم السلام قبل وهذا يكون معجزة ولا تنتهى اليه الكرامة فيجوز ان يحيى نبي قبل اختتام النبوة بالاحياء ام انقضت قبله بدهور ثم اذا عاشوا استمروا فى قيد الحياة ازمانا ولا اعتقد الان ان وليا يحيى لنا الشافى واما حنيفة حياة يبقيان مصها زمانا طويلا كما عمرا قبل الوفاة يسئل ولا زمانا قصيرا يخالطان فيه الاحياء كما خالطاهما قبل الوفاة (١).

اقول : انت ترى فى هذا انه يشير الى ان الكرامة تقصر عن درجة المعجزة فى احياء الموتى وليس الخوض من منع التسوية بين المعجزة والكرامة ان ذلك مستحيل على الله تعالى كلا فالله تعالى قادر على ان يساوى كرامة الولي بمعجزة النبي ولكنا لانجوز ذلك فى حكمة الله وعدله فى ان يساوى بين ما كان دليلا صريحا اوليا على صدق النبوة وبين ما كان دليلا على صدق المتابعة وعلى صدق النبوة بطريق ثانوية .

فهذا عندى توجيه لما اشكل فى هذه المسألة .

يقول ابن تيمية : " اما صدق قوهم - اى صدق الانبيا وهم الالوليا - فهم محترفون بان ما يأتون به هو من آيات الانبيا ، مع انه لا تصل آيات الاتباع الى مثل آيات المتبوع مطلقا وان كانوا قد يشاركونه فى بعضها كاحياء الموتى وتكثير الطعام والشراب ، فلا يشاركونه فى القرآن وخلق البحر وانشقاق

( ١ ) حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين - يوسف النبهانى

القمر لان الله فضل الانبياء على غيرهم وفضل النبيين على بعض فلا بد ان  
يمتاز الفاضل بما لا يقدر المفضول على مثله، ان لو اتى بمثل ما اتى لكان  
مثله لا دونه .<sup>(١)</sup>

ويقول احد المؤلفين : وملاحظة واقع حال هذه الكرامات نرى انها  
في الغالب تكون بمستويات اقل من مستويات المعجزات كما انها فـسـى  
الغالب تكون بصورة ليس لها صفة الظهور للجماهير الكثيرة او الانتشار العام  
بين الناس .<sup>(٢)</sup>

اقول : وبعد هذا المرض الذي اوضحناه وبالا اعتماد على ما سبق  
ينبغى ان نوجز الفروق الهامة بين المعجزة والكرامة في النقاط التالية :

( أ ) ان الكرامة دون المعجزة في المقدار فلا تبلغ الكرامة درجة المعجزة  
في اعلى مراتب التحدى .

( ب ) يشترط في المعجزة التي وقعت من نوعها الكرامة ان يرافقها معجزة  
او اكثر مما لا يقع من نوعها كرامة لا في درجتها ولا اقل كما في خلق  
الطير من الطين والقرآن الكريم .

( ج ) الكرامة لا تثبت بها نبوة للولى ان الولى الصالح لا يدعى النبوة ولسو

---

( ١ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ٢٣٢ / ٢٣٣ ) .

( ٢ ) العقيدة الاسلامية - عبدالرحمن حسن الميداني ( ٢ : ١٢٦ ) .

ادّعاها لم يكن وليا بل ينقلب كذايا .

( د ) المعجزة لا تعارض بمثلها تماما وبالوجه الذي وقع به التحدى بأى حال

من الاحوال واما الكرامة فقد تعارض بمثلها .

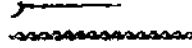
( هـ ) يشترط في المعجزة ان تأتي مقرونة بدعوى النبوة الصادقة ويكسبون

فيها معنى التحدى المنطوق او المفهوم واما الكرامة فلا يشترط ذلك

فيها بل قد ينافيها .

وبهذه الشروط تتميز المعجزة عن الكرامة . والله اعلم .

" الفرق بين المعجزة والسحر "



لقد تقرر في العقول والافهام ان هذه الحياة الدنيا مليئة بالاضداد  
ففيها الحق والباطل والصادق والكاذب والعالم والجاهل وقد يحصل  
الاشتباه بين الحق والباطل/ والكاذب كما <sup>والصادق</sup> قد يدعى الجاهل العلم وقد <sup>و</sup> يتهم  
العالم بالجهل وهكذا . . . وقد يسأل الانسان لماذا هذا التوج بين  
هذه الحقائق وغيرها ؟ اليس في المستطاع ان يتميز الحق عن الباطل والصدق  
عن الكذب ؟

والجواب ان يقال بلى قد يحصل ذلك كما هو الحال في الاخرة  
حيث ينكشف الغطاء ويظهر الحق ويذهب الباطل ، ولكن يجب ان يؤخذ في  
الاعتبار ان الجزاء منوط بالابتلاء ، وان الثواب مقترن بالاجتهاد ، واي ابتلاء  
اعظم من اشتباه الحق بالباطل لا سيما فيما يجعل امره ويعظم خطره كاشتباه  
المتنبى بالنبى واشتباه السحر بالمعجزة . واي اجتهاد اعظم من تمييز  
هذا وذاك ؟

ولما كان الفرق بين المعجزة والسحر هو الفرق بين الحق والباطل  
كان يتطلب عمق الفكر ودقة النظر وقيل الخوض في الفرق بينهما ينفى  
ان نيين معنى السحر وحقيقته لكن يستبين كما سبق التبيان عن المعجزة .

السحر في اللفظة :

قال في لسان العرب: سحر قال الازهرى: السحر عمل تقرب فيه الى الشيطان وبمعونة منه . وكل ذلك الامر كينونة للسحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يُظن ان الامر كما يُرى وليس الاصل على ما يُرى .  
والسحر: الأخذة . وكل ما لطف مأخذه ودق، فهو سحر والجمع اسحار وسُحور وسحره يسحره سحرا وسحورا وسحر .

والسحر: البيان في فطنة .

قال الازهرى: واصل السحر صرف الشىء عن حقيقته الى غيره فكأن الساحر لما ارى الباطل في صورة الحق وخيل الشىء على غير حقيقته قد سحر الشىء عن وجهه اى صرفه . وقال الفراء: في قوله تعالى " فانى تسحرون " معناه فانى تصرفون . وروى شحر من ابن فاعشة قال المرء انما سمت السحر سحرا لانه يزيل الصحة الى العرض . قال: مسحورا زاهب العقل مفسدا .

والسحر: الخديعة .

والساحر: العالم . والسحر: الفساد (١) .

هكذا نرى ان في هذا المعنى اللغوى اشارة الى ان السحر من انواع القرب التي توافق ميول الشيطان وقد يؤثر في بعض الحواس ويفسر

(١) انظر لسان العرب (٤: ٢٤٨، ٢٤٩، ٣٥٠) .

المزاج لشدة لطفه . وهو شر في ذاته وفي نتائجه .

### السحر في الشرع :

قال في الكافي : السحر : عزائم ورقى وعقد تؤثر في الابدان ، والقلوب فيمرض  
ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجه ، وبأخذ احد الزوجين من صاحبه .<sup>(١)</sup>

### ثبوت السحر بالأدلة الشرعية<sup>(٢)</sup> :

لقد ثبت وجود السحر بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة .  
أما الكتاب فقد وردت بذكره النصوص الكريمة في قوله تعالى " واتبعوا  
ما تنزلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا  
يملكون الناس السحر<sup>(٣)</sup> " .

وقوله تعالى " قال القوا فلما القوا سحرُوا اعين الناس واسترهبوهم "

- 
- ( ١ ) الكافي - عبدالله بن قدامة المقدسي ج ( ٣ ) ص ( ١٦٤ ) .  
( ٢ ) انكر الممثلة وابن حزم وجود السحر وعمدتهم ان الخوارق لا تظهر على  
غير الانبياء سواها كان وليا او ساحرا . انظر المفني ( ٥ ج ) بسبب  
ظهور الخوارق على غير الانبياء ، المحلى لابن حزم ( ١ : ٣٧ ) ، النبوات  
لابن تيمية ( ص ٣ ) .  
( ٣ ) سورة البقرة : ١٠٢ .



وجاءوا يسحر عظيم (١) .

وقوله تعالى " فاذا حبالهم وحصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسمى (٢)

وقوله تعالى " انا انما نبرينا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من

السحر والله غير وابقى (٣) .

واما السنة فقد وردت احاديث صحيحة تتعلق بالسحر وسنكتفسي

بذكر نماذج من تلك الاحاديث .

( أ ) روى البخارى فى صحيحه بسنده . . . . عن ابي هريرة رضى الله عنه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا المويقات الشرك بالله

والسحر (٤)

( ب ) وروى ايضا . . . قال سمعت محمدا بن سعد سمعت سعدا رضى الله

عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تصيح سبع

تمرّات عجوة لم يضره سم ولا يسحر (٥)

---

( ١ ) سورة الاعراف : ١١٦ .

( ٢ ) سورة طه : ٦٦ .

( ٣ ) سورة طه : ٧٣ .

( ٤ ) انظر صحيح البخارى - كتاب الطب ( ٧ : ١٧٧ ) .

( ٥ ) صحيح البخارى - كتاب الطب ( ٧ : ١٧٩ ) .

اقول هذه نصوص ثابتة في الكتاب الكريم والسنة المطهرة الصحيحة  
تدل على ثبوت السحر وانه امر موجود ولا يمارض وجوده العقل وبعد الثبوت  
فلا حاجة الى الجواز ولا اعتقد انه يخالفنا الشك في وجوده على الوجه  
الاجمالي .

يقول التفازاني : وهو اي السحر - عند اهل الحق جائز عقلا ثابتا  
سما (١) .

ويقول ابن القيم : وقد دل قوله ( من شر النفاثات في العقد ) . . .  
على تأثير السحر، وان له حقيقة .

وقد انكر ذلك طائفة من اهل الكلام من الممتزلة وغيرهم وقالوا انه  
لا تأثير للسحر البتة لا في مرض ولا قتل ولا حيل ، ولا فقد . قالوا : وانما  
ذلك تخييل لا عين الناظرين ، لا حقيقة له سوى ذلك . وهذا خلاف  
ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف . واتفق عليه الفقهاء واهل التفسير  
والحديث وما يعرفه عامة العقلاء .

والسحر الذي يؤثر مرضا وثقلا وعقدا وحبا وبخضا ونزيفا وغير ذلك  
من الآثار موجود ، تعرفه عامة الناس وكثير منهم قد علمه ذوقا بما اصيب به  
منه وقوله تعالى " ومن شر النفاثات في العقد " دليل على ان هذا النفس

---

(١) شرح مقاصد الطالبين - للتفازاني (٢ : ٢٠٦) .

يضر المسحور في حال غيبته عنه ولو كان الضرر لا يحصل الا بمباشرة البدن  
ظاهرا كما يقول هؤلاء \* لم يكن للنقث ولا للنفاثات شر يستماذ منه . . . (١)

### حقيقة السحر وماهيته .

لاغرابة فيما اذا حصل بعض الخفاء في حقيقة السحر فقد دلت النصوص  
على ان مصدره من الشيطان وانه بتأييده ولا شك ان وجود الشياطين والجن  
قد دلت عليه الادلة السمعية الثابتة في الكتاب والسنة ولكن حقيقتهم  
اشد خفاء من السحر .

يقول ابن كمال : والجن والشياطين عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة  
تجى \* وتذهب مثل الناس والبهائم بل القول المحصل فيه قولان :

الاول : انها اجسام هوائية قادرة على التشكل باشكال مختلفة بقدر  
الله تعالى ولها عقول وافهام وقدرة على اعمال صعبة شاقة .

الثاني : ان كثيرا من الناس ائتمتوا انها موجودات مجردة عن الجسمية  
لهم قدرة على النفوذ في بواطن البشر لانهم عبارة عن موجود ليس بجسم  
ولا جسماني فيكون معنى كونه قادرا على النفوذ في باطنه يقدر على التصرف  
فيه وذلك غير مستبعد وان كان عبارة عن حيوان هوائي لطيف نفاذ كما وصفناه

---

( ١ ) التفسير القيم - لابن القيم (ص ٥٧) .

كان نفوذه في باطن بني آدم غير ممتنع قياسا على النفس .<sup>(١)</sup>

وروى البخاري في صحيحه . . . عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه حامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء .<sup>(٢)</sup> وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين فقالوا مالكم ؟ فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء .<sup>(٣)</sup>

ويقول ابن القيم : واما السحر فهو يطلب من الشيطان ان يعينه ويستعينه وربما يعيده من دون الله حتى يقضى له حاجته وربما يسجد له وفي كتب السحر والسر المكنوم من هذا الصغاب . ولهذا كما كان الساحر اكفر واخبث واشد معاداة لله ولرسوله ولحياده المؤمنين كان سحره اقوى وانفذ وكان سحر عباد الاصنام اقوى من سحر اهل الكتاب وسحر اليهود اقوى من سحر المنتسبين الى الاسلام .<sup>(٤)</sup>

ويقول ابن تيمية : اما السحر والكهانة فهو من اعانة الشيطان لبني

آدم .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) انظر رسالة في وجود الجن والشياطين - لابن كمال باشاه - مخطوط

مجموعة رقم ١٠٧ مكتبة الحرم المكي ( تنبيه ) الصفحات غير مرقمة .

( ٢ ) صحيح البخاري - كتاب التفسير ( ٦ : ١٩٩ ، ٢٠٠ ) .

( ٣ ) التفسير القيم - لابن القيم ( ص ٥٨١ ) .

( ٤ ) النبوات - لابن تيمية ( ص ٢٢١ ) .

ونرى ما سبق ان الشيطان والجان قد يقوموا باعمال لا يتناولها  
الانسان كاستراق السمع من السماء وشدة الاختفاء فاذا كان هذا هو  
حال الشياطين والجن الذين بهما يتكون السحر في اخطر مستوياته فلا  
عجب ان يكون السحر في الدقة والحذق بكان .

يقول المقدس في كتابه الكافي : قال الله تعالى " فيعلمون منهما  
ما يفرقون به بين المرء وزوجه " . وقال تعالى " قل اعوذ برب الفلق " اليس  
قوله " ومن شر النفاثات في العقد " يعني السواحر اللاتي يعقدن في  
سحرهن وينفشن في عقدهن ولولا ان للسحر حقيقة لم يأمر بالاستمالة  
منه .  
(١)

ويقول الجسر في كتابه الحصون : كذلك قد ورد في بعض النصوص  
القرآنية والاحاديث النبوية ما يفيد ان للسحر حقيقة وآثار في الخارج قال  
العلماء ان من السحر ما يوجد له حقيقة وآثار في الخارج مثل قلب بعض  
صور الحيوان الى صورة اخرى وقتل الحيوان والاضرار ببعض الاجساد وذلك  
ناشئ اما عن خاصية في نفس الساحر خصه الله تعالى بها او عن استعمال  
الساحر بعض الرقى والعزائم ولكن كل ما يحدث من آثار ذلك في الخارج  
هو بمحض خلق الله تعالى وتلك الخاصية في الساحر واستعماله بمحض  
الرقى والعزائم ما هو الا من الاسباب المادية التي جرت عادة الله تعالى

(١) الكافي - لابي محمد المقدس (٣: ١٦٤) .

في احداث مسبباتها عندها وليس الساحر خالقا لشيء من تلك الاثار. ومن  
السحر ما لا اثر له في الخارج حقيقة ولما يحدث عنه في نظر الرائي وفكـره  
صورة وهمية متخيلة يظن الرائي ان لها وجودا في الخارج والحال ليس  
كذلك وتلك الصور الخيالية تحدث اما بواسطة اعمال كيمياوية او باستعمال  
النواميس الطبيعية كنواميس النور فيرى الانسان اثرا في الخارج لا حقيقة لها  
فيه واما بوسائط اخرى كسرعة العمل وغير ذلك .

قال اهل السنة والجماعة لا مانع ان الله تعالى يوجد في بعض النفوس  
خاصة التأثير بالا جسام وقلب صورها واحداث الاضرار ونحو ذلك او يحدث  
ذلك عند استعمال بعض الرقى والمزائم ولكن كل ذلك يخلق الله تعالى  
وجعله تلك الخاصة والرقى والمزائم اسبابا مادية تحدث عندها تلك الاثار  
كما لا مانع من خلق الله تعالى تلك الصور الخيالية المتوهمة التي لا حقيقة  
لها في الخارج عند استعمال بعض النواميس التي تنشأ تلك الصور عنها .

ويقول ايضا : فان قيل ان الفلاسفة المتأخرين انكروا وجود السحر  
من النوع الاول وهو ان يكون على يد الساحر ظهور بعض من قلب الصور  
والاضرار بالفير بواسطة خاصية بنفسه او استعمال بعض الرقى والمزائم  
واحتجوا على ذلك بانه لا يظهر في العقل ارتباط بين تلك الوسائط وظهور  
تلك الحقائق في الخارج وبأن في جميع ما اكتشفناه من حقيقة حال السحرة  
في هذا الزمان ان جميع ما يظهر على ايديهم هي صور وخيالات لا حقيقة

لها في الخارج وهي تحدث على ايديهم بواسطة استعمال بعض النواميس  
او بواسطة خفة اليد وسرعة العمل وكثير من السحرة من اقربان ما يظهره  
للعيان ما هو الا صور خيالية لا حقيقة لها .

قلنا انا معشر اهل السنة نقول ان عدم ظهور ارتباط بين تلك  
الوسائط وهي خاصية النفس واستعمال الرقى والمزامير وبين ظهور تلك  
الحقائق في الخارج لا يلزم منه عدم وجوده في نفس الامر فيما يكون ذلك  
الارتباط موجودا وهم لم يطلعوا عليه لا سيما وامر السحر شي \* خفي ووجود  
السحرة قليل وفي ازمة متباعدة وهذا الممخناطيس لاشك انه يجذب الحديد  
ومع ذلك لم يطلع هؤلاء القوم على حقيقة السبب الذي به توجد هذه الخاصية  
ولم كان يجذب الحديد دون غيره ؟ غاية ما يقولونه ان تركيب اجسام  
الممخناطيس تقتضى ذلك وهذا ادعاء لسبب مجمل غير واضح ولا مقنع للعقل  
فيه على اننا نقول ان وجود تلك الحقائق على يد الساحر بمحض خلق الله  
تمالى وهذا لا مانع منه سواه كان هناك سبب موجب او لم يكن .

واما قولهم اننا في جميع ما اكتشفناه من حقيقة حال السحرة في هذا  
الزمان قد اتضح لدينا ان جميع ما يظهر على ايديهم منه هي صور وخيالات  
لا حقيقة لها في الخارج فنقول :

اولا : لا نسلم انهم اطلعوا على احوال كل ساحر في هذا الزمان .

ثانيا : لا مانع ان يكون النوع الاول من السحر قد فقد من العالم كما فقدت عدة علوم وبقي النوع الثاني فقط الذى اطلعوا عليه ونحن لانقول بوجود النوع الاول دائما حتى فى هذا الزمان بل فى نفس الامر هو عزيز الوجود ولا يوجد صاحبه الا فى ازمة متطاوله فالطبخ اننا ممشراهل السنة نقول بوجود السحر لاسيما فى الازمنة الغابرة كما جاءت بذلك النصوص وبان اثره بمحض خلق الله تعالى وان لم نطلع على وجود شىء منه فى هـذا الزمان (١) .

اقول : لعسل صاحب هذا المقال بوى ان السحر ينقسم الى ماله حقيقة فى الخارج وماليس له حقيقة بل يكون تخيلا وهذا لا يستبعد ولكن الذى نستبعده هو ان يقلب الساخر صورة الانسان الى حيوان حقيقى . واما ما ذكر من عدم ظهور الارتباط بين الوسائط السحرية وبين بعض الحقائق التى لا تعارض العقل وحكمة الرب عز وجل فهذا لا يورده العقل لاسيما كما قال من ان امر السحر شىء خفى .

ولكنه لا يخفى ان من الناس من انكر حقيقة السحر وانه مجرد تخييل

فقط .

---

(١) انظر كتاب الحصون الحميدة لمحافظة العقائد لاسلامية - حسين

الجسر (ص ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥) .



يقول ابن حزم : والسحر حيل وتخيل لا يحيل طبيعة اصلا . قال عز وجل " يخيل اليه من سحرهم انها تسمى " فصح انها تخيلات لا حقيقة لها . ولو احال الساحر طبيعة لكان لا فرق بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كفر من اجازته .<sup>(١)</sup>

هكذا يرى ابن حزم ان حقيقة السحر تخيل مطلقا . ونحن لانسلم لابن حزم هذا الحكم المطلق وما استشهد به لا يثبت الدعوى ولا تستقيم له الحجة .

يقول التفتازانى : فان قيل قوله تعالى فى قصة موسى صلى الله تعالى عليه وسلم يخيل اليه من سحرهم انها تسمى يدل على انه لا حقيقة للسحر وانما هو تخيل وتمويه قلنا يجوز ان يكون سحرهم هو ايقاع ذلك التخيل وقد تحقق ولو سلم فيكون اثره فى تلك الصورة هو التخيل لا يدل على انه لا حقيقة له اصلا .<sup>(٢)</sup>

ويقول الشمرانى : قال القزوينى رحمه الله وقد اختلف الناس فى السحر واثره فقيل انه يمكن به تبديل الصورة فيقلب الانسان كليا او تصاحبا او حمارا قال والظاهر ان امثال هذه خرافات العوام واسمار النسوة .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) انظر المحلى - لابن حزم ( ٣٧٤ : ١ ) .

( ٢ ) شرح مقاصد الطالبين - للتفتازانى ( ٢٠٧ : ٢ ) .

( ٣ ) اليواقيت والجواهر - للشمرانى ( ١٦١ : ١ ) .

وذكر الالوسي في روح المعاني عن البيضاوي انه قال : والسحر منه حقيقى ومنه غير حقيقى ويقال له الاخذ بالمصيون .<sup>(١)</sup>

اقول : وبالنظر الى ما سبق من الادلة في شأن السحر وبما قاله العلماء يصبح امامنا نقطتان هامتان في شأن السحر وهما :

( أ ) الوسائل والوسائط التي توصل السحر من الساحر الى المسحور وهى هل هى ظاهرة ام خفية ؟

( ب ) اثر السحر وهل له حقيقة ام هو مجرد تخيل .

اما النقطة الاولى فالذى ارى بالنظر الى اصل السحر وصلته بالاجسام الخفية من شيطان او جان انها قد تكون الوسائل والوسائط في جوهر من الغفاء بحيث يصل الضرر الى المسحور من غير احساس في الظاهر بهذا الوسط لاسيما وان اعمال الجن لا تدرك بالحواس .

اما انكار السحر لعدم ظهور الوسائط بين الساحر والمسحور فهذا لا يسلم به العقل لان العقل قد يقصر عن ادراك بعض الحقائق .

واما النقطة الثانية : فالذى تطمئن له النفس ولا ينازعه العقل استنادا

الى الادلة ان السحر ينقسم من ناحية التأثير الى قسمين :

( ١ ) حقيقى وهذا يكون في حدود قدرة الشياطين او الجن كالا مراض ونقل

---

( ١ ) روح المعاني - للالوسي ( ١٦ : ٢٢٧ ) .

بعض الاجسام وايصال الضرر الى الخير وما اشبه ذلك وهذا كله لا يكون  
الا باذن الله تعالى .

( ٢ ) تخييل وهو ما لا يكون في قدرة الشياطين او الجن كقلب جسم الانسان  
الى حيوان حقيقى . فهذا لا ارى ان الساحر يتوصل اليه مهما  
بلغ سحره على ان هذا لا يمتنع في قدرة الله تعالى . . فالله عز وجل  
قادر على ان يمكن الساحر من هذا الفعل لكن ارى ان ذلك يمتنع في  
حكمة الله وعدله . . والله اعلم . .

### الفرق بين المعجزة والسحر

ان حكمة الباري عز وجل في مخلوقاته قد بهزت العقلاء لا سيما المتخصصين في علوم الطبيعة بشتى فروعها . فان من حكمته تعالى ان يسوى بين المتماثلات ويفرق بين المختلفات واذا كان هذا من حكمته تعالى فكيف يجوز ان يسوى بين خير الخلق واصدقهم وبين شرهم واكذبهم ؟

يقول ابن تيمية : فانه يمتنع في حكمة الربوعده ان يسوى بين هؤلاء وخيار الخلق وبين هؤلاء شرار الخلق لان سلطان العلم وبراھينه وادلتسه ولا في سلطان النصر والتأييد بل يجب في حكمته ان يظهر الايات والبراهين الدالة على صدق هؤلاء . وينصرهم ويؤيدهم ويميزهم ويبقى لهم سلطان الصدق ويفعل ذلك بمن اتبعهم وان يظهر الايات المبينة لكذب اولئك ويذلهم ويغزيهم ويفعل ذلك بمن اتبعهم كما قد وقع في هؤلاء وهؤلاء . وقد دل القرآن على الاستدلال بهذا في غير موضع .<sup>(١)</sup>

ويقول : والتحقق ان اظهار المعجزات الدال على صدق الانبياء على يد الكاذب لا يجوز . لكن قيل لا امتناع ذلك في نفسه كما قاله الاشعري . وقيل لان ذلك يمتنع في حكمة الرب وهدله وهذا اصح فانه قادر على ذلك لكن لو فعله بطلت دلالة المعجز على الصدق .<sup>(٢)</sup>

(١) النبوات - لابن تيمية (ص ٢٥٨ ، ٢٥٩) .

(٢) المرجع السابق (ص ١٢٣) .

هذا الذى ذكره ابن تيمية هو الواقع وأن المعجزة بحدودها وشروطها  
يحتج ظهورها على يد الكاذب بل انها تخالف السحر - فى حقيقتها وماهيتها  
الذى قد يظهر على يد المتنبى \* الكذاب وإذا تقرر هذا فنقدم الفرق بينهما  
فى النقاط التالية :

اولا : المعجزة تكون من فعل الله تعالى وبانجازه واما السحر فيقع  
بفعل الساحر ومباشرة اسبابه .

ونقصد من هذا ان المعجزة تخالف السحر فى مصدرها فهى واقعة  
من الجانب الالهى مباشرة وليس للنهى فى ذلك اى مدخل اللهم الا الطلب  
والدعاء . قال تعالى \* وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله <sup>(١)</sup> .  
وقال تعالى \* قل انما الايات من عند الله <sup>(٢)</sup> .

وكثيرا ما كان المشركون يقترحون على النبی صلى الله عليه وسلم ان يأتى  
بغير القرآن او يبدله فيرد عليهم ان ذلك ليس من شأنه وليس فى مقدوره بل  
الله وحده هو الذى يتصرف فى الايات بايقاعها او عدم ايقاعها .

قال تعالى \* واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا  
اعت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع  
الا ما يوحى الى انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم <sup>(٣)</sup> .

( ١ ) سورة الرعد : ٣٨ ، سورة غافر : ٧٨ .

( ٢ ) سورة العنكبوت : ٥٠ .

( ٣ ) سورة يونس : ١٥ .

فهذه حقيقة بينة في المعجزة بخلاف السحرفانه يقع بفعل الساحر وبمباشرة اسبابه السحرية سواء كان بالتقرب الى الشياطين وطلب المعونة منهم في انجاز سحره ام بواسطة خاصيات في نفسه مع فعل اسبابه من رقى وعزائم وشمبذة وغير ذلك مما هو معروف لدى السحرة وبهذا يظهر شاسع البون بين المعجزة والسحر . وكيف يقف اوبيارى ماكان من فعل الله تعالى وبانجازة وتأيدده مع ماكان من فعل الساحر الكذاب بمباشرة اسبابه وشعاطى رذائله فالمعجزة من فعل الله مباشرة والسحر من فعل العبد كسبا .

ثانيا : المعجزة تكون خارقة للمادة بمعنى انها تأتى مخالفة لقوانين الطبيعة وخواص المادة المألوفة في الكون واما السحر فلا يكون خارقا للمادة الكونية المألوفة والمراد من هذا ان الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون ورتبه ونظمه واودعه سننا ثابتة لا تتغير ولا تتبدل الا لمن سنها وفطرها فلا يستطيع الخلق على تغيير سنة الله الثابتة في الكون فاذا اراد الله جلت قدرته ان يولد رسله بالمعجزات جاءت مباشرة من غير اعتماد على تلك السنن والقوانين الطبيعية فهي بالتالى خارقة لها ومن هنا صح تسميتها بخوارق العادات .

وانما وقعت المعجزة على هذا الوجه الخارق لانها بمثابة الشهادة على الدعوى فوجب ان تكون مخالفة للمألوف عند العباد .

لكن السحر لا يكون خارقا بهذا المعنى اى انه لا يخرج عن قوانين الطبيعة وسن الحياة فهو بالتالى امر طبيعى لا يخرج عن مقدور العباد وان كان قد يسمى خارق للمادة فهو من باب التجوز لا الحقيقة .

يقول ابن تيمية : ولما كان الذين يمارضون آيات الانبياء من السحرة والكهان لا يأتون بمثل آياتهم بل يكون بينهما شبه كشيء الشعر بالقرآن<sup>(١)</sup> .

ويقول الالوسى : والسحر فى الاصل مصدر سحر يسحر يفتح العين فيهما اذا ابدى ما يدق ويخفى . . . ويستعمل بما لطف وخفى سببه والمراد به امر غريب يشبه الخارق - وليس به - ان يجرى فيه التعلم ويستعان فى تحصيله بالتقرب الى الشيطان بارتكاب القبائح<sup>(٢)</sup> .

وبهذا يتضح لنا ان السحر ليس بخارق للمادة وانما قد يشبه الخارق لا اختفاء سببه ودقة مأخذه . ان لو كان خارقا لكان مساويا للمعجزة ولا دى ذلك الى ابطال دلالة المعجزة .

ثالثا : المعجزة لا تتال بالكسب والتعلم واما السحر فقد ينال بالكسب والتعلم .

ان الفرض من هذا هو ان المعجزة تغالف السحر فى طريق حصولها

---

( ١ ) انظر النبوت - لابن تيمية ( ص ٢٢٢ ) .

( ٢ ) انظر روح المعانى - للالوسى ( ١ : ٣٤٠ ) .

فلا تحصل المعجزة بالطلب والكسب او الاحتيال والتعلم لانها منحة الهيبة وهبة ربانية يظهرها الله تصديقا لانبياؤه المرسلين فهي تقع على وجهه قد لا تدركه العقول البشرية وهذا هو السر في عدم دخولها في اطار الكسب والتعلم لان ما لا تدركه العقول لا يمكن تحصيله بالتعلم ولا بفسيره فكذلك لا يمكن وقوه عن طريق العباد وهذا بخلاف الامور السحرية فانها قد تنال بالكسب والتعلم لانها داخله في افعال العباد ولها اسباب معروفة تدركها العقول وتستوعبها الافهام لمن طلبها وسمى في تحصيلها فهي بالتالي تعتبر في تعداد الاسباب الكونية العادية التي جرت المادة الالهية بترتيب مسياتها على اسبابها .

يقول ابن تيمية : وآيات الانبياء لا يقدر احد ان يتوصل اليها بسبب والسحر والكهانة ما يمكن التوصل اليه بسبب .<sup>(١)</sup>

ويقول احد المؤلفين : ان عجائب السحرة والكهنة فنون اشيسه

ما تكون من ناحية تلقيها من الاخرين بالتعلم والصناعات المعروفة .

فمن اراد اتقانها سلك مسالك اهلها واجتمع بمعلميها فيحقق نتائجهم

او يتفوق عليهم ، فهي فنون تلزم روادها بالتفرغ والتعلم والمزاولة .<sup>(٢)</sup>

(١) انظر النبوات - لابن تيمية (ص ٢٩٦) .

(٢) انظر المعجزة الخالدة - حسن ضياء الدين (ص ٤٥) .



وبهذا نعلم ان كيفية حصول المعجزة تُحار فيها العقول وتكل عنها الافهام فهي اذا بميدة المنال بطرق الكسب والاحتيال واما السحر فهو قريب المأخذ سهل المنال لان اسبابه معروفة وطرقه مفهومة وليس فيسه اعجاز للعقول وان عجزت عنه بعض العقول فلا تعجز عنه جميعها .

رابعا : المعجزة قابلة للبقاء امدًا طويلًا واما السحر فهو سريع الزوال وبيان ذلك ان المعجزة لما كانت بانجاز الله وتأيدته وفي دائرة مزته وسلطانه عز وجل كانت قابلة للبقاء بحسب ارادته ومشيئته تعالى وهو الذي تفرد بالبقاء المطلق وله الخلق والاختيار فلا يبعد اذا ان تكون المعجزة قابلة للبقاء بل هو الواقع ولعل من ابرز صفات القرآن الكريم - الذي هو المعجزة الخالدة - هو بقاءه على مر العصور بدون تفسير ولا تبدل وهذا ما يناقض السحر فانه يستحيل عليه البقاء لانه بتأييد القابل للفناء . وكيف يعطى غيره البقاء وهو لا يملكه لنفسه .

يقول الشمراني : فان قلت . . . فما الفرق بين المعجزة والسحر والشمبذة ( فالجواب ) كما قاله الشيخ ابو طاهر رحمه الله ان الفرق بين المعجزة والسحر ونحوه ان المعجزة تبقى هي او اثرها بعد النبي زمانا والسحر سريع الزوال .<sup>(١)</sup>

وان كان في كلام الشمراني ما يوهم ان ذلك في كل معجزة الا انا لم

(١) انظر اليواقيت والجواهر - للشمراني (١ : ١٦١) .

نقل بهذا بل قلنا انها قابلة للبقاء لا واقعة في كل معجزة والمثال على ذلك هو المعجزة القرآنية .

خامسا : ان المعجزة تزداد وضوحا وجلالا مع الاشتهار . وامسنا السحر فبالاشتهار ينكشف زيفه ويزداد وباله .

ان المعجزة لما كانت باذن الله وتتأييده كانت مستتيرة بنور الله تعالى فكلما ظهرت للعباد وانكشفت اشوارها ازدادت وضوحا وبيانا وجمالا لما يتجلى عليها من النور الالهي . وهذا ما يناقض السحر فانه لما كان يستمد ظلامه من ظلام الساحر كان كلما ظهر ازداد ظلاما ويطلانا وقبحا .

وبهذه الفروق تتجلى لنا مكانة المعجزة من السحر وان السحر بجانب المعجزة شيء سخيف وهزيل لا يشبهها على وجه الحقيقة في شيء وقد اعترف بذلك علماء السحر ورواه لما شاهدوا المعجزة بجانب السحر وايقنوا انه لا مستقر للسحر بجانب المعجزة عندئذ خروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون وانا بوا الى الله مستخفين (١) .

(١) انظر الايات في سورة طه : ٧٣، ٧٠، ٦٩ .

الفرق بين المعجزة و المخترعات العلميه

وقبل الكلام عن الفرق بين المعجزة والمخترعات العلمية يجب ان

نعرف معنى الاختراع وحقيقته والاسس التي قام عليها .

الاختراع في اللغة :

قال في لسان العرب : اخترع الشيء : ارتجله ، وقيل اخترعه اشتقسه  
يقال : انشأه وابتدعه .<sup>(١)</sup>

وقال في محيط المحيط : الاختراع مصدر اخترع . وعند الحكماء  
اخراج الشيء من العدم الى الوجود بمادة .<sup>(٢)</sup>

وقال في فاكهة البستان : الاختراع ابتداء الشيء من العدم بواسطة  
مادة او يطلق على الشيء المخترع .

والمخترع الشيء المستحدث المبتدع الذي لم يسبق له مثال "الجمع"  
مخترعات .<sup>(٣)</sup>

والذي يبدوان الاختراع شيء جديد يعتمد على مقومات واسس ثابتة

- 
- (١) انظر لسان العرب (٦٩:٨) .
  - (٢) راجع محيط المحيط (٥٢٧:١) .
  - (٣) انظر فاكهة البستان (ص ٣٩٣) .

في الكون فليس في الامكان لاي مخلوق ايجاد شيء من العدم المحض .

تعريف المخترعات العلمية والفرق بين الاكتشاف والاختراع :

المخترعات الحديثة هي تلك الامور التي كشف العلم الحديث عن قوانينها الطبيعية ثم صاغها الانسان صياغة صناعية فنية فكانت بذلك تلك الامور التي ينعم بها الانسان في جميع موافق الحياة فوفرت له كثيرا من الرفاه والجهد والوقت ، والعلم الحديث هو الوسيلة الخاصة لتلك المخترعات العلمية .

” والمقصود بالعلم الحديث مجموع العلوم التجريبية التي كشفت عن سنن الفطرة او الطبيعة ما كشفت ، وكان لها فضل هذه المخترعات <sup>(١)</sup> .  
ويقول جلبي : السنة - اي الكونية - تُكتشف ولا تُخترع كما لا تُخلق ابتداءً ، لان الفرق كبير بين الاكتشاف والاختراع فالاكتشاف تقرير شيء كان موجودا ، والاختراع هو ايجاد شيء لم يكن موجودا في صورته والخلق هو ايجاد شيء لم يكن موجودا بماهيته فهذه اصطلاحات ثلاث .

والمثل في هذا اكتشاف الطاقة الكهربائية ، واختراع الادوات الكهربائية ومصرفة السنة - اي الكونية - يمكن العالم من صياغتها صياغة قانونية اور ياضية

---

( ١ ) انظر معجزات الانبياء والعلم الحديث - للقمراوى ( طحق ) بكتاب

التوحيد - لجعفر الصادق ( ص ١٥٧ ) .

كما في قانون الانكسار والانتشار في الضوء . . . وقانون انتشار الصوت في  
الاساط المادية (١) .

ومن هذا نعلم ان الاختراع ما هو الا صورة مؤلفة خاضعة ومُعتمدة  
اعتمادا اوليا على خواص المادة وقوانين الطبيعة الثابتة في الكون .  
يقول كاتب معاصر : والكون بخصائصه كلها ومواده الاولية وقوانينه  
هو كما خلقه الله . . وكل ما استطاعت البشرية ان تفعله هو ان تكشف هذه  
الخصائص وتستخدمها .

فالهواء كان يمكن ان يحمل الطائرات منذ فجر التاريخ لو اكتشف  
الانسان خصائص الهواء وعرف نظرية الطيران . . . والاثير من خصائصه  
حمل الاصوات عبر الدنيا منذ خلق الله هذا الكون لم نضف اليه جديدا  
ولكننا اكتشفناه فقط .

ويقول : ان كل ما اكتشفه العلم هو الخصائص والقوانين التي وضعها  
الله في الكون . . فالعلم لم يصنع الجاذبية . . ولم يضيف الى الماء خاصية  
التبخير ولم يعط الهواء الاكسجين والايدروجين اللازمين للحياة ولم يحفظهما  
حول الارض بنسب ثابتة ولم يجعل للهواء ضغطا يستطيع ان يحمل اثقالا  
كالجبال خلقها الله واستخدمها لصالح الانسان وتقدمه استخدمها بالهام  
من الله ويفضل منه (٢) .

(١) راجع كتاب الطب محراب الايمان - خالص جليبي (٢ : ١٨) .

(٢) انظر كتاب ابن الله - احمد زين (ص ١٩ - ٤٥) .

اقول : لقد اتضح لنا ما سبق ان الاختراع يقوم على اساس كونية ثابتة  
كشفها الانسان بواسطة مواهبه العقلية التي منحها الله اياها فاخذ ينسج  
ويبنى على هذه الاسس تلك الامور المخترعة التي تقوم على نظرية التجريسية  
المتكررة والتي هي بالتالى قابلة للتعميم والترقى ولكنها لا تخرج بأى حال  
من الاحوال عن السنن الكونية الثابتة والاسباب الكونية المكتسبة .

موقف المخترعات والعلم الحديث من المعجزات :

يقول نخبة من العلماء الامريكيين : ان فروع العلم كافة تثبت ان هنالك  
نظاما معجزا يسود هذا الكون اساسه القوانين والسنن الكونية الثابتة  
التي لا تتغير ولا تتبدل ، والتي يحمل العلماء جاهدين على كشفها والا حاطة  
بها (١) .

ويقول احد المؤلفين : وقال " استوارت ميل " عند انتقاده لانكار " هيوم "  
المعجزات " ان من لا يؤمن بوجود فوق الطبيعية ولا يتدخله في شئون العالم  
لا يقبل فعمل انسان غارق للعادة على انه معجز قويؤوله مطلقا بما يخرج  
عن كونه معجزة .

وما ابدع ما قال " ويليام استاتلن جون " من كبار المنطقين الانكليز

---

( ١ ) انظر كتاب الله يتجلى في صر العلم - نخبة من العلماء الامريكيين

” القدرة التي خلقت العالم لا تمجز من حذف شيء منه او اضافة شيء اليه <sup>(١)</sup> .  
ويقول المؤلف ايضا : وبعض الجهال يقولون اكبارا لمكتشفات العلماء  
الغريبين الاخير :

” معجزات العلم قد اوفت على معجزات الدين في ما نحن القرون  
فيستصغرون معجزات الانبياء عليهم السلام التي انكرها منكروها  
استمظاما لحصولها باذن الله مباشرة من غير توسل اليها بالوسائل العلمية  
غير الخارجة عن الوسائل الطبيعية ، وفي هذا ميزة المعجزة التي يصفر بجانب  
اصغرها اعظم المكتشفات العلمية .

ومن هذا يقول المنكرون باستحالتها ويرون فيها خرق نظام العالم  
حتى ان بعض الجهال من هذه الطائفة المنكرة يحتاج الى تأويلها وتنزيلها  
الى مادون الخوارق . مع ان المعجزة لا بد ان تكون خارقة لنظام العالم  
والا لا تكون معجزة بمعناها الحقيقي <sup>(٢)</sup> .

ويقول الضراوى : وسألة المعجزات لها طرفان : طرف قرآنى  
وطرف فى العلم اليقيني والطرفان ينفى الا يختلفان ، فأيات المعجزات فى

---

( ١ ) انظر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين - مصطفى صبرى

• ( ٢٧٠ : ٢٦ : ٤ )

( ٢ ) المرجع السابق ( ٤ : ٢٩ ) .

القرآن آيات من كتاب الله المتلوه ووقائع العلم الثابتة بالتجربة العلمية والمشاهدة الصحيحة وما تؤدي اليه من سنن آيات من كتاب الفطرة السني فطر الله عليها الكون، والكتابان كلاهما من عند الله ، فكلاهما حقيق لا ريب فيه والحق لا يختلف ولا يتناقض، وإنما يأتي الاختلاف او التناقض من الانسان اذا اساء الفهم والتأويل وام يلزم حدود المنطق الصارم فاستنتج منهما بالهوى او بالظن ما لا ينتجان .

فمعجزات الانبياء والرسل اثن ثابتة بالقرآن المميز ثبوتاً قاطعاً لا شك فيه . . . ان المعجزات من نحو احياء الموتى وابراء الاكمه والابصر على يد عيسى او فلق البحر بالحما على يد موسى هي من النوع المادي الذي يفحصه العلم في ميان يته ، والعلم اثبت بتجاربه السني لا تكاد تحصى كثرة ان البشرية كلها لا تستطيع ان تأتي بخارقة من تلك الخوارق ، فهل ينتج من هذا ان المعجزات اذن غير ممكنة ؟ لو كانت المعجزة من صنع النبي او الرسول لكانت<sup>(١)</sup> على هذا مستحيلة في العلم لكن لم يدع نبي ولا رسول ان المعجزة من صنع نفسه ولكن من صنع الله الذي ارسله ، شهادة منه سبحانه على صدقه . فالعلم حين اثبت استحالة المعجزات على البشرية انما اثبت في الواقع ان دلالة المعجزة اذا جرت ووقعت بالفعل هي دلالة حقيقية وبرهان واضح قاطع على نبوة النبي

( ١ ) لعله يريد " لما كانت " .



ورسالة الرسول ، وهذا بالضبط هو دلالة المعجزات في الاديان ، وموضع الحججة من الله فيها على الناس اجمعين .

والعلم الحديث مع اعترافه بكل واقع ثابت قد قصر الى الان بحثه على الظواهر الطبيعية المتجددة الممكن فحصها بالمشاهدة والتجربة . صحيح ان العلم عندئذ كان يدخل المعجزات في زمرة الظواهر الكونية ، لكنه ايضا كان لا شك باحتمال ظروفها اللازمة لها في تكررها فيما تكررت فيه من المصور ولو بحث لوجد انها ظهرت دائما على ايدى نوع خاص من الناس اشتركوا كلهم في صفات روحانية خاصة وفي دعوى خاصة هي دعوى النبوة والرسالة من خالق الكون الى اخوانهم في الانسانية ووجود انهم جميعا لا ينسيون تلك الظواهر الخارقة الى انفسهم ولكن ينسيونها كلها الى الله فاطر الفطرة وخالق الكون شهادة منه على صدقهم .

اذن لعرف العلماء وغير الحلط ان سنن الفطرة التي تمجز البشرية من تفسيرها وتبديلها بغيرها وبيد لها من سننها وفطرها ولكن في ظرف روحاني واحد خاص هو تصديق نبوة ورسالة الرسول الذي اقتضت حكمته ورحمته سبحانه ان يرسله الى الناس ليخرجهم باذنه من الظلمات الى النور .<sup>(١)</sup>

اقول : ان العلم الحديث ، عندما اثبت ان السنن الكونية والقوانين

(١) انظر معجزات الانبياء والعلم الحديث - للقمراوى ( طهق ) بكتاب

التوحيد لجعفر الصادق (ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣) .

الطبيعية الثابتة لا يمكن تغييرها بل يستحيل ذلك على القدرة البشرية  
 انما اثبت في الواقع حقيقة المعجزات واوان العلم الحديث توصل فـى  
 ابحاثه وتجاربه الى ايجاد مخترعات مماثلة لمعجزات الانبياء عليهم السلام  
 تماما لكان ذلك طمنا في المعجزات ولا دى ذلك الى وقوع الشك فـى  
 المعجزات وانها من صنع الانبياء لكن عدم توصل العلوم التجريبية الى  
 ذلك يكون هذا من اعجاز المعجزات . اما الذين ينكرون المعجزات  
 او يؤولونها على غير وجهها فانما يفعل ذلك اولئك الذين انحصرت افكارهم  
 في الطبيعة وظواهرها المحسوسة فلم تتفد افكارهم الى ما وراء الطبيعة  
 لاسيما وانا نقول ان المعجزات مؤيدة بامور خارجة عن الطبيعة وقوانينها  
 ولا يتوصل الى هذا الا بالطرق الايمانية لا الطرق التجريبية والمحسوسات  
 الكونية .

#### الفرق بين المعجزة والمخترعات العلمية :

وعلى ضوء ما سبق في بيان المعجزة والمخترعات العلمية نستطيع ان

نوجز الفروق بين المعجزة والمخترعات العلمية في النقاط التالية :

اولا : ان المعجزة من فعل الله وبإذنه فليس لاحد في ايقاعها

اى شأن حتى النبي ليس له في ذلك الا الدعاء والتضرع الى الله فـى

انجازها وقد تقع على يد النبي من غير ان يكون ذلك في حسبانه ايذانا

بانه لا مدخل له في حصولها . قال تعالى " وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب  
الا رحمة من ربك <sup>(١)</sup> .

وقال تعالى : " وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما  
الكتاب ولا الايمان <sup>(٢)</sup> .

وقال سبحانه : " فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب <sup>(٣)</sup> .  
هكذا نرى ان النبي نفسه ليس له اى دور فى تكوينها واما المخترعات  
العلمية فهى من فعل الانسان ويا نجاهه وتكوينه وفى اطار قواه العقلية  
وعلمياته التجريبية . والحق ان الفرق شاسع بين فعل الخالق وفعل المخلوق  
يقول رشيد رضا : بيد ان آيات الله الحقيقية التى نسميها المعجزات هى  
فوق هذه الاعمال الصناعية الغربية لا كسب لاحد من البشر ، ولا صنع لهم  
فيها وان ما ايد به رسله منها لم يكن يكسبهم ، ولا علمهم ، ولا تأثيرهم حتى  
ما يكون بدوه بحركة ارادية يأمرهم الله تعالى بها الم يهد لك كيف خاف  
موسى عليه السلام حين تحولت عصاه حية تسعى فولى مدبرا ولم يعقب لشدة  
خوفه منها ، حتى هدأ الله روعه وامن من خوفه <sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) سورة القصص : ٨٦ .

( ٢ ) سورة الشورى : ٥٢ .

( ٣ ) سورة النمل : ١٠ .

( ٤ ) انظر الوحي المحمدى - رشيد رضا ( ص ٢١١ ) .

ثانيا : المعجزة خارقة للمادة - كما اوضحناه من قبل - اي انها مخالفة لقوانين الطبيعة وخواص المادة وسجدة عن الاسباب الظاهرة . واما المخترعات العلمية فليست خارقة للمادة بهذا المعنى بل هي داخلية في دائرة قوانين الطبيعة وخواص المادة ومحتمة على الاسباب الكونية الظاهرة التي اكتشف الانسان بعضها ولا يزال يعمل على كشف البعض الاخر .

يقول صاحب كتاب المعجزة الخالدة : وليس يخاف عليك وعلى عامية الناس المقلد ان تلك المخترعات ليست خارقة للمادة وانها امور كيميائية لها قوانينها ومبادئها . من تعلمها وتفوق لها حقق نتائجها . واما المعجزة فانها خارقة للمادة ليست تعتمد على قوانين الطبيعة ولا على خواص المادة (١) .

ثالثا : المعجزة تأتي مباشرة لانها من فعل الله تعالى وافعاله تعالى لا تخضع لقوانين الزمان والمكان وخواص المواد . قال تعالى " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون (٢) .

واما المخترعات العلمية فهي خاضعة خضوعا لازما لقوانين الزمان

( ١ ) انظر المعجزة الخالدة - حسن ضياء الدين ( ص ٣٨ ) .

( ٢ ) سورة يس : ٨٢ .

والمكان وخواص المواد فالمخترعات لا يدان تمر بادوار في تكوينها وهذا  
يستلزم وقتا من الزمن .

رابعا : المعجزة لا تدرك بالمعقول في طرق تكوينها اذ لو ادركت  
طرق تكوينها لا يمكن تعلمها والاثيان بعلمها .

يقول ابن تيمية : فاما معجزات الانبياء فلا سبيل اليها للعقلاء  
بيضاة العقل اصلا<sup>(١)</sup> .

هكذا الحال في المعجزات واما المخترعات العلمية فهي تدرك في  
ادوارها التكوينية بالمعقول بل انها تعتمد اعتمادا اوليا على المواهب  
المقلية لذا نرى اصحابها من اهل النبوغ الفكري .  
وبهذه الفروق تتميز المعجزة عن المخترعات العلمية .

---

( ١ ) انظر شرح المقيدة الاصفهانية لابن تيمية ( ص ١٤٤ ) .

## الباب الثاني

### معجزات الانبياء

- الفصل الاول : معجزات الانبياء السابقين .
- الفصل الثاني : معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
- العقلية والحسية .

## الفصل الاول

### معجزات الانبياء السابقين

ما لا شك فيه ان القرآن الكريم قد ابرز العديد من معجزات المرسلين التي ايدهم الله تعالى بها . وسأتناول في هذا العرض تلك المعجزات التي تنطبق على ما سبق في مبحث المعجزة من الباب الاول مع مراعاة الترتيب الزمني للانبياء وسأجعل هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

- المبحث الاول : معجزة صالح عليه السلام .
- المبحث الثاني : معجزات موسى عليه السلام .
- المبحث الثالث : معجزات عيسى عليه السلام .

المبحث الاول : معجزة صالح عليه السلام

"الناقة"

بعث الله عز وجل نبيه صالحا عليه السلام رسولا الى ثمود - قبيلة كانت تسكن الحجر بين الشام والحجاز - يدعوهم لعبادة الله وحده ويذكروهم بالآله ونعمه عليهم فما كان منهم الا البتة والانتكار والشك والارتباب ثم طلبوا منه ان يأتيهم بآية تدل على صدقه وتشهد برسالته فكانت الناقة معجزة عظيمة وحجة بليغة (١).

آيات المعجزة :

لقد ورد ذكر هذه المعجزة في عدد من السور القرآنية تعطي فسى مجموعها وحدة موضوعية :

قال تعالى " والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فسى ارض الله ولا تمسوها بسوه فياخذكم عذاب اليم - ثم قال - فصقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين (٢) .

(١) انظر البداية والنهاية - لابن كثير (١ : ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣) يتصرف .

(٢) سورة الاعراف : ٧٣ - ٧٧ .



وقال تعالى " قالوا انما انت من السحرة - ما انت الا بشر مثنا -  
فأت بآية ان كنت من الصادقين - قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم  
معلوم - ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم - فعقروها فاصبحوا  
نادمين (١) .

وقال عز وجل " انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارثقيهم واصطبر - ونيئهم  
ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر - فنادوا صاحبهم فتعاطى فمقر (٢) .  
وقال تعالى " ويقوم هذه ناقة الله اكم آية فذروها تأكل في ارض الله  
ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب - فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة  
ايام ذلك وعد غير مكذوب (٣) .

وقال تعالى " وما نمنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون  
وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا (٤) .  
وقال سبحانه " كذبت ثمود بطغواها - ان انيحت اشقاها - فقال لهم  
رسول الله ناقة الله وسقياها - فكذبوها فعقروها فدم عليهم ربهم بذنبهم  
فسواها - ولا يخاف عقباها (٥) .

---

(١) سورة الشعراء : ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) سورة القمر : ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ .

(٣) سورة هود : ٦٤ - ٦٥ .

(٤) سورة الاسراء : ٥٩ .

(٥) سورة الشمس : ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ .

وقال تعالى " ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين - وآتيناهم آياتنا  
فكانوا عنها معرضين (١) .

### الوحدة الموضوعية للايات :

وبالنظر الى هذه الايات الكريمة نجد انها تشكل وحدة موضوعية تتلخص

فيما يلي :

دعوة نبي الله صالح عليه السلام لقومه ثمود بان يعبدوا الله وحده  
ثم تكذيبهم له واتهامهم له بانه من السحرة وما هو الا بشر لم يتميز بشيء  
يخرجه عن بشريته حتى يوجب عليهم اتباعه وبعد هذا المتو بتدرجون معه  
عليه السلام فيطالبونه بآية تكون دليلا على صدقه وحجة على دعوته وعندئذ  
يرسل الله الناقة آية عظيمة وحجة بليغة ويبين سبحانه في معرض الايات  
بعض خصائصها ومميزاتها ويذكرهم باكلها وشربها ويحذرهم من مسها  
بالاذى ويتوعدهم بالمذاب ان اقدموا على ذلك . وفي ختام هذه الوحدة  
يأتى الدور الاخير وهو عقر الناقة ثم نزول المذاب باولئك الظالمين ، وهكذا  
الايات تعطى في وحدتها الموضوعية صورة حية عن هذه المعجزة . يأتى  
بيانها بشيء من التفصيل في النقاط التالية :

---

( ١ ) سورة الحجر : ٨٠ - ٨١ .

( أ ) دعوة صالح عليه السلام .

الرسول الله عز وجل نبيه صالحا نطيه السلام رسولا الى ثمود وكانت امة  
من الامم السابقة وكانوا في سعة من معاشهم فخالفوا امر الله وعبدوا غيره فلما  
جاهم صالح عليه السلام قال يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له فمالكم من  
اله غيره يستحق العبادة ، وذكرهم بنعم الله عليهم كما هو الواضح من قوله  
تعالى " وانكروا ان جعلكم خلقا من بعد عاد وبواكم في الارض تتخذون من  
سهولها قصورا وتتحتون الجبال بيوتا فانكروا آلا الله ولا تمشوا في  
الارض مفسدين " (١) .

وبعد ان دعاهم ورجاه اجابتهم اتهموه بانه مسحور في عقله ومفلسوب  
على امره ، وما هو الا بشر له من الخصائص ما يكون للبشر فهو يأكل مما يأكلون  
منه ويشرب مما يشربون منه .

فكانهم يقولون فأى فضيلة فقتنا بها حتى تدعونا الى اتباعك (٢) .

---

( ١ ) سورة الاعراف : ٧٤ .

( ٢ ) انظر جامع البيان - للطبري ( ١٩ : ١٠٢ ) ، تيسير الرحمن في تفسير

كلام الحنان - للسعدي ( ٥ : ٢٦٦ ) .

## (ب) اقتراح القوم للآية .

ويعد هذا الدور من الجدل والسخف يأتون على اقتراح البيهقي وهو في حد ذاته مسلم لمن يزيد الحق وينشد الصواب لاسيما وان ممن حق المدعى طلب البيهقي على الدعوى ، ولذا فقد اجاب الله هذا الطلب عندما قالوا " فأت بآية ان كنت من الصادقين " مع انه في واقع الحال من الصادقين . يقول السعدي في تفسيره : هذا - اي هكذا طلبوا - مع ان مجرد اعتبار حالته وحالة مادعا اليه من اكثر الايات البيهقيات على صحة ما جاء به صدقه ولكنهم من قسوتهم سألوا آيات الاقتراح التي في الغالب لا يفلح من طلبها لكون طلبه مبنيا على التعمت لا على الاسترشاد (١) .

وقد ذكر المفسرون بعض الاقوال في صفة طلبهم واقتراحهم للآية كما ذكروا العديد من الخصائص والصفات التي تتميز بها هذه الآية .

يقول ابن كثير في صفة اقتراحهم : ثم انهم اقترحوا عليه - اي على نبي الله - آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم وقد اجتمع ملوهم وطلبوا منه ان يخرج لهم الان من هذه الصخرة ناقة عشراء - وأشاروا الى صخرة عندهم - من صفتها كذا وكذا فمئذ ذلك اخذ عليهم نبي الله

(١) انظر تيسير الرحمن في تفسير كلام الضان - للسعدي (٥ : ٢٦١) .

صالح العهود والمواثيق لئن اجابهم الى ما سألوا ليؤمنن به وليتبعنسنه فاعطوه ذلك . فقام نبي الله صالح عليه السلام فصرخ ثم دعا الله عز وجل ان يجيبهم الى سؤالهم فانفطرت تلك الصخرة التي اشاروا اليها عن ناقه عشراء على الصفة التي وصفوها (١) .

ويقول السعدى : واعلم ان كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة ان الناقة قد خرجت عن صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح وانها تمخضت تمخض الحامل فخرجت الناقة وهم ينظرون وان لها فصلا حسينا عقروها رغي ثلاث رغيات وانطلق له الجبل ودخل فيه وان صالحا عليه السلام قال لهم : آية نزول العذاب بكم ان تصيحوا في اليوم الاول من الايام الثلاثة ووجوهكم صفرة واليوم الثاني حمرة والثالث مسودة فكان كما قال هذا - اى المذكور - من الاسرائيليات التي لا ينفى نقلها في تفسير كتاب الله وليس في القرآن ما يدل على شئ منها بوجه من الوجوه ، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى لان فيها من المعجائب والعبر والايات ما لا يهبطه تعالى ويدع ذكره حتى يأتى من طريق من لا يوثق بنقله ، بل القرآن يكذب بعض هذه المذكورات ، فان صالحا قال لهم " تمتعوا في داركم ثلاثا ايام " اى تمتعوا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جدا فانه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا ، و اى لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب

(١) انظر تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (٥ : ١٩٩ - ٢٠٠) .

وذكر لهم وقوع مقدماته فوقعت يوماً فيوماً طوى وجه يممهم ويشملهم لان احمرار وجوههم واصفرارها واسودادها من العذاب . هل هذا الا مناقض للقرآن ومضاد له ، فالقرآن فيه الكفاية والهداية من مسواه نعم لو صح شئ " عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يناقض كتاب الله فعلى الرأس والعين وهو ما امر القرآن باتباعه ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (١) .

اقول : هذا الذى قاله السعدى هو الذى ارى ان ليس فى القرآن ولا فى السنة الصحيحة - فيما اعلم - ما يؤيد هذا التفسير على وجه القطع ولكن الذى نقطع به هو ان قوم صالح طلبوا منه ان يأتيهم بآية وهذا معلوم بالنص القرآنى الكريم ، وقد اراد الله جعلت قدرته ان تكون هذه الآية هى الناقة التى تكفل بارسالها فقال تعالى " انا مرسلوا الناقة " .

يقول الالوسى : والارسال حقيقة فى البحث وقد جعل هنا كنية عن الاخراج ، وأريد المعنى الحقيقى معه كما اوما اليه بعض الاجل اى انساب مخرجوا الناقة التى سألوها من الهضبة وعاثوها (٢) .

- 
- ( ١ ) تيسير الرحمن فى تفسير كلام المنان - للسعدى ( ٣ : ٢٨ ) .  
 ( ٢ ) انظر روح المعانى - للالوسى ( ٢٧ : ٨٩ ) طبعة جديدة .

( ج ) خصائصها .

ويعد ان اذن الله في ارسالها يأتي بيان بعض صفاتها وخصائصها :  
اولا : وصفها بانها ناقة وهو الواضح من قوله تعالى " انا مرسلوا  
الناقة " وهنا يتبادر الى ذهن السامع انها ناقة من النياق او مثل النياق فسي  
صفتها وهيقتها وخصائصها ولكنها وان جانت النياق فهي تختلف عنها  
بما تميزت به عن صفات وخصائص .

ثانيا : ناقته : وهذه اضافة للتشريف والتبويه على انها مفارقة  
لسائر مايجانسها خلقا وخلقاً<sup>(١)</sup> .

فلا اضافة اذا ليست للتشريف والتعظيم فقط كما قال بعض المفسرين  
بل ارى انها تشير الى المفارقات التي حصلت بها او التي تتميز بها .

ثالثا : آية : اي حجة وعلامة ودلالة<sup>(٢)</sup> .

اعلم ان هذه الصفة هي اهم الصفات واعظمها في هذا الجانب فقد  
تطلق الصفات الاخرى على الامور المحتملة بخلاف هذا الوصف فلا يطلق  
الا على الامر الممجز . ولذا جاء طلب القوم باخص خصائصها وهي الاية

---

( ١ ) راجع روح المعاني - للالوسي ( ٢ : ٩٠ ) ، روح البيان - للجروسوي

٠ ( ١٥٨ : ٤ )

( ٢ ) راجع جامع البيان - للطبري ( ١٢ : ٦٤ ) .

في قوله تعالى " فأت بآية ان كنت من الصادقين " (١)

رابعا : بينة : البيان ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها . ولسان

الشيء بيانا اتضح ، فهو بين ، وتبين الشيء ظهر . (٢)

قال الراغب : البينة : الدلالة الواضحة عقلية كانت او محسوسة . (٣)

والمعنى في قوله تعالى " قد جاءكم بينة " اي آية ومعجزة ظاهرة

الدلالة شاهدة بالنبوة والمراد بهذه البينة الناقة . (٤)

خامسا : مبصرة : قال الفراء جعل الفعل لها - اي للناقة - ومعنى

مبصرة مضيئة كما قال عز من قائل " وجعلنا آية النهار مبصرة " اي مضيئة . (٥)

وقال الراغب : مبصرة : مضيئة الابصار . (٦)

ويقول الطبري : جعل الابصار للناقة كما تقول للشجرة : موضحة

وهذه حجة بينه . وانما عني بالمبصرة : المضيئة البينة ، التي من يراها

---

(١) سورة الشعراء : ١٥٤ .

(٢) لسان العرب - لابن منظور (١٣ : ٦٧) .

(٣) انظر المفردات في غريب القرآن - للراغب (ص ٦٨) .

(٤) روح المعاني - لسيلوسى (٨ : ١٦٢) .

(٥) لسان العرب (٤ : ٦٤ ، ٦٥) .

(٦) المفردات في غريب القرآن - للراغب (ص ٤٩) .



كانوا اهل بصرى بها . انها لله حجة<sup>(١)</sup> .

وبهذا يتبين ان وصفها بانها بيعة لاقامة الحجة على ذوى العقول

ووصفها بانها ميصرة لاقامة الحجة على المشاهدين ذوى الحواس .

سادسا : فتنة : قال الراغب فى مادة فتن : اصل الفتن ادخال

الذهب النار لتظهر جودته من ردا<sup>٢</sup>ته واستعمل فى ادخال الانسان النار .

قال " يوم هم على النار يفتنون " وتارة فى الاختبار نحو " وقتاك فتونا<sup>(٣)</sup> .

وقال فى اللسان : جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار<sup>(٤)</sup> .

والمراد بها هنا فى قوله تعالى " فتنة لهم " - اى امتحانا فلان

المعجزة محنة واختبار<sup>(٤)</sup> .

وهذه الصفة هى الهدف والغاية من ارسال الناقة وكذا الايات

والمعجزات فانها ترسل فتنة وابتلاء وتمييزا بين من يقوم بحقوقها ومن ينتهك

حرماتها .

ويعد هذا البيان القرآنى لبعض خصائص هذه المعجزة يأتى الدور

النبوى لعرضها والوصاية بها وبيان حقوقها والتحذير فى شأنها .

( ١ ) جامع البيان - للطبرى ( ١٥ : ١٠٩ ) .

( ٢ ) المفردات فى غريب القرآن - للراغب ( ص ٢٧٢ ) .

( ٣ ) لسان العرب ( ١٣ : ٣١٧ ) .

( ٤ ) روح البيان - للجروسوى ( ٩ : ٢٧٧ ) .

( أ ) عرض المعجزة .

وبعد ان تمثلت الناقة بين ايدي القوم يأتي نبي الله صالح عليه السلام لعرضها عليهم وبيان اختصاصهم بها فيخبرهم بحصول هذه المعجزة بقوله في سورة الاعراف " قد جاءكم بينة من ربكم وفي قوله " من ربكم " ايماء الى انها ليست من فعله ، ولا ما يتناولها كسبه ، وهكذا سائر ما يؤيد به الله الرسل من خوارق العادات .<sup>(١)</sup>

كما ان في التعبير بعنوان الربوبية في قوله : من ربكم اشعار بنعم الله عليهم وانه سبحانه هو الذي تولى تربيتهم بالوان النعم التي ورد ذكرها في الايات وهذا ما يوجب استجابتهم والايمان بهذه المعجزة واحترامها ورعاية حقوقها وهل جزاء الاحسان الا الاحسان .

ثم يستطرد - صالح عليه السلام - في الايضاح والبيان فيقول " هذه ناقة الله لكم آية " انبهكم عليها واشهر اليها في حال كونها آية وعلامة دالة على صحة نبوتى . ( ولكم ) بيان لمن هو آية له وخصوا بذلك لانهم هم الذين طلبوها .<sup>(٢)</sup>

ويأتي تكرار هذا العرض في سورة هود بقوله " ويا قوم هذه ناقة الله

( ١ ) انظر تفسير المراغي - للمراغى ( ٨ : ١٩٨ ) .

( ٢ ) راجع روح البيان - للبروسوى ( ٣ : ١٩٠ ) .

لكم آية<sup>١</sup> وفي هذا تدرج معهم ليتورعوا في موقفهم من هذه الآية المظيمة  
ويتدبروا أمرها فهي ناقة ممتازة من سائر الأبل بما ترون من أكلها وشربها  
وجميع شئونها .<sup>(١)</sup>

### (ب) رعايتها والوصاية بها

وفي معرض ما سبق من خصائصها وأسلوب عرضها يتبين لنا أنها آية  
من آيات الله الدالة على وحدانيته تعالى وأنها من فعله وبإنجازه معجزة  
ظاهرة لنبيه عليه السلام فهي إذا كانت مكانة خاصة وحرمة عظيمة كان لا بد من  
احترامها والوصاية بها . ونستوضح هذا من قوله تعالى - على لسان نبيه  
عليه السلام " فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء" . وهذا تفريع على  
كونها آية من آيات الله تعالى . وقيل على كونها ناقة له سبحانه فكان  
ذلك مما يوجب عدم التعرض لها ، فاتركوها تأكل في أرض الله العشب وأضيفت  
الأرض إلى الله سبحانه قطعا لمذرهم في التعرض كأنه قيل : الأرض أرض الله  
تعالى والناقة ناقة الله تعالى فذروا ناقة الله تأكل في أرضه فليست الأرض لكم  
ولا ما فيها من النبات من أنباتكم فإي فذر لكم في منصفها<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر تفسير المراغي - للمراغي (١٢: ٥٦) .

(٢) انظر روح المعاني - للالوسي (٨: ١٦٣) .

ويبلغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس السذى  
هو من مبادئ الاصابة ونكر السوء<sup>١</sup> ويشمل جميع انواع الاذى من ضرب وعقر  
وغير ذلك اى لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشئ<sup>٢</sup> من الاذى فضلا عن  
مقرها وقتلها<sup>(١)</sup>.

(ج) بيان حقوقها.

وقد ان الله تعالى لنبيه صالح عليه السلام ان يخبر القوم بنصييب  
الناقة من الماء وان يقرر ذلك فيما بينهم حتى تستوفيه في يسر وسهولة  
وحتى لا يكون عليها حيف من القوم فقال تعالى<sup>٣</sup> "ونبئهم ان الماء قسمة بينهم  
كل شرب محتضر"<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء بيان وتفسير هذه القسمة بقوله تعالى<sup>٤</sup> "لها شرب ولكم  
شرب يوم معلوم"<sup>(٣)</sup>.

(٤) والمعنى واخبرهم بان ماء البئر التي لهم مقسوم لها يوم ولهم يوم

---

(١) روح البيان - للجروسوى (٤: ١٥٨) .

(٢) سورة القمر : ٢٨ .

(٣) سورة الشعراء : ١٥٥ .

(٤) روح المعاني - للالوسى (٢٧: ٨٩) - طبعة جديدة .

فليس معنى كون الماء مقسوما بين القوم والناقة انه جعل قسمين قسم لها  
 وقسم لهم بل معناه جعل الشرب بينهم على طريق المناوبة يحضره القوم يوما  
 وتحضره الناقة يوما وقسمة الماء اما لان الناقة عظيمة الخلق ينفر منها  
 حيواناتهم اولقطة الماء<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في بعض كتب التفسير ان الناقة اذا وردت في يوم شربها  
 شربت الماء حتى تأتي على آخر قطرة في الودي<sup>(٢)</sup>.

اقول وليس فيما ذكره المفسرون - من عظم الناقة او نفرة حيوانات القوم  
 منها - مبرر لهذه القسمة على هذه الهيئة فيما ارى وانما الذي بيدو - والله  
 اعلم - ان تلك القسمة امر تعبدى على وجه الفتنة والابتلاء فيكون يوم شرب  
 الناقة له حرمة وقداسة فلا يعتدون في يوم شربها سواء كان شربها من الماء  
 قليلا او كثيرا . وهذا مماثل لما كان عليه اليهود حيث امروا باحترام يوم  
 السبت وعدم الاعتداء فيه فكانت الحيتان تأتي شرما في امن وطمانينة ففى  
 ذلك اليوم . قال تعالى " وستلهم من القرية التي كانت حاضرة البحر ان  
 يعدون في السبت ان تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرما ويوم لا يسبئون  
 لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون"<sup>(٣)</sup>.

(١) روح البيان للجروسوى (٩: ٢٧٧).

(٢) جامع البيان - للطبرى (٨: ٢٣٢).

(٣) سورة الاعراف: ١٦٣.

يقول القرطبي في معنى قوله تعالى " كذلك نيلوهم " اى نشد عليهم  
في العبادة ونختبرهم .<sup>(١)</sup>

فهكذا ارى في معنى القسمة والخاية منها ، والله اعلم .

( د ) التحذير والوعيد في شأنها .

وقد اعن الله عز وجل بترك الناقة تأكل في ارضه وعدم التمرض لهما  
بالاذى وتوعدهم فيما لو اقدموا على ذلك وقد جاء هذا الوعيد على طريق  
التكرار اشعاراً بمعظمة هذه الناقة وانها ليست ناقة عادية انما هي آية عظيمة  
عظيمة وحجة بيينة وقد تنوع وصف العذاب الموعود فقد جاء وصفه في سورة  
الاعراف بالعذاب الاليم ، لانه في هذه السورة بالغ في الوعظ ، فبالغ في  
الوعيد فقال عذاب اليم . وفي هود لما اتصل بقوله " تمتصوا في اركم ثلاثة  
ايام " وصفه بالقرب فقال عذاب قريب ، وزاد في الشعراء ذكر اليوم ، لان قبله  
" لها شرب ولكم شرب يوم معلوم " فالتقدير لها شرب يوم معلوم ، فغتم الاية  
بذكر اليوم فقال " عذاب يوم عظيم " .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) الجامع لاحكام القرآن - للقرطبي ( ٣ : ٢٧٤١ - ٢٧٤٢ ) .

( ٢ ) اسرار التكرار في القرآن - للكرماني ( ص ٨٤ ) .

( هـ ) عقرها ونهاية امرها .

ومع التحذير والوعيد الشديد لمن يقدم بمسها بالاندى لكونها آية  
الله الدالة على وحدانيته وعلى صدق نبيه فقد عقرت واهلكت بعد تكذيبهم  
لنبيهم وقد اسند العقر فى عدة مواطن الى الكل .

واسناده الى الكل مع ان المباشرة لبعض مجاز لملاسة الكل لذلك  
الفعل او لكونه بين اظهرهم وهم متفقون على الضلال والكفر اولرضا الكل  
به اولامرهم كلهم به كما ينبنى " منه قوله تعالى " فنادوا صاحبيهم فتعاطى  
فمقرر (١) .

والذى يظهر ان نسبة العقر الى الكل اشارة الى تكذيبهم وجحدهم  
لاية الله تعالى فان ذلك اعظم من قتل الناقة لذاتها . وقد تكون النسبة  
الى جميعهم تنبى " ان هذا الامراض جسيم وخطر عظيم فهو بالتالى اشارة  
الى منزلة الناقة وجلالة قدرها .

وقد جرت سنة الله ان ينزل العذاب على كل من يملقون ايمانهم على  
ان يروا آية حسية ، فيستجيب الله لهم ، ثم هم لا يؤمنون . وكذلك فعلت  
شمود : فلم يكن عقربهم للناقة الا تحديا لنبيهم ، واستخفافا بآيات الله  
واستهتارا بوعيده (٢) .

( ١ ) روح المعانى - للالوسى ( ٨ : ١٦٥ ) .

( ٢ ) سيكلوجية القصة فى القرآن - للتباصى ( ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ) .

وهكذا نخلص - في السياق الموضوعي للآيات - الى نزول العذاب يثبوت

وهو امر لا يتعلق ببحثنا على التفصيل .

### ماهية المعجزة وحقيقتها الذاتية :

ما لا شك فيه ان القرآن الكريم نزل باللسان العربي المبين . وقد ورد

لفظ الناقة في آيات هذه المعجزة ، والناقة تطلق في الحقيقة على الحيوان

المعروف وقد اختلف بهذا اللفظ عدة قراء من منها الاكل في قوله تعالى " فذروها

تأكل في ارض الله <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى " لها شرب " <sup>(٢)</sup> ، وقوله " ناقة الله وسقياها " <sup>(٣)</sup>

وقوله " فعقروها " <sup>(٤)</sup> وهي جميعها الفاظ تدل على المعنى الحقيقي فهى

اذا ناقة حقيقية في جنسها لا في شكلها وهيئتها وطباعها . وانما ذكرنا

هذا لئلا يتوهم لهذه المعجزة تأويل يصرفها عن حقيقتها .

### وجه خرق المادة فيها :

اختلف العلماء في وجه كون الناقة آية ، فقال بعضهم : انها كانت آيسة

(١) سورة الاعراف : ٧٣ ، سورة هود : ٦٤ .

(٢) سورة الشعراء : ١٥٥ .

(٣) سورة الشمس : ١٣ .

(٤) سورة الشعراء : ١٥٧ ، سورة الشمس : ١٤ وفي مواطن اخرى .



بسبب خروجها بكمالها من الصخرة . قال القاضى : هذا ان صح فهو معجز من جهات : اهداها خروجها من الجبل ، والثانية كونها لا من ذكر ولا انثى والثالثة كمال خلقها من غير تدريج .

القول الثانى : انها انما كانت آية لاجل ان لها شرب يوم ، ولجميع شهود شرب يوم واستيفاء ناقة شرب امة من الامم عجيب ، وكانت مع ذلك تأتى بما يليق بذلك الماء من الكلال والحشيش .

القول الثالث : ان وجه الاعجاز فيها انهم كانوا فى يوم شربهم يحلبون منها القدر الذى يقوم لهم مقام الماء فى يوم شربهم . وقال الحسن بالعكس من ذلك ، فقال انها لم تحلب قطرة ابنى قط وهذا الكلام مناف لما تقدم .

القول الرابع : ان وجه الاعجاز فيها ان يوم مجيئها الى الماء كان جميع الحيوانات تمتنع من الورود على الماء وفى يوم امتناعها كانت الحيوانات تأتى . وعلم ان القرآن قد دل على ان فيها آية ، فاما ذكر انها كانت آية من اى الوجوه فهو غير مذكور والعلم حاصل بانها كانت معجزة من وجوه ما لا محالة (١) .

اقول هذا هو الصواب فانا لانستطيع الاثبات او النفي لهذه الوجوه على طريق الجزم وانما الثابت هو انها آية معجزة بالنص القرآنى ، ومن هنا

---

(١) انظر التفسير الكبير - للرازى (١٤ : ١٦٢ - ١٦٣) .

يلزم حتما وجود وجه او اوجه غارقة للمادة فيها اذ ليس من المنطق التسليم ان يأتى نبى من الانبياء بامر محتاد ثم يقول هذه آية فان هذا فى متناول كثير من الناس .

والذى ارى انها كانت تتميز من سائر النياق ولذا امر الله بتركها تأكل فى ارضه وعدم التعرض لها ولو كانت مشابهة لسائر النياق لكان فى ذلك كثير من الكلفة والمشقة على القوم فى تمييزها لاسيما وقد نهوا عن مسها بالاذى وهو منافى لحكمة الله وعدله واجسامه ولعموم قوله تعالى " لا يكلف الله نفسا الا وسعها " (١) .

والله اعلم . .

المبحث الثاني : معجزات موسى عليه السلام

ما لا يخفى ان الله سبحانه قد اجري الكثير من المعجزات على يده  
رسوله موسى عليه السلام وسأتناول في هذا المبحث - ان شاء الله تعالى -  
تلك المعجزات بشيء من التفصيل حسب الطاقة مع مراعاة الترتيب الزمني  
لتلك المعجزات ما امكن ذلك ، وفيما يلي ترتيب تلك المعجزات :

( ١ ) المعجزات الكبرى :

( أ ) العصا .

( ب ) اليند .

( ٢ ) معجزات الرجز :

( أ ) الطوفان .

( ب ) الجراد .

( ج ) القمل .

( د ) الضفادع .

( هـ ) الدم .

( ٣ ) معجزة الطور .

معجزة العصا  
~~~~~

ارسل الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام رسولا الى فرعون وطئسه
فدعاهم لعبادة الله وحده . فما كان منهم الا التجبر والتكبر والتكذيب
والانكار فجاهم عليه السلام بالمعجزات الظاهرات والايات البينات والى
منها انقلاب العصا الى حية تسمى .

آيات المعجزة :

قال تعالى " وما تلك بيمينك يا موسى - قال هي عصا اتوكوا عليها
واهش بها على غنى ولي فيها ما رب اخري - قال القها يا موسى - فالتقاها
فاذا هي حية تسمى - قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى (١)
وقال سبحانه : " فالتقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين (٢)
وقال عز وجل : " الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولي مديرا
ولم يصعب يا موسى لا تخف انى لا يخاف ادى المرسلون (٣)

-
- (١) سورة طه : ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ .
(٢) سورة الاعراف : ١٠٧ ، سورة الشمراة : ٣٢ .
(٣) سورة النحل : ١٠ .

وقال تعالى " وأن القصاصك فلما رآها تهتز كأنها جان ولو مدبراً ولم
يمصقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الاضيق^(١) "

مباحث الايات :

وبالنظر الى هذه الايات الكريمة نرى انها تكون وحدة موضوعية تتلخص
في النقاط التالية :

(أ) مادة المعجزة قبل الاعجاز :

لقد جاء البيان والايضاح من حقيقة مادة هذه المعجزة - قبل ظهور
الاعجاز فيها - باسلوب السؤال والجواب فقد وجه الله عز وجل سؤاله الكريم
الى نبيه موسى عليه السلام بقوله تعالى " وما تلك بيمينك يا موسى " ^(٢)
فاجاب موسى عليه السلام " قال هي عصا " نسيها عليه السلام التي
نفسه تحقيقاً لوجه كونها بيمينه وتمهيداً لما يحق به من الافاعيل المنسوبة اليه
عليه السلام ^(٣) .

(١) سورة القصص : ٣١ .

(٢) سورة طه : ١٧ .

(٣) روح المعاني - للالوسي (١٧٦ : ١٧٦) .

ولعل قائلًا ان يقول : وما وجه استخيار الله موسى عما في يده ؟ الم يكن عالمًا بان الذي في يده عصا ؟ قيل له : ان ذلك على غير الذي ذهبت اليه ، وانما قال ذلك - عز ذكره - له اذا اراد ان يحولها هبة تسمى وهى خشبة ، فنبهه عليها وقرره بانها خشبة ، ليصرفه قدرته على ما يشاء ، وعظم سلطانه ونفاز امره .^(١)

والذى ارى - والله اعلم - ان الهدف من السؤال ليستشعر موسى عليه السلام ما سيكون لهذه العصا من الشأن ، ولا اظن ان ذلك لمجرد تنبيه موسى عليه السلام على قدرة الله وعظيم سلطانه فهو يعرف ذلك ولا يشك فيه او قد يكون هذا وذاك .

وقد ورد فى كتب التفسير بعض الاخبار فى شأن العصا .

فقيل انه هبط بها آدم عليه السلام من الجنة فلم تنزل الا نبييًّا

تتوارثها حتى وقعت الى شميم ثم الى موسى عليهما السلام .

وقيل انها عصا آدم عليه السلام وان جبريل عليه السلام اخذ تلك

العصا بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى عليه السلام ربه ليلا .

وقال الحسن : ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا ، اى اخذها

من عرض الشجر .

(١) جامع البيان - للطبري (١٦: ١٥٤) .

يقول الرازي بعد ان ذكر هذه الاقوال : ولا مطمع في ترجيح بعض هذه الوجوه على بعض لانه ليس في القرآن ما يدل عليها^(١).

اقول والذي بيد وان الاقرب الى الصواب ما قاله الحسن وانها عصا طبيعية ان لو كان لها خاصية لذكرها موسى عليه السلام حين سؤاله عنها بقوله تعالى " وما تلك بيمينك يا موسى " فقد اجاب بانها عصاه وان يتوكأ عليهم ولو كانت لادم لذكر ذلك ان انه اهم من ذكر التوكأ والنهش .

وبهذا يتبين انها عصا من انواع العصى المتخذ من الشجر، والله اعلم .

(ب) خصائصها قبل ظهور الاعجاز فيها :

وبعد ان قرر موسى عليه السلام انها عصاه اخذ يبين بعض خصائصها التي يستعملها فيها - على وجه التفصيل والاجمال - فبعد قوله هي عصاى قال " اتوكؤا عليها واهش بها على غنمى " وهاتان صفتان صريحتان تشهد ان بان عصا موسى عصا حقيقية في ذاتها ومادتها .

يقول الالوسى في معنى اتوكؤا : اى اتحامل عليها في المشى والوقوف على رأس القطيع .^(٢)

(١) التفسير الكبير - للرازي (٢٤ : ٢٤٧) .

(٢) روح المعانى - للالوسى (١٦ : ١٧٥) .

ويقول الراغب : الهش يقارب الهز في التحريك ويقع على الشئ * اللين

كهش الورق اى خبطه بالعصا . قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام :

” واهش بها على غنمي ^(١) .

قال الالوسى في معنى واهش : اى اخبط بها ورق الشجر واضربه

ليسقط على غنمي فتأكله ^(٢) .

وفي حكمة تقديم التوكأ على الهش . قال الالوسى : لعل ذلك لانه

عليه السلام كان قريب العهد بالتوكأ فكان اسبق الى ذهنه ويليه الهش على

غنمه ، وقيل : لعل تقديم التوكأ طيبها لانه الاوفق للسؤال بما تلك بيمينك ، ثم

انه عليه السلام اجمل اوصافها في قوله * ولي فيها مآرب اخرى ^(٣) .

وقال ابن كثير في معنى المآرب : اى مصالح ومنافع وحاجات اخر غير

ذلك وقد تكلف بعضهم لذكر شئ * من تلك المآرب التي ابيحت ، فقيل : كانت

تضئ * له بالليل وتحرس له الغنم اذا نام ، ويخرسها فتصير شجرة تظلله

وغير ذلك من الامور الخارقة للمادة ، والظاهر انها لم تكن كذلك ، ولو كانت كذلك

لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صيرورتها شعبانا فما كان يفر منها هاربا

(١) المفسرات في غريب القرآن - للواغب (ص ٥٤٣) .

(٢) روح المعاني - للالوسى (١٦ : ١٧٥) .

(٣) روح المعاني - للالوسى (١٦ : ١٧٥) .

ولكن كل ذلك من الاخبار الاسرائيلية^(١) .

والذى يظهر ان التوكأ والهش عبارة عن انموذج لتلك المآرب فهسى اذا من جنسها كان يدفع بها دأب او يعلق بها متاع لا سيما وان منافع العصا كثيرة فكان لا بد من اجمالها وهذا من حسن المقال . فتكون الآية من باب ذكر العام بعد الخاص .

(ج) خرق المادة وظهور الاجاز :

وبعد ان بين موسى عليه السلام حقيقة ما يمينه وانها عصا واضفى عليها من الخصائص ما يشير الى انها عصا طبيعية يأتى ماعسى ان يكون قـد استشمره موسى فى شأن تلك العصا . فيتوجه اليه الامر الالهى بقوله تعالى " قال القها يا موسى^(٢) والالقاء^(٣) طرح الشىء حيث تلقاه اى ثراه ثم صار فى التعارف اسما لكل طرح^(٤) .

والضمير فى " القها " يعود الى العصا وقد جاء ذلك صريحا فى قوله تعالى " الق عصاك . . .^(٤) .

(١) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (٤ : ٥٠٠) .

(٢) سورة طه : ١٩ .

(٣) المفردات فى غريب القرآن - للراغب (ص ٤٥٣) .

(٤) سورة النمل : ١٠ .

وفى قوله تعالى " وان القصاص (١) " وهذا التوجيه الالهى يمتثل
موسى عليه السلام امر ربه عز وجل فيلقى عصاه من يده كما هو الواضح من
قوله تعالى " فلقى عصاه فاذا هى شعبان مبين (٢) .

يقول الطبرى : فالتقاها موسى - اى العصا - فجعلها الله حية
تسمى وكانت قبل ذلك خشبة يابسة، وصا يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه
فصارت حية بأمر الله (٣) .

ويقول الالوسى فى معنى قوله تعالى " فاذا هى شعبان " اى حية
ضخمة طويلة . وعن الفراء ان الشعبان هو الذكر العظيم من الحيات، وقال
آخرون انه الحية مطلقا .

ومعنى مبين : ظاهر امره لا يشك فى كونه شعبان، فهو اشارة الى
ان الصيرورة حقيقة لا تخيلية، وايتار الجطة الاسمى للدلالة على كمال سرعة
الانقلاب وثبات وصف الشعبانية فيها كأنها فى الاصل كذلك .

والاية - اى قوله تعالى " فلقى عصاه فاذا هى شعبان مبين " - من
اقوى ادلة جواز انقلاب الشئ عن حقيقته كالتحسالى ذهبان لو كان ذلك
تخيلا لبطل الاعجاز . ولم يكن لذكر مبين معنى مبين، وارتكاب غير الظاهر

(١) سورة القصص : ٣١ .

(٢) سورة الاعراف : ١٠٧، سورة الشعراء : ٣٢ .

(٣) جامع البيان - للطبرى (١٦ : ١٥٦) .

غير ظاهر، ويدل لذلك أيضا انه لا مانع في القدرة من توجه الامر التكويني الى ما ذكر وتخصيص الزادة له، والقول بان قلب الحقائق محال والقدرة لا تتعلق به فلا يكون النحاس ذهبيا او رصاصا " قول " صوه، والحق جواز الانقلاب اما بمعنى انه تعالى يخلق بدل النحاس ذهبيا على ما هو رأي المحققين او بان يسلب عن اجزاء النحاس الوصف الذي صار به نحاسا، ويخلق فيه الوصف الذي يصير به ذهبيا طي ما هو رأي بعض المتكلمين ممن تجانس الجواهر واستوائها في قبول الصفات . والمحال انما هو انقلابه ذهبيا مع كونه نحاسا لا متناع كون الشيء في الزمن الواحد نحاسا وذهبا وعلى احد هذين الاعتبارين توكأة التفسير في امر العصا .

ثم قال بعمد هذا : والذي اصيل اليه الثاني فان في كون خلق البدل انقلابا خفاء كما لا يخفى (١) .

اقول : هذا الذي ذكره الالوسي مجرد توجيهه لكيفية خرق العسادة والا فحقيقة ذلك لا تدرك على سبيل القطع .

(د) خصائص المعجزة بعد ظهور الاعجاز :

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى بعض خصائص هذه المعجزة وصفاتها فوصفها بانها حية وانها ثعبان وشبهها بالجان .

يقول الرازي : قال ههنا حية اي في سورة طه - وفي موضع آخر

(١) روح المعاني - للالوسي (١٩: ٢١) ، (١٦: ١٧٩)

ثعبان وجان .

اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير .

واما الثعبان والجان فيبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات

والجان الدقيق وفيه وجهان :

احدهما : انها كانت وقت انقلابها حية صغيرة دقيقة ثم تورمت

وتزايد جرمها حتى صارت ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مالها .

والثاني : انها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان ، والدليل

عليه قوله تعالى " فلما رآها تهتز كأنها جان " .

وقوله كأنها جان صريح في انه تعالى شبهها بالجان ولم يقل انه في

نفسه جان ، فلا يكون هذا مناقضا لكونه ثعبانا بل شبهها بالجان من حيث

الاهتزاز والحركة لا من حيث المقدار .^(١)

والذي يبدو ان الوجه الثاني هو الصواب ولا يبعد ان يكون الجان

ههنا من جنس الشيطان والنكته فيه ان الجان - على هذا - مبهم فيستصوب

السامع ما يلائم هذا التعبير من الحركة والاهتزاز .

ولذا قال الرازي : ويحتمل انه شبهها بالشيطان لقوله تعالى " والجان

خلقناه من قبل من نار السموم " .^(٢)

(١) التفسير الكبير للرازي (٢٢ : ٢٨) ، (٢٤ : ٢٤٦) .

(٢) التفسير الكبير - للرازي (٢٤ : ١٣١) .

(هـ) حقيقة المعجزة بعد ظهور الاعجاز :

وإذا نظرنا الى سياق الايات في هذه المعجزة نجد انها تبين في صراحة واضحة انها قد انقلبت الى باهجة حيوانية بعد ان كانت ذات طبيعية جمادية ولتأكيد الحقيقة فقد وصفت بالبيان في قوله تعالى " فاذا هي شعبان مبين " (١).

وفي وصف ذلك الشعبان بكونه مبيناً وجوه :

الاول : تميز ذلك مما جاءت به السحرة من التمويه الذي يلتبس على من لا يعرف سببه .

والثاني : في المراد انهم شاهدوا كونه حية لم يشتهه الامر عليهم فيه .

والثالث : المراد ان ذلك الشعبان ايان قول موسى عليه السلام عن

قول المدعى الكاذب (٢).

ولعل الوجه الثاني هو الانسب بكونه مبين فيكون لبيان الحقيقة .

ولذا قال الرازي : والمراد انه تبين للناظرين انه شعبان بحرقاته

وسائر العلامات (٣).

(١) سورة الاعراف : ١٠٧، سورة الشعراء : ٣٢ .

(٢) التفسير الكبير - للرازي (١٤ : ١٩٥) .

(٣) التفسير الكبير - للرازي (٢٤ : ١٢١) .

وكذا نجد في الآيات من الألفاظ ما يؤكد الطبيعة الحيوانية كوصفها
بالسعى في قوله تعالى " فإذا هي حية تسعى " (١) .
والسعى المشى " بسرعة وخفة حركة " (٢) .
وكذا وصفها بالاهتزاز في قوله تعالى " تهتز كأنها جان " (٣) .
يقول الراغب : الهز التحريك الشديد (٤) .

فهكذا الألفاظ وقراءات الأحوال - كموقف موسى عليه السلام في قوله
تعالى " فلما رآها تهتز كأنها جان ولو مدبراً ولم يحقّب " - كلها تبين الحقيقة
الاعجازية وإن الانقلاب وقع من المادة الجمادية إلى الطبيعة الحيوانية
على الوجه الحقيقي الذي لا يحتمل الشك والارتياب . والله اعلم .

(و) موقف موسى عليه السلام من المعجزة :

لقد كان موقف موسى عليه السلام من مادة المعجزة قبل خرق المادة
فيها وظهور الاعجاز موقفاً إيجابياً فهو يعلم أنها عصاه ، ونستشعر هذا من
قوله هي عصا والتي أَلَفَّ أن يستعظمها في أغراضه المعتادة كالتوكأ والهش

-
- (١) سورة طه : ٢٠ .
(٢) روح البيان - للبروسوى (٥ : ٣٧٥) .
(٣) سورة النمل : ١٠ ، سورة القصص : ٣١ .
(٤) المفردات في غريب القرآن - للراغب (ص ٥٤٢) .

بها على غنطه ونمض المآرب الاخرى .

وما ان توجه اليه الامر الالهى بالقائها وطرحها على الارض والقائها
من يده حتى وقع الامر العظيم والمنظر الروعيب . ولقد كان يعرفها موسى
عليه السلام انها عصا جمادية لا حياة فيها ولا حركة فاذا هي حيوان لها
خصائص الحياة فهي تسمى وتتحرك وتهتز وتضطرب وهنا يتغير الموقف
الايجابى الى الموقف السلبي ، ولقد ذكر الله عز وجل موقف موسى عليه
السلام من هذا الحدث العظيم بقوله تعالى " فلما رآها تهتز كأنها جان
ولى مدبرا ولم يعقب ^(١) .

والمعنى ان موسى ولى هاربا خوفا منها ^(٢) .

ولم يرجع على عقبه وانما اعتراه الروعب لظنه ان ذلك الامر يريد به
هلاك نفسه ^(٣) .

يقول الرازى فى معنى خوفه منها مع انه على علم انه ميموث من عند
الله يقول : ان ذلك الخوف كان من نفرة الطبع لانه عليه السلام ماشاهد
مثل ذلك قط ، وايضا فهذه الاشياء معلومة بدلائل الصقول ، وفى
الفرع الشديد قد يذهل الانسان عنه .

(١) سورة النمل : ١٠ ، سورة القصص : ٣١ .

(٢) جامع البيان - للطبرى (١٩ : ١٣٦) .

(٣) روح البيان - للبروسوى (٦ : ٣٢٣) .

قال الشيخ ابو القاسم الانصاري رحمه الله تعالى : وذلك الخوف من
اقوى الدلائل على صدقه في النبوة لان الساحر يطمح ان الذي اتى بهتمويه
فلا يخافه البتة .^(١)

اقول : هذا الذي نقله الرازي عن ابي القاسم في غاية الحسن فان
خوف النبي من المعجزة اشمارياته لا مدخل له في تكويتها وهدوشها وقد تقررت
هذا فيما سبق .

(ز) سلب خصائص الاعجاز واعادة المعجزة الى مادتها الاولى

لا شك ان اعادة المعجزة الى مادتها الاولى " المصوية " شاهد صريح
بكمال قدرة الله تعالى وتصرفه العاطلق وقد تبين لنا كيف تحولت العصا الى
حية تسمى فكانت ذا منظر رهيب حتى خافها موسى عليه السلام فولى مدبراً
عندئذ يأمر الله موسى باخذها وعدم الخوف منها ويأذن باعادتها الى مادتها
الاولى بقوله تعالى " قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى " ^(٢)

قال في روح البيان : السورة فعله من السيراي نوع منه تجوز بهـ
للطريقة والهيئة .^(٣)

(١) التفسير الكبير - للرازي (٢٢ : ٢٩) .

(٢) سورة طه : ٢١ .

(٣) روح البيان - للجروسوي (٥ : ٣٧٦) .

والمعنى : أخذ الحية ولا تخف فانا سنعيد لها لهيئتها الاولى السقى

كانت عليها قبل ان نصيرها حية ونودها عصا كما كانت (١)

وبهذا نعلم ان حرق العادة قد تكوّن في هذه المصحفة فيعد ان كانت

عصا عادية حولت الى حية تسمى في جنسها ثم اعيدت عصا كما كانت . وهذا

كله من دلائل الاعجاز وتصرف القائل المختار .

والله اعلم ..

(١) جامع البيان - للطبري (٦ : ١٥٦) .

معجزة السيد

آيات المعجزة :

قال تعالى : " وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فتلحظ آيات (١)

(١) لم يرد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة - فيما اعلم - تفسير لهذه الآيات التسع على وجه التحديد الا ان المفسرين قد ذكروا اقوالا كثيرة لا يسمنا ايرادها هنا . ولكن الذي يبدو ان معجزتا العصا واليد تدخل ضمن تلك التسع، وما لا شك فيه ان الله تعالى قد اجري على يد موسى كثيرا من الخوارق منها ما كان بحضرة فرعون وقومه ومنها ما كان بحضرة بنى اسرائيل بحد هلاك فرعون وليست كل هذه الخوارق معجزات بالمعنى الذى اوضحناه في بحث المعجزة على ان هذه الآيات التسع كانت بحضرة فرعون كما يشير اليه سياق الآيات لاسيما ما جاء في سورة الاسراء في قوله تعالى " ولقد آتينا موسى تسعة آيات " . الآية ١٠١ - ١٠٢ .

يقول الرازى : اما هذه التسعة فقد اتفقوا - اى المفسرون - على سبعة منها وهى العصا واليد والظوفان والجراد والقمل والضفادع والسدم وبقى الاثنان ولكل واحد من المفسرين قول آخر فيهما ولما لم تكن تلك الاقوال مستندة الى حجة ثانية فضلا عن حجة يقينية لا جرم تركت تلك الروايات . . ١ هـ تفسير الرازى (٢١ : ٦٤) = ٠

الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين (١).

وقال سبحانه : " اسلك يداك في جيبك تخرج بيضا من غير سوء واضم اليك جناحك من الرهب فذاتك برهانان من ريك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين (٢) .

وقال عز وجل : " واضم يدك الى جناحك تخرج بيضا من غير سوء آية اخرى (٣) .

وقال تعالى " ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين (٤) .

مباحث الايات :

اولا : القول في معنى الجيب والجناح .

(١) معنى الجيب في قوله تعالى " واتخل يدك في جيبك (٥) وفي قوله

= والخلاصة ان ما ذكره الرازي هو الاقرب للصواب وهو ما اتفق عليه المفسرون فقد ذكرت بصراحة انها آيات اماما لم يذكر بلفظ صريح وطريق صحيح فلا نستطيع اثباته . والله اعلم .

(١) سورة النمل : ١٢ .

(٢) سورة القصص : ٣٢ .

(٣) سورة طه : ٢٢ .

(٤) سورة الاعراف : ١٠٨ ، سورة الشعراء : ٣٣ .

(٥) سورة النمل : ١٢ .

” اسلك يدك فى جيبيك ^(١) .

قال فى لسان العرب : الجيب : جيب القميص والدرع ، والجمع جيوب

وفى التنزيل العزيز : ” وليضربن بخمورهن طلى جيوبهن ^(٢) .

ويقول الالوسى فى معنى الجيب - فى قوله تعالى ” وادخل يدك فى

جيبك ” - اى جيب قميصك وهو مدخل الراس منه المفتوح الى الصدر لا ما يوضع فيه الدراهم ونحوها كما هو معروف الان لانه مولد ^(٣) .

وبهذا يكون الجيب الفتحة التى طلى الصدر فهى اذا مدخل

الراس ومخرجه ، وسأتى ما يؤكد هذا المعنى فيما ذكره المفسرون فى معنى الايات .

(٢) معنى الجناح فى قوله تعالى ” واضم اليك جناحك ^(٤) ” وقوله تعالى

” واضم يدك الى جناحك ^(٥) ” .

قال فى اللسان : وجناح الانسان : يده . ويد الانسان : جناحاه

(١) سورة القصص : ٣٢ .

(٢) لسان العرب (١ : ٢٨٨) .

(٣) روح المعانى - للالوسى (١٩ : ١٦٧) .

(٤) سورة القصص : ٣٢ .

(٥) سورة طه : ٢٢ .

وفى التنزيل : " واطم اليك جناحك من الذهب " .

قال الزجاج : معنى جناحك العنق ، يقال اليد كلها جناح ^(١) .

وقال الراغب : الجناح جناح الطائر وسمى جانباً الشئ " جناحيه
وجناحا الانسان لجانبه . قال عز وجل " واطم يدك الى جناحك " اي جانبك
واطم اليك جناحك عبارة عن اليد لكون الجناح كاليد ^(٢) .

ويقول الزمخشري : والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين
لانه يجنحهما عند الطيران ^(٣) .

فان قيل قد جعل الجناح وهو اليد في اهد الموضعين مضموماً وفى
الاخر مضموماً اليه ، وذلك قوله - واطم اليك جناحك - وقوله واطم يدك الى
جناحك فما التوفيق بينهما ؟ قلنا : المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى
وبالمضموم اليه اليد اليسرى ، وكل واحدة من يدين ويمرأهما جناح ^(٤) .

(١) لسان العرب (٢: ٤٢٨، ٤٢٩) .

(٢) المفردات فى غريب القرآن - للراغب (ص ١٠٠) .

(٣) الكشاف - للزمخشري (٢: ٥٣٤) .

(٤) الكشاف - للزمخشري (٣: ١٧٥) .

ثانيا : توجيه الامر الالهى لموسى عليه السلام .

لقد جاء توجيه الامر الالهى لموسى عليه السلام - فى شأن هذه المعجزة - بمباريات مختلفة فقال فى سورة النمل : وأدخل يدك فى جيبك وفى سورة القصص اسلك يدك فى جيبك وفى سورة طه : واضم يدك اليمنى جناحك .

يقول الكرمانى خصت هذه - اى سورة النمل - بادخل ، لانه ابلغ معنى قوله اسلك لان اسلك يأتى لازما ومتعديا وادخل متعدد لاغير .^(١)

والذى يبدو انه لاضافة فى المعنى وان اختلفت العبارات على اعتبار معنى الجيب مدخل الراس المفتوح على الصدر واعتبار الجناح اليد والتوفيق ممكن كما ذكره الزمخشري آتفا .

ولعل مراده ان المعنى ادخلها فى جيبك وضعها تحت ابطك وامره تعالى اياه عليه السلام بادخل يده فى جيبه مع انه سبحانه قادر على ان يجعلها بيضاء من غير ادخال للامتحان وله سبحانه ان يمتحن عباده بما شاء^(٢) .

(١) اسرار التكرار فى القرآن - للكرمانى (ص ١٥٧) .

(٢) روح المعانى - للالوسى (١٩: ١٦٧) .

اما في معنى قوله تعالى " واطم اليك جناحك من الرهب^(١) .

فيقول الراغب : الضم الجمع بين الشيين فصاعدا^(٢) .

وفي معنى الرهب يقول : الرهبة والرهب : مخافة مع تحرز واضطراب
وقرى من الرهب اي الفزع^(٣) .

ويقول الزمخشري فيه صنيان (اي في قوله تعالى واطم اليك جناحك

من الرهب) .

احدهما : ان موسى عليه السلام اما قلب الله العما حية فسنزع
واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ ، فليل له ان اتقاك بيدك
فيه غضاضة عند الاعداء ، فاذا القيتما فكما تتقلب حية فادخل يدك تحت
عضدك مكان اتقاك بها ثم اخرجها بيضا ، ليحصل الامران اجتناب ما هو
غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى .

والثاني : ان يراد يضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده
عند انقلاب العما حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استمارة من فعل الطائر لانه
اذا خاف نشر جناحيه وارخاها والا فجناحاه مضمومان اليه مشران .

ومعنى قوله من الرهب : من اجل الرهب : اي اذا اصابك الرهب عند

(١) سورة القصص : ٣٢ .

(٢) المفردات في غريب القرآن - للراغب (ص ٢٩٩) .

(٣) المفردات في غريب القرآن - للراغب (ص ٢٠٤) .

رؤية الحية فاضم اليك جناحك .

وقوله " اسلك يدك في جيبك " طوى احد التفسيرين واحد ولكن
خولف بين العبارتين ، وانما كبر المعنى الواحد لا اختلاف الفرضين وذلك
ان الفرض في احدهما خروج اليد بيضا^(١) وفي الثاني اخفاء الرهب .
وللمفسرين في معنى هذه الاية " واضم اليك جناحك من الرهب " .
ثلاثة اقوال :

احدها : انه لما هرب من الحية امره الله ان يضم اليه جناحه
ليذهب عنه الغزع .

الثاني : انه لما هاله بياض يده وشعاعها ، امره ان يدخلها في جيبه
فمادت الى حالتها الاولى .

الثالث : ان معنى الكلام : سَكَنَ رَوْحَكَ ، وَثَبَتَ جَأْشَكَ^(٢) .

والذى يظهر ان بعض هذه الاقوال يتفق مع ما ذهب اليه الزمخشري
الا ان ما ذكره الزمخشري فيه زيادة في التوضيح وحسن في التوجيه ، ولكن
اذا نظرنا الى هذه الاقوال والى ظاهر الايات وجدنا خوف موسى عليه
السلام متحققا في المعجزة الاولى " العصا " ويؤكد قوله تعالى " فلما رآها

(١) انظر الكشاف - للزمخشري (٣ : ١٧٥) .

(٢) زاد السير في علم التفسير - لابن الجوزي (٦ : ٢٢٠) .

تهتز كأنها جان ولي مدبرا^(١) .

أما في المعجزة الثانية " اليد " فلم يذكر أنه خاف من يده . والسدى
أرجح من هذه الأقوال هو القول الأول وهو أنه امران يضم إليه جملته
عند الخوف والفرع من الحية وإنما رجحت القول الأول للأسباب الآتية :

(أ) أن الخوف والفرع ذكر في المعجزة الأولى صراحة فكان ظاهرا جليا .

(ب) ترابط آيات المعجزتين في عدة مواطن كقوله تعالى " فالتقى عصاه

فأذا هي شعبان مبين - ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين^(٢) .

فهى إذا تشير إلى أنها وقعتنا في زمن متقارب .

(ج) قوله تعالى " فذانك برهانان " بعد قوله من الرهب، والبرهانان هنا

هما العصا واليد كما ذكره المفسرون^(٣) ، والله اعلم .

ثالثا : حقيقة المعجزة وما هيئتها .

والذى يبدو من سياق الآيات أن المعجزة هنا هى اليد الحقيقية

الجارحة ولكن بعد أن أظهر الله فيها من الإعجاز ما شاء بأذنه وتكوينه

(١) سورة النمل : ١٠ .

(٢) سورة الاعراف : ١٠٧ - ١٠٨ ، سورة الشعراء : ٣٢ - ٣٣ .

(٣) جامع البيان - للطبرى (٢٠ : ٧٤) ، روح المعاني - للالوسى

. (٢٠ : ٧٦)

وقد جاء النص القرآني في عدة مواطن معبرا عما سيحدث لليد بعد امتثال الامر الالهي وادخالها في الجيب طي الهيئة التي سبق ايضاحها وهذا ما يشير اليه قوله تعالى " تخرج بيضا من غير سوء" (١).

والسوء : كل ما ينم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية ومن الاحوال النفسية والبدنية، وقوله تعالى " بيضا من غير سوء" اي من غير آفة بها وفسر بالبرص، وذلك بمرض الافات التي تعرض لليد (٢).

قال الالوسي : والسوء الياضة والقبح في كل شئ، وكفى به عن البرص كما كفى عن العمرة بالسوء لما ان الطباع تنفر عنه والاسماع تمنجسه وفائدة التخصر لنفي ذلك الاحتراس فانه اواقتر على قوله تعالى " تخرج بيضا" لا وهم ولو على بعد ان ذلك من البرص، ويجوز ان يكون الاحتراس عن توهم عيب الخروج عن الخلقة الاصلية طي ان المعنى تخرج بيضا من غير عيب وقبح في ذلك الخروج او عن توهم عيب مطلقا (٣).

وبعد هذا الاحتراس ونفي سوء بمعناه الجامع من البرص وغيره تأتي النتيجة وتظهر الحقيقة في قوله تعالى " ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين" (٤).

(١) سورة طه : ٢٢، سورة النمل : ١٢، سورة القصص : ٣٢ .

(٢) المفردات في غريب القرآن - للراغب (ص ٢٥٢ - ٢٥٣) .

(٣) روح المعاني - للالوسي (١٦ : ١٨٠) .

(٤) سورة الاعراف : ١٠٨، سورة الشعراء : ٣٣ .

- (١) قال الراغب : نزع الشيء جذبة من مقره كنزع القوس عن كبده .
والمراد من قوله تعالى " ونزع يده " : اى اخرجها من جيبه لقوله
تعالى " ادخل يدك في جيبك " او من تحت ابطه لقوله تعالى " واضمم
يدك الى جناحك " والجمع بينهما ممكن في زمان واحد .^(٢)
واما معنى بيضا فالبياض في الالوان ضد السواد .^(٣)
وهذه الصفة هي الوصف الخاص لهذه المعجزة . وقد اختلف في
كته هذا البياض فقال الطبرى : فاذا هو بيضا تلعب لمن ينظر اليه
ويراها .^(٤)
وقال الزمخشري : ولا تكون بيضا النظارة الا اذا كان بياضها
بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة
للمجائب .^(٥)
وللمفسرين اقوال في بيان هذا البياض ومقداره . فقليل انها كانت مثل
الثلج في بياضها .^(٦)

(١) المفردات في غريب القرآن - للراغب (ص ٤٨٧) .
(٢) راجع روح المعاني - للالوسي (٩ : ٢٦) .
(٣) المفردات في غريب القرآن - للراغب (ص ٦٦) .
(٤) جامع البيان - للطبرى (١٩ : ٧١) .
(٥) الكشاف - للزمخشري (٢ : ١٠٢) .
(٦) جامع البيان - للطبرى (١٦ : ١٥٧) .

(١) وقيل كان لها شعاع كشعاع الشمس .

والتحقيق انه لم يرد - فيما اطم من طريق موشوق - بيان لمقدار بياضها اللهم الا ان تكون من تلك الزوايا التي لا يطمئن اليها الباحث المحقق ولكن الذى يدور فى خلدى حول كنه ذلك البياض الذى ذكر فى هـ هذه المعجزة انه بمقدار يظهر للجمع الكثير من الناس لانه حيث تقرر ان هـ هذه معجزة بقوله تعالى " تخرج بياضا من غير سواد آية اخرى (٢) .

وان من خصائص المعجزات الظهور والاتشار فبهذا الاعتبار يكون ذلك البياض بقوة فائقة، ولعل احسن ما قيل فى هذا ما ذكره الزمخشري آنفا ان هو الذى ينسجم مع خصائص المعجزة واهدائها .

ونستفيد من صيغة الجمع فى قوله تعالى " فاذا هى بياضا للناظرين " القوة الفائقة لذلك البياض انه هو الذى يتأتى ان يكون على مستوى الجمع الكثير . والله اعلم .

رابعا : وجه خرق المادة فى هذه المعجزة .

لقد جاء ذكر خرق المادة صريحا فى هذه المعجزة، والامر المعتاد هنا هى اليد الجارحة وهذا مفهوم من السياق وقرائن الاحوال مثل قوله

(١) روح المعانى للالوسى (١٦ : ١٨٠) .

(٢) سورة طه : ٢٢ .

تعالى : ادخل يدك . . واسلك يدك . . واطم يدك .

وهذه كلها تشير الى انها اليد العادية التي لم يكن فيها اعجاز من
قبل ثم خرقت المادة بظهور البياض فيها على وجه معجز وهذا ما يشير اليه
- في غير موطن - قوله تعالى " تخرج بيضاء " وقوله تعالى " ونزع يده فاذا هنيئ
بيضاء " . . فهذا هو وجه خرق العادة . والله اعلم .

معجزات الرجز

لقد تتابعت الايات البيئات التي فرعون وقومه فارسل الله عليهم
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم فكانت بالتالي معجزات لموسى
عليه السلام اجراها الله في زمنه وطلب يديه .

قال تعالى في شأن هذه المعجزات : " فارسلنا عليهم الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما
مجرمين (١) .

فهكذا نرى انه قد جاء ذكر هذه المعجزات وتعدادها في القرآن
الكريم كما هو الواضح في الاية السابقة وسنبين حقائق هذه المعجزات ثم
وجه خرق المادة فيها حسب الامكان .

اولا : تعريف هذه المعجزات وحقايقها .

(أ) معجزة الطوفان :

قال في لسان العرب : والطفان : الماء الذي يفشى كل مكان
وقيل الصطر الغالب الذي يفرق من كثرتة ، وقيل الطوفان الموت العظيم .

(١) سورة الاعراف : ١٣٣ .

وقيل الطوفان من كل شيء ما كان كثيرا محيطا مطبقا بالجماعة كلها كالخرق الذى يشتعل على المدن الكثيرة، والقتل الذريع والموت الجارف يقال له طوفان (١).

وقال الراغب : والطوفان كل مادة تحيط بالانسان وعلى ذلك قوله " فارسلنا عليهم الطوفان (٢) .

اقول : والطوفان بهذا المعنى يتفق مع المفهوم اللغوي للفظ الطوفان ان يفهم منه الاحاطة والصوم والشمول وهذا فى اللفظة .
واما معنى الطوفان عند علماء التفسير فيقول الطبرى : اختلف اهل التأويل فى معنى الطوفان فقال بعضهم هو الماء ، وقال آخرون بل هو الموت ، وقال آخرون بل ذلك كان امرا من الله طاف بهم .

ثم قال : والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله ابن عباس على ما رواه عنه ابو ضبيان انه امر من الله بلاف بهم ، واذا كان كذلك جاز ان يكون الذى طاف بهم المطر الشديد وجاز ان يكون الموت الذريع (٣) .

وقال الالوسى : الطوفان : اى طاف بهم ونشى اماكنهم وحرشهم من مطر او سيل فهو اسم جنس من الطواف وهو اسم لكل شيء حادث يحيط

(١) لسان العرب (٩: ٢٢٧) .

(٢) المفردات فى غريب القرآن - للراغب الاصفهاني (ص ٣١٢) .

(٣) جامع البيان - للطبرى (٩: ٢٢٤، ٢٢٦) طبعة بيروت - ط الثانية .

بالجهات ويعم كالماء الكثير والقتل الذريع والموت الجارف، وقد اشتهر فئس طوفان الماء وجاء تفسيره هنا بذلك في حدثروايات عن ابن عباس وجاء عن عطاء ومجاهد تفسيره بالموت .^(١)

قال البخارى في صحيحه من كتاب التفسير : قال ابن عباس طوفان من السيل ويقال للموت الكثير طوفان .^(٢)

ويقول الرازى بعد ان ذكر المعنى اللغوى للطوفان يقول : اذا عرفت هذا فنقول : الاكثرون على ان هذا الطوفان هو الخطر الكبير .

وقد عقب الرازى على من قال ان الطوفان هو الموت فقال : وهذا القول مشكل لانهم لو اमितوا لم يكن لارسال سائر انواع العذاب عليهم فائدة .^(٣)

اقول : والذى اميل اليه فى معنى الطوفان ههنا انه الماء الكثير والسيل الحارم وهذا مؤيد من وجوه :

اولا : لموافقة هذا المعنى للمعنى اللغوى المشهور ان يتبادر الى الذهن فى معنى الطوفان انه الماء الكثير والسيل الهائج .

ثانيا : لمطابقته لتفسير ابن عباس فى معنى الطوفان والوارد فى رواية

(١) روح المعانى - للالوسى (٣٢: ٩) .

(٢) صحيح البخارى - كتاب التفسير (٦: ٧٣ - ٧٤) .

(٣) التفسير الكبير - للرازى (١٤: ٢١٨) .

البخارى فى صحيحه من كتاب التفسير كما ذكرناه آنفا .

ثالثا : لقلة الاشكال الوارد على هذا المعنى بخلاف تفسيره بالموت فانه يرد عليه بعض الاشكال كما ذكره الرازى ، ولان الطوفان معجزة كما تقر من قبل والمعجزة فيها معنى الدعوة الى الخير والى التصديق وهذا لا يتأتى بمجرد الموت ولو سلمنا - جدلا - ان الطوفان بمعنى الموت ههنا لكان من الاولى ان يحقق الموت بفرعون قبل غيره لكن هذا على خلاف المعروف اذ المعروف ان فرعون هلك فى اليم كما جاء به القرآن الكريم كما فى قوله تعالى " فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم " (١) .

فهذا ما ارى وما اختاره فى معنى الطوفان فى هذه المعجزة . والله

اعلم .

(ب) معجزة الجراد :

قال فى اللسان : والجراد : معروف، والواحدة جرادة تقع على الذكر والانشى (٢) .

وقال الراغب : الجراد : معروف قال تعالى " فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل " فيجوز ان يجعل اضلا فيشتق من فعله جرد الارض ويصح ان

(١) سورة طه : ٧٨ .

(٢) لسان العرب (٣: ١١٧) .

يقال سمي ذلك لجرده الارض من النبات (١)

وقال ابن كثير في تفسيره : واما الجراد فمعروف مشهور (٢)

وقد ذكر اكثر المفسرين ان الجراد معروف مشهور (٣)

اقول : وانا نظرنا الى ما سبق في تعريف الجراد وجدنا النص يشير الى انه معروف لاسيما ما ذكره الراغب من صفته وانه يجرد ما على الارض من النبات وبالاستئناس الى اقوال المفسرين في ذلك وانه معروف مشهور يتضح لنا انه الحشرة المعروفة اليوم المسماة بالجراد وذلك لا محذور :

(١) لعدم الخلاف - فيما اطم - في تعريف الجراد .

(٢) لملازمة الاسم لمسماه واشتهاره به ان لفظ الجراد لا يفهم منه عنيد

الاطلاق الا تلك الحشرة المحروفة الضارة بالنبات .

ومما يؤيد هذا ما ذكره بعض العلماء في تعريف الجراد حيث قال :

والجراد آفة مهلكة اذا طلحت اسرابه على الزرع اتت عليه ، فلم تبق منه

شرا ولا ورقنا (٤)

ويتطبيق الاسم والصفة نجد انها هي الحشرة المعروفة بذاتها ، والله اعلم .

(١) المفردات في غريب القرآن - الراغب (ص ٩٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (٣ : ٢١١) .

(٣) روح المعاني للالوسي (٩ : ٣٤) ، والتفسير الكبير للرازي (١٤ : ٢١٨) .

(٤) التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب (٩ : ٤٦٥) .

و
(ج) معجزة القمل :

جاء في اللسان : والقمل : صفار الذر والدي ، وقيل هو الدي الذي لا اجنحة له ، وقيل هو شيء صغير له جناح احمر .

ابن السكيت : القمل شيء يقع في الزرع ليس بجراد فيأكل السنبلية وهي غضة قبل ان تخرج فيطول الزرع ولا سنبل له ، قال الازهرى وهـ هذا هو الصواب (١) .

وقال الراغب : القمل : صفار الذباب ، قال تعالى : " والقمل والضفادع والدم " والقمل معروف (٢) .

وقال الرازي من علماء التفسير : واما القمل : فقد اختلفوا فيه فقيل هو الدي الصفار الذي لا اجنحة له ، وهي بنات الجراد (٣) .

ويقول الالوسي : والقمل بضم القاف وتشديد الميم قيل : هو الدي وهو صفار من الجراد ولا يسمى جرادا الا بعد نبات اجنحته ، وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ، وقيل هو القردان جمع القراد المعروف وقيل صفار الذر ومن حبيب بن ابي ثابت انها الجمالان ، عن ابن زيد قال زعم بعض الناس انها البراغيث ، وعن سعيد بن جبير انها السوس وهي الدابة

(١) لسان العرب (١١ : ٥٦٩) .

(٢) المفردات في غريب القرآن - المراهب (ص ٤١٣) .

(٣) التفسير الكبير - للرازي (١٤ : ٢١٨) .

التي تكون في الحنطة وغيرها ، ويسمى قملًا ^(١) .

وجاء في كتاب التفسير من صحيح البخاري مانصه : والقمل الحنطان يشبه صفار الحلم ^(٢) .

وقال في روح البيان : وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد به القمل المعروف الذي يقع في بدن الانسان وثوبه ^(٣) .
اقول : هكذا نرى اختلاف الاقوال في تحديد مسمى القمل والذي يبدو ان القمل حشرة مجهولة نوعا ما وليس لها من الشهرة ما للجراد والضفادع ولكن الذي نستطيع ان نستفيد منه ونقرره من كلام المفسرين ان القمل من الحشرات الضارة بالنبات والاعوم والاجساد ونكتفي بهذا المعنى الجامع لكل الاقوال ، والله اعلم .

(د) معجزة الضفادع :

قال في لسان العرب : والضفدع مصروف ^(٤) .

هكذا جاء في لسان العرب ولعل هذا لاشتهاره اذ ان لفظ الضفدع عند الاطلاق لا ينصرف الا الى الدابة المعروفة التي تعيش في

(١) روح المعاني - للالوسي (٣٤ : ٩) .

(٢) صحيح البخاري - كتاب التفسير (٧٤ : ٦) .

(٣) روح البيان - للبروسوي (٢٢١ : ٣) .

(٤) لسان العرب (٢٢٥ : ٨) .

الماء وخارج الماء وهذه الدابة تعرفها الخاصة والعامّة تقريبا .

وأما في علم التفسير فقال الالوسي : والضفادع : جمع ضفدع : الدابة المائية المعروفة (١) .

وقال آخر : والضفادع : جمع ضفدع وهي حيوان مائي يرى . . . بشع المنظر مزعج الصوت . (٢)

وأذا نظرنا الى ما جاء في التفسير من الضفدع وجدنا ذلك ينطبق تماما على الضفدع المعروف الان ولكن الفارق ظهور الاعجاز في تلك الضفادع .

(هـ) معجزة الدم :

قال الراغب : اصل الدم دَمٌ وهو مصروف وجمعه دماء (٣) .

وقال في روح المعاني : والدم مصروف (٤) .

وجاء في التفسير القرآني : والدم سائل يجري في عروق الكائن الحي اذا خرج من العروق تجمد (٥) .

-
- (١) روح المعاني - للالوسي (٣٤: ٩) .
 - (٢) التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب (٩: ٤٦٦) .
 - (٣) المفردات في غريب القرآن - للراغب (ص ١٧١ - ١٧٢) .
 - (٤) روح المعاني - للالوسي (٣٤: ٩) .
 - (٥) التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب (٩: ٤٦٦) .

اقول : ولا شك ان القصد من ائدم في هذه المعجزة انه الدم السائل الاحمر المعروف وان الفرق بين هذا الدم وذلك الدم هو خرق العادة فيه فقد يكون خرق العادة في صدره او خواصه او تسلطه كما سنعرف فيما بعد ان شاء الله تعالى .

ثانيا : وجه خرق العادة في هذه المعجزات .

وبعد ان عرفنا شيئا من حقائق تلك المعجزات يجد ربنا ان نبين وجه خرق العادة فيها والجد ير بالذكر ان القرآن الكريم لم يتعرض لذكر خرق العادة فيها وانما جاء ذكرها على وجه التعداد كما هو واضح في الاية الكريمة .

واما في كتب التفسير فقد تطرق بعضها لبيان خرق العادة فيها فمن ذلك ما اوردته الالوسي حيث قال : وروى ان موسى عليه السلام لما رأى من فرعون وقومه العناد والاصرار ما وقال : يا رب ان فرعون ملا في الارض وان قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بمقوية تجعلها عليهم نقمة ولقوى عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فانزل الله تعالى عليهم المطر ثمانية ايام في ظلمة شديدة لم يستطع احد ان يخرج من بيته فدخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وكانت مشبكة في بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركب فضمهم من الحشر

والتصرف ودام ذلك الماء عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فقالوا
 يا موسى ادع لنا ربك يكشفنا ذلك ونحن نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل
 فدعا ربه فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ ما لم يمهدهم مثله قبله ، فقالوا
 ما كان هذا الماء الا نعمة علينا فلم يؤمنوا فبعث الله تعالى عليهم الجراد
 فاكل زرعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وشبابهم وامتعنتهم حتى اكل
 مسامير الحديد التي في الابواب ولم يصب بنى اسرائيل من ذلك شيء فمضوا
 وضجوا الى موسى عليه السلام ، وقالوا له كما قالوا اولا فخرج موسى عليه السلام
 الى الصحراء فاشار بمصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الى النواحي التي
 جاء منها ، وقيل جاءت ريح فالقته في البحر فلم يؤمنوا . فسلط الله تعالى
 عليهم القمل فاكل ما ابقى الجراد وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلسه
 فيمضه واذا اراد ان يأكل طعاما امتلأ قملا . وقال ابن المسيب : ابتلوا
 بالسوس فكان الرجل منهم يخرج بمشيرة اجرية الى الرعي فلا يبرد الا بثلاثة
 اقفة منها واخذ حواجيبهم واشفار عيونهم وسائر شعورهم وفعل في جلودهم
 ما يفعله الجدرى ومنعهم النوم والقرار ففزعوا الى موسى عليه السلام فرفع
 عنهم وقالوا : قد تحققنا الان انك ساحر ، فارسل الله تعالى عليهم
 الضفادع فاملأت بيوتهم وافنيتهم وامتعنتهم وانبتهم منها فلا يكشف احد اناء
 الا وجدها فيه وكان الرجل يجلس في الضفادع فتبلغ الى حلقه فـان ا
 اراد ان يتكلم يشب الضفدع فيدخل فيه ، وكانت تشب في قدورهم فتفسد عليهم

طعامهم وتطفئ^١ نيرانهم واذا اضطجع احدهم ركبته حتى تكون عليه ركاما فلا يستطيع ان ينقلب واذا اراد ان يأكل سبقته الى فيه ولا يمجن عجينا الا امتلا منها ففزعوا اليه عليه السلام وتضرعوا فاخذ عليهم الصهـود والمواثيق ودعا فكشف الله تعالى عنهم ذلك فنقضوا العهد . فارسل الله تعالى عليهم الدم فسال النيل عليهم دما مبيطا وصارت مياههم دما فكان فرعون يجمع بين القبطى والاسرائيلى فى انا^١ واحد فيكون مايلى الاسرائيلى ما^١ ومايلى القبطى دما ويقومان الى الجرة فيها الماء فيخرج للقبطى دم ، وللاسرائيلى ما^١ حتى المرأة من آل فرعون تأتى المرأة من بنى اسرائيل فتقول لها اسقيني ما^١ فتصب لها من قربتها فيصير فى الاناء دما حتى كانت تقول : اجعليه فى فيك ثم مجبه فى فى فتفعل ذلك فيصير دما .

وقال ابن اسلم : ان الدم الذى سلط عليهم كان الرعاف^(١) .

اقول : وان كانت هذه الرواية من تلك الروايات التى اعتاد علماء التفسير نقلها فى كتبهم والتى تحتل الصحة او الخطأ ، الا انه ليس لدينا ما يثبتها او ينفيها على وجه الجزم - فيما اعلم - فهى اذا محتمة للوجهين وقد صورت وجوه لخرق المادة فى تلك المعجزات . وقد جاء فى التفسير القرآنى ما يفيد معنى هذه الرواية حيث قال : وهذه الافات من طوفان وجراد وقمل وضفادع ودم انما تكون بلا^١ حين تجاوز الحد وتخرج على

(١) روح المعانى - للالوسى (٩ : ٣٤٠ ، ٣٥٠) .

غير المألوف بحيث تغطى وجه الحياة على الانسان وتسد عليه منافذ التحرك الى اى اتجاه . . . انها حينئذ تكون نعمة من اقصى النعم ولو كانت فى اصلها مما يطلبه الانسان ويحرص عليه .^(١)

قال الرازى : ونقل ايضا ان هذه الانواع المذكورة من العذاب كانت عند وقوعها مختصة بقوم فرعون ، وكان بنو اسرائيل منها فى امان وفسراغ ولا شك ان كل واحد منها فهو فى نفسه معجز واختصاصه بالقبطس^(٢) دون الاسرائيلى معجز آخر .

وفى محاسن التأويل عند الكلام على قوله تعالى " فارسلنا عليهم الطوفان " قال : اى على آل فرعون . واما قوم موسى فلفظ تعالى بهم فلم ينلهم ولا محالهم سوء^(٣) من الطوفان ولا غيره .

فالحاصل ما سبق ان خرق العادة فى هذه المعجزات من وجهين :
(أ) من جهة تسلطها كما جاء فى كتب التفسير وكما نص عليه اكثر المفسرين من انها آيات رجز وعذاب .

(ب) من جهة الاختصاص بقوم فرعون دون قوم موسى عليه السلام ، وفسرى اختصاصها مالا يخفى من الحكمة والعدالة لاسيما وانها معجزات فيها معنى العذاب ، فالاختصاص ادى الى التصديق والاستجابة من الشمول . والله اعلم .

(١) التفسير القرآنى للقرآن - ميد الكويم الخطيب (٩ : ٤٦٦ ، ٤٦٧) .

(٢) التفسير الكبير - للرازى (٤ : ٢١٨) .

(٣) محاسن التأويل - للقاسمى (٧ : ٢٨٤١) .

معجزة الطور

آيات المعجزة :

قال تعالى " واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذاً ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ^(١) .

وقال سبحانه : " واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذاً ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وصدينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل يا عسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين ^(٢) .

وقال تعالى : " ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ^(٣) .

وقال عز وجل : " واذ نتقنا النجيل فوقهم كأنه ظله وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ^(٤) .

-
- (١) سورة البقرة : ٦٣ .
 - (٢) سورة البقرة : ٩٣ .
 - (٣) سورة النساء : ١٥٤ .
 - (٤) سورة الاعراف : ١٧١ .

مباحث الآيات :

(أ) القول في معنى الطور :

قال في تاج المروس : والطور : الجبل ، والطور جبل قرب ايلسه
ويضاف الى سيناء في قوله تعالى " وشجرة تخرج من طور سيناء " ويضاف ايضا
الى سينين في قوله تعالى " والتين والزيتون و طور سينين " والطور
جبل بالشام وقيل هو المضاف الى سيناء .

وقد استطرد صاحب تاج المروس في تعداد بعض الجبال بمختلف
الامكنة في معنى الطور ما لا داعي لاستقصاء ذلك .^(١)

وقال الراغب في مفرداته : والطور اسم جبل مخصوص ، وقيل اسم لكل
جبل .^(٢)

وقد نص علماء التفسير على هذا المعنى وان الطور هو الجبل . فقال
الطبري واما الطور فانه الجبل في كلام العرب .^(٣)

وقال ابن كثير : فالطور هو الجبل كما فسره به في الاعراف ، ونص على
ذلك ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن والضحاك والربيع بن انس

-
- (١) تاج المروس - للزبيدي (٣ : ٢٦١) .
 - (٢) المفردات في غريب القرآن - للراغب (ص ٣٠٩) .
 - (٣) جامع البيان - للطبري (١ : ٢٢٤) .

(١) وغير واحد وهذا ظاهر .

وذكر الرازي ان الخليل قال في كتابه " ان الطور اسم جبل معلوم وهذا هو الاقرب لان لام التصريف فيه تقتضى حمله على جبل مهبود عرف كونه سمي بهذا الاسم ، والمهبود هو الجبل الذي وقعت المناجاة عليه ، وقد يجوز ان ينقله الله تعالى الى حيث هم فيجمله فوقهم وان كان بعيدا منهم لان القادر ان يسكن الجبل في الهواء ، قادر ايضا على ان يقلعه وينقله اليهم من المكان البعيد . (٢)

اقول : ونخلص ما سبق الى نتيجة هامة وهي ان الطور جبل وهذا متفق عليه عند عامة المفسرين ويؤيده ما جاء في سورة الاعراف في قوله تعالى " وان نتقنا الجبل " وهو الذي نص عليه ابن كثير آثقا . وهذه النتيجة هي التي تهبط ليتوافق ما جاء في الايات .

واما الخلاف فيما اذا كان الطور اسم جنس يطلق على كل جبل او كان علم على جبل مخصوص فارى ان الامر محتمل لهذا وذاك ولا اعلم مرجح لاحدهما على الاخر ولا امتقد ان لام التصريف تكفى لترجيح احدهما على الاخر ، الا ترى الى قوله تعالى " وان نتقنا الجبل " فقد تضمن لفظ الجبل لام التصريف وهذا لا يقتضى تخصيص الجبل بجبل مخصوص بل هو اسم جنس وليس في تحقيقه سبق

(١) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (١: ١٨٢) .

(٢) التفسير الكبير - للرازي (٣: ١٠٧) .

ذلك كبير معني لما نحن بصدده . والله اعلم . .

(ب) حقيقة هذه المعجزة وما هيتهها :

لا شك ان القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين وان هذه الايات صريحة فى الفاظها بما تضمنت من حقيقة هذه المعجزة لاسيما ما جاء فى سورة الاعراف فى قوله تعالى " وان نتقنا الجيل " فهذا ينص على ان هذه المعجزة هى جيل حقيقى وذلك بعمد ظهور الإعجاز فيها .

وانا نظرنا الى تعليق المفسرين على الايات وجدنا ذلك مؤيدا لهذه الحقيقة ، وقد يتأول مثل هذا كما ذكر القاسى فى محاسن التأويل - ولكنه مما يستبعده اللفظ الصريح والنظم الكريم .

يقول القاسى : قال بعض الناص : فنى بالطور تشديد الامر عليهم وجعل ذلك مثلا . وذلك بعيد ، ومثله قول القاشانى : طور الدماغ للتمكن من فهم المعانى وقبولها ، فانه بعيد ياباه ظاهر الاية الاخرى ، وان كان الاطلاق فى اللغة لا ينحصر فى الحقيقة .^(٢)

(١) يريد بالاية قوله تعالى " ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم

ورحمته لآكتم من الخاسرين " سورة البقرة : ٦٤ .

(٢) انظر محاسن التأويل - للقاسى (٢ : ١٤٨ - ١٤٩) ، ط / الاولى

وهكذا نرى ان حمل المعجزة على حقيقتها هو الاولى بظاهر الايات ولا نستبعد ان يكون الجبل بحرقه وثقله معجزة وان تحرق فيه المادة وانما يستيمده من يتعاطم المعجزات ويستكبر حرق المادة فيها .

(ج) وجه حرق المادة في هذه المعجزة :

واما حرق المادة في هذه المعجزة فهو رفع الجبل وقد ذكر صراحة في قوله تعالى " ورفعنا فوقكم الطور " وقد تكرر هذا السياق في اكثر من آية لتأكيد ذلك والذي نتصوره من سياق الايات ان الجبل اُنتزع من مقره وُرفع فوق بنى اسرائيل وهو الواضح من قوله تعالى " وان نتقنا الجبل فوقهم " .

والنتق - كما جاء في اللسان - الزفزة والهز والجدب والنفص .

ونتق الشيء يَنْتَقُه وينتَقُه بالضم ، نتقا : جذبه واقتلمه .

وفي التنزيل : وان نتقنا الجبل فوقهم : اى زمزناه ورفعناه وجاء في

الخبر انه اُقتلع من مكانه .^(١)

ويقول الالوسى في تفسيره النتق الرفع كما روى عن ابن عباس، وعن

ابى مسلم انه الجدب ومنه نتق الخرب من البئر، وعن ابى عبيدة انه

القلع وما روى عن الحبر - يريد ابن عباس - اوفق بقوله سبحانه " ورفعنا

(١) لسان العرب (١٠: ٣٥١) .

فوقهم الطور" وعلى القولين الاخرين يضمن معنى الرفع لتتطابق الايتان (١) .
وقال بعض المفسرين عند الكلام على قوله تعالى " واذ نتقنا الجبل " قال : كأنه قيل رفعنا الجبل فوق بني اسرائيل ينتقه وقلعه من مكانه فالنتق من مقدمات الرفع وسبب لحصوله (٢) .
ومما يلاحظ ان الفوقية قد ذكرت في عموم آيات هذه الممجزة والفوقية تستلزم العلو والذي يبدو ان الجبل كان عاليا عليهم وهو ما قرره اكثر المفسرين .

وقد ذكر ابن كثير آثارا تشير الى ان الجبل رفع على رؤوس القوم فكان بينهم وبين السماء ، ولولا خشية الاسباب لذكرناها (٣) .

وقد يبدو للناظر في الايات بعض الاشكال فقد يقال : كيف يشبه الجبل بالظله اذ لو كان فوقهم لكان ظله فكيف يشبه بها ؟ وقد اجاب عن هذا الاشكال ابو حيان في بحره فقال : والجملة من قوله كأنه ظله في موضع الحال والمعنى كأنه عليهم ظلة والظلة ما اظل من سقيفة او سحاب وينبغي ان يحمل التشبيه على انه بظله مخصوصة لانه اذا كان كل ما اظل يسمى ظلة فالجبل فوقهم صار ظلة واذا صار ظلة فكيف يشبه بظلة . فالمعنى

-
- (١) روح المعاني - لالوسى (٩ : ٩٨) .
(٢) روح البيان - للبروسوى (٣ : ٢٧١) .
(٣) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (٣ : ٢٤٤) .

والله اعلم - كأنه حالة ارتفاعه عليهم ظلّة عن الغمام وهي الظلة التي ليست تحتها عمد بل امساكها بالقدرة الالهية وان كانت اجراما بخلاف الظلة الأرضية فانها لا تكون الا على عمد فلما دانت هذه الظلة الأرضية فوقهم بلا عمد شبيحت بظلة الغمام التي ليست بلا عمد . وقيل اعتقاد البشر هذه الاجرام الأرضية ظللا ان كانت على عمد فلما كان الجبل مرتفعا على غير عمد قيل كأنه ظلّة اي كأنه على عمد (١) .

فالحاصل بعد هذا ان الجبل رفع فوق القوم على الحقيقة وهو امر ممكن ولا يحيله العقل وهو ظاهر الايات وعليه اكثر المفسرين . والله اعلم .

(١) انظر تفسير البحر المحيط - لابن حيان (٤: ٤١٩: ٤٢٠) .

المبحث الثالث

معجزات عيسى عليه السلام

لقد جاء ذكر مجموعة من المعجزات لعيسى عليه السلام في القرآن الكريم وذلك في سياق آيتين من آل عمران والمائدة على وجه الجمع، وهذه المجموعة اسميتها بالمعجزات العامة لانه بحث بها الى قومه من بنى اسرائيل ثم جاء ذكر معجزة اخرى وهى المائدة فى سورة المائدة على وجه الافراد واسميتها بالمعجزة الخاصة لانها كانت خاصة بطلب الحواريين .

المعجزات العامة :

(١) خلق الطير

(٢) ابراء الاكه والايصر

(٣) احياء الموتى

(٤) الاخبار بما يأكلون وما يدخرون

المعجزة الخاصة :

المائدة

المعجزات العامة

ما لاشك فيه ان عيسى عليه السلام احد انبياء بنى اسرائيل وانسه
 آخرهم ولذا فقد رف البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم . يبين هذا
 وذاك قوله تعالى * وان قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله
 اليكم صدقا لما بين يدي من الثوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه
 احمد * الاية (١)

وقد اجرى الله تعالى له وعلى يديه كثيرا من الخوارق وليست كلها
 معجزات احتج بها على دعوته بل منها ما كان فى معنى الاكرام والارهاص
 كوجوده من غير اب وكلامه فى المهد ومنها تلك المعجزات التى هى موضع
 الحجة والبرهان كخلقه من الطين كهيئة الطير واهراء الاكهم والابرس واحياء
 الموتى والاخبار بما يأكون وما يدخرون وكلها باذن الله تعالى ، وهـذـه
 المعجزات العامة هى موضع بحثنا الان واما معجزة المائدة فسأتناولها فيما
 بعد ان شاء الله تعالى .

الايات الواردة في شأن تلك المعجزات :

قال تعالى : " ورسولا الى بني اسرائيل انى قد جعلتكم باية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيفة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرى* الاكهم والابرس واحيي الموتى باذن الله وانبعثكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين (١) (٢)

وقال سبحانه : " ان قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ان ايدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وان علمت الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وان تخلق من الطين كهيفة الطير باذننى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذننى وتجرى* الاكهم والابرس باذننى وان تخرج الموتى باذننى وان كففت بنى اسرائيل منك ان جعلتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين (٣)

فاننا نظرنا الى هاتين الايتين نستوحى من الاية الاولى ان عيسى عليه السلام يتحدث معلنا انه قد جاء* بهذه المعجزات وانه على استعداد لا يقاها باذن الله وفى الاية الاخرى جاء* ذكرها ضمن تعداد النعم التى

(١) والاية التى بعدها وهى قوله تعالى " ومصدق لما بين يدي من التوراة"

. الخ لاراها من المعجزات وانما هى من تمام دعوته .

(٢) سورة آل عمران : ٤٩ .

(٣) سورة المائدة : ١١٠ .

انعم الله تعالى بها على عيسى عليه السلام، وفي هذا السياق اشارة الى انها قد وقعت بالفعل واليك البيان لكل معجزة .

المعجزة الاولى : خلق الطير من الطين .

(أ) معنى الخلق :

قال الراغب : الخلق اصله التقدير المستقيم ويستعمل في ابداع الشيء من غير اصل ولا احتذاء قال " خلق السموات والارض " . . . وليس الخلق الذى هو الابداع الا لله تعالى . . . وما الذى يكون بالاستحالة فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الاحوال كعمى حيث قال " واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذننى " (١)

وقال ابو حيان في البحر المحيط : والخلق يكون بمعنى الانشاء وابرز العين من المدم الصرف الى الوجود وهذا لا يكون الا لله تعالى ويكون بمعنى التقدير والتصوير ولذلك يسمون صانع الادم ونحوه الخالق لانه يقدر واصله في الاجرام وقد نقلوه الى الممانى ، قال تعالى " وتخلقون افكاً وما جاء الخلق فيه بمعنى التقدير قوله تعالى " فتبارك الله احسن الخالقين " اى المقدرين . (٢)

(١) المفردات في غريب القرآن (ص ١٥٧) .

(٢) البحر المحيط - لابن حيان (٢ : ٤٦٥) .

ومن هنا نعلم ان الخلق يأتي بمعنى ايجاد الشيء من العدم
المحض وهذا من خصائص فعل الله تعالى ويأتي بمعنى التحويل والتصوير
من مادة لهيئة اخرى وهذا هو المعنى بقوله تعالى في امر عيسى " انى
اخلق لكم من الطين كهيئة الطير" . . . الاية
ولعل ما في الاية من تشبيه يؤكد ان الخلق بمعنى التصوير لا بمعنى
الانشاء من العدم .

(ب) دور عيسى عليه السلام في خلق الطير :

ذكر الالوسى عند الكلام على قوله تعالى " انى اخلق لكم من الطين
كهيئة الطير" فقال : والمراد بالخلق التصوير والابراز على مقدار معين
لا الايجاد من العدم كما يشير اليه ذكر المادة (١) .

ويقول الرازى - عند تفسير الاية - ثم همنا بحث وهوانه هل يجسوز
ان يقال : انه تعالى اودع في نفس عيسى عليه السلام خاصية بحيث متى
نفخ في شئ كان نفخه فيه موجبا لصيرورة ذلك الشئ حيا ، او يقال : ليس
الا كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحياة في ذلك الجسم بقدرته
عند نفخه عيسى عليه السلام فيه على سبيل اظهار المعجزات ، وهذا الثانى
هو الحق لقوله تعالى " الذى خلق الموت والحياة " ، وهكى عن ابراهيم عليه

(١) روح المعانى - للالوسى (٣ : ١٦٨) .

السلام انه قال في مناظرته مع الملك " ربى الذى يحيى ويميت " فلو حصل
لغيره هذه الصفة ليطل ذلك الاستدلال .

ويقول ايضا : (المسألة الرابعة) قوله (يا ابن الله) معناه بتكوين
الله تعالى وتخليقه لقوله تعالى " وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله " .
اي الا بان يوجد الله الموت ، وانما ذكر عيسى عليه السلام هذا القيد ازالة
للشبهة ، وتنبيهها على انى اعمل هذا التصوير فاما خلق الحياة فهو من
الله تعالى على سبيل اظهار المعجزات على يد الرسل . (١)

ويقول ابن تيمية : وكذلك المسيح لما خلق من الطين كهيئة
الطير انما مقدوره تصوير الطين وانما حصول الحياة فيه فبان الله يحيى
ويميت وهذا من خصائصه . ولهذا قال الخليل : " ربى الذى يحيى
ويميت " (٢)

اقول كهذا بيدوان الدور الذى قام به عيسى عليه السلام - فسوى
خلق الطير - انما كان تصويره وتجسيه من تلك المادة الطينية صورة مماثلة
لذلك الطير ثم نفخه فى تلك الصورة الطينية . وكل من التصوير والنفخ امر
عادى يمكن مباشرة من اى انسان ان انه لا يحمل بين طواياه شىء من
الاعجاز ، وانما حصل الاعجاز بعد ذلك النفخ عندما تغيرت خصائص

(١) التفسير الكبير - للرازى (٨ : ٥٦ - ٥٧) .

(٢) النبوات - لابن تيمية (ص ٢٩٥) المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٨٦ هـ .

المادة الطينية وتحولت الى طير بخصائصه الروحية، فياله من اعجازه، وباليه من خارق .

(ج) الحكمة في خلق الطير من الطين :

يقول المراغى : قال صاحب الإسلام والطب الحديث رحمه الله
في تفسير هذه الآية^(١) ان بعضهم قد اعترض على عمل الطين بشكل الطير
لانه لا لزوم لذلك مادام الله قادرا على احيائه الى آخر ما قالوا . . .
والحقيقة ان في ذلك حكمة عالية، لان الانسان خلق محدود الادراك
والحواس، ولا يفهم ولا يرى ولا يسمع الا ما كان في متناول ادراكه فان رأى شيئا
فوق طاقته اجتهد في ان يرده الى شئ^٢ يصرفه فان لم يمكنه بقى متحسيرا
وان تكرر ذلك ادى الى اضطراب في الاعصاب قد يكون خطورا .
وهنا يلحظ لطف الله في انه لا يظهر قدرته للانسان الا بطريق
التدرج، وهذا يلاحظ في كل المعجزات على الاطلاق، لان الله تعالى
يخلق الطير من الطين ومن غير الطين سوا^٣ اكان في شكل الطير ام لم يكن
وكذلك لا داعي للنفخ لان طريق الارادة الالهية (كن فيكون) ولكن الله
يقرب فهم الارادة بهذه الطريقة، لان الطين اذا كان بشكل الطير يشتمه

(١) يريد بالآية قوله تعالى " وان تخلق من الطين كهيئة الطير " .

سورة آل عمران : ٤٩ .

فيه الانسان بالطير الحقيقى ، ولا يكون هناك فرق بينهما الا الحياة مع ان ذلك كل الفرق ويعدّها بنفخ فيه . وعلمية النفخ تجعله ينتظر تفسيرا كما يحدث فى اشياء كثيرة مثل الكرة اذا نفخ فيها وغير ذلك . فمعد وجود الروح فى هذا الهيكل الطينى تكون الصدمة قد انكسرت حدتها بانتظار حدوث شىء مهم ، مع ان كل هذه المقدمات لا دخل لها مطلقا فى وجود الحياة والروح .^(١)

ويقول ابو حيان : وتماطى عيسى التصوير بيده والنفخ فى تلك الصورة تبين لتلبسه بالمعجزة وتوضيح انها من قبله واما خلق الحياة فى تلك الطينة فمن الله وحده .^(٢)

اقول ؛ والذى بيد وان ما قالوه جدير بالقبول والا ستحسان فى توجيه الحكمة من خلق الطير من الطين ، وتماطى عيسى تلك الاسباب الظاهرة اذ لو لم يتماطى عيسى عليه السلام تلك الاسباب لم يكن محسلا لظهور المعجزة على يديه ولتعرض للصدمة كما يتعرض غيره لها . وقد يقال ان الحكمة فى ذلك هى المشاهدة الفعلية عند انتقال المادة الجمادية الى مادة حيوانية وفى هذه المشاهدة وضوح وبلاغة فى الاعجاز .

(١) تفسير المراغى - للمراغى (٣: ١٥٩) .

(٢) البحر المحييط - لابي حيان (٢: ٤٦٦) .

حقيقة المعجزة بعد ظهور الاعجاز :

لا شك ان مادة المعجزة قبل ظهور الاعجاز فيها هي تلك المادة الطينية التي لا حياة فيها ولا حركة ولعلها قطعة ليس لها من الخصائص ما يميزها عن سائر الطين .

ولكن بعد ان قام عيسى عليه السلام بعملية التصوير والنفخ في تلك الصورة يظهر التغيير المفاجئ " فتكون هذه المادة طيرا حيا حقيقيا .
يقول ابن كثير : وكذلك كان يفعل - اى عيسى عليه السلام - يصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عيانا بانن الله عز وجل الذى جعل هذا معجزة له تدل على انه ارسله .^(١)

وذكر الالوسى عند تفسير قوله تعالى " فيكون طيرا " قال : حيا طيارا كسائر الطيور .^(٢)

واما نوع الطير فقد ذكر بعض المفسرين ان الطائر كان خفاشا وقيل خلق انواعا من الطير .^(٣)

وليس لدينا دليل قوى يثبت احدهما وينفى الاخر ولكن الذى نجزم به انه خلق طائرا حيا حقيقيا بانن الله ولا يلزم فى المعجزة تعدده بل

(١) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (٢ : ٤١) .

(٢) روح المعاني - للالوسى (٣ : ١٦٨) .

(٣) المرجع السابق (٣ : ١٦٨) .

لو خلق طائرا واحدا مرة واحدة لكفى في ثبوت المعجزة كما هو حال بعض المعجزات .

ولذا قال المراغي : ولا حاجة بنا الى تعيين نوع الطير، ان لم يرد عندنا نص من كتاب او سنة يعينه فنقف حينئذ عند لفظ الآية ^(١) .

وجه خرق العادة في هذه المعجزة :

يتبين للناظر في ظاهر الايتين لاسيما الآية من سورة آل عمران ان خرق العادة قد ذكر صراحة ذلك ان مادة المعجزة هي الطين وهو مزيج من التراب والماء فهو مادة جمادية لا حياة فيها ولا حركة وقد تحولت هذه المادة الجمادية الى طير حقيقيا - باذن الله تعالى - له خصائص الطائر الحسي وهذا مستفاد من ظاهر الايات وما قورره علماء التفسير، والله اعلم .

المعجزة الثانية : ابراه الاكه والابوص ^(٢) .

(أ) القول في معنى الاكه :

قال في اللسان : الاكه : الذي يولد امسى . وفي التنزيل العزيز :

(١) تفسير المراغي - للمراغي (٣ : ١٥٨) .

(٢) انظر مقاله برنابا في انجيله . حول هذه المعجزة حيث ذكرها واثبت

وقائعها انجيل برنابا (ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٩٥) مطبعة محمد عيسى

صبيح - الازهر - الناشر دار الشروق ١٩٥٨ م .

وتجربى " الاكمه " (١)

وقال الراغب : الاكمه : هو الذى يولد مطموس العين وقد يقال لمن تذهب عينه ، قال : " كسبت عيناه حتى ابيضتا " (٢)

واما الاكمه عند علماء التفسير فيقول الطبرى : اختلف اهل التأهل فى معنى الاكمه فقال بعضهم : هو الذى لا يبصر بالليل ، ويبصر بالنهار .

حدثنى محمد بن عمر عن مجاهد فى قوله " وابرى الاكمه "

قال : الاكمه الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل فهو يتكمه .

وقال آخرون : هو الاعى الذى ولدته امه كذلك .

حدثنا بشر من قتادة : قال كنا نحدث ان الاكمه الذى

ولد وهو اعى مضموم العينين .

وقال آخرون : هو الاعمش .

حدثنى الضنى عن مكرمة ، فى قوله " وابرى الاكمه " قال

الاعمش قال الطبرى : والمصروف عند العرب من معنى الكمه : العشى

فاما ما قاله مكرمه : من ان الكمه : العمش ، وما قاله مجاهد : من انه سوس

البصر بالليل ، فلا معنى لهما لان الله لا يخلق على خلقه بهجة تكون لهم

(١) لسان العرب (١٣ : ٥٣٦) دار بيروت ١٣٧٥ هـ .

(٢) المفردات فى غريب القرآن - للراغب (ص ٤٤٢) .

السبيل الى ممارضتها فيها ولو كان مما احتج به عيسى على بنى اسرائيل
 فى نبوته انه يبرىء الاعشى او الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل لقدروا على
 ممارضته بان يقولوا : وما فى هذا لك من الحجة ، وفيما خلق من يمالج
 ذلك وليسوا لله انبياء ولا رسلا . ففى ذلك دلالة بيينة على صحة ما قلنا من
 ان الاكمه : هو الاعمى الذى لا يبصر شيئا . لاليل ولا نهارا وهو بما قال
 قتادة : من انه المولود كذلك . اشبه لان علاج مثل ذلك لا يدعيه احد من
 البشر الا من اعطاه الله مثل الذى اعطى عيسى .^(١)

ويقول ابن كثير فى معنى الاكمه : قيل انه الذى يبصر نهارا ولا يبصر
 ليلا . وقيل بالمكس ، وقيل : الاعشى ، وقيل الاعشى وقيل : هو الذى يولد
 اعمى وهو اشبه ، لانه ابلغ فى المعجزة واقرى فى التحدى .^(٢)

ونقل المرافى عن صاحب الاسلام والطب الحديث فقال : والحقيقة
 ان المقصود بالاعمى هنا - يريد فى هذه المعجزة - هو الاعمى الذى فقد
 شيئا عضويا حيا لا يمكن استماضته ، ومن امكته استماضة شىء صفر حجمه
 امكته ان يستعيش الكل .

واما ابراه الاعمى الذى يشاهد يوما فهذا يحدث فى الاحوال
 المصبية غير المضوية وبواسطة اطباء الصيون ، وهو يحدث بازالة اشياء

(١) جامع البيان - للطبرى (٣ : ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (٢ : ٤١) .

تكون سبب المص ، ولكن لا يمكن للأطباء ان يحدثوا مثلا ابراء الاعص باعادة
عصب اللمين من جديد .^(١)

اقول : والذي اختاره بالنظر الى ما سبق في معنى الاكه انه الذى
ولد اعص بحيث يكون فاقدًا ليكته البصر، وهو ما قرره الطبرى وما نقله عن
قتادة وما ايده ابن كثير وما استفاد من كلام صاحب الاسلام والطب الحديث
وهو الذى تقرره في هذه الممجزة، وانما قرونه لان كه البصر لا يمكن
الحصول عليه الا من الله تعالى كما قال سبحانه " قل من يرزقكم من السماء
والارض امن يطك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون .^(٢)

فهذا هو الذى ارى في معنى الاكه لانه اعلى درجات التحسدى
والاعجاز، والله اعلم .

(ب) معنى الابرص :

يقول ابن كثير : والابرص : مصروف .^(٣)

وذكر الالوسى ان الابرص : هو الذى به الوضح المصروف .^(٤)

(١) تفسير المراغى - للمراغى (٣ : ١٦٦) .

(٢) سورة يونس : ٣١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (٢ : ٤١) .

(٤) روح المعانى - للالوسى (٣ : ١٦٩) .

وجاء في روح البيان : الابرص : هو الذى به برص اى بياض فى
الجلد يتطيره و اذا استحکم فلا يبرأ له ولا يزول بالعلاج (١) .

وقال صاحب التفسير القرآنى : والبرص مرض خبيث يصيب الجلد
فيذهب بلونه ، ويأكل اذ يسه ، كما تأكل الارض لحاء الشجر . . . شأنه شأن
الكه لا علاج له ، ولا شفاء منه الا بمعجزة متحديا (٢) .

اقول : وما تقدم نعلم ان البرص مرض جلدى يصيب الجلد فيذهب
برونقه وحسنه ، وهو من الامراض المزمنة والمستعصية للملازمة لصاحبها مدى
الحياة لا سيما اذا استحکم وهم سائر الجسد .

طريقة الاعجاز فى هذه المعجزة :

ويعد معرفة حقيقة الكه والابرص - وهما محل المعجزة - ينبغى
ان نمرف طريقة الاعجاز فيهما ، ولا يرب ان الاعجاز فى هاتين الماهيتين
هو الابرأ والاشفاء التام وقد ذكر الاعجاز صراحة فى سياق الايات وهو
الابرأ فى قوله تعالى " وابرى الكه والابرص " .

ويمنى بقوله وابرى : اى واشفى يقال منه : ابرأ الله المريض
اذا شفاه منه فهو يبرئه ابرا ، وبرا المريض فهو يبرا برا . وقد يقال ايضا

(١) روح البيان - للجروسى (٢ : ٣٧) .

(٢) التفسير القرآنى للقرآن - عبد الكريم الخطيب (٣ : ٤٦٧ - ٤٦٨) .

برى^(١) المريض فهو يبرأ ولختان معروفتان .

وجه خرق المادة في هذه المعجزة :

ونستطيع ان نستخلص ما سبق ان المص على قسمين :

(أ) اصى : وهو فقد كنه البصر منذ الولادة بحيث ان الانسان ولد فاقد

البصر كلياً . وهذا محل الاعجاز .

(ب) عارض : وهو من فقد بصره او بعضه بعد ان كان مبصراً وليس هكذا

محلاً للاعجاز ان قد يزول هذا العارض بسبب عادي .

واما البرص فهو على قسمين ايضاً :

(أ) برص عام على سائر الجسد ومستحكما استحكاكاً تاماً وهذا هو محمل

الاعجاز ان يستبعد برؤه باسباب عادية .

(ب) برص خاص على بعض اجزاء الجسد وليس محلاً للاعجاز ان قد يسزول

بالعلاج الشديد ويسبب عادي .

وعلى الوجهين المعجزين في كلتا الماهيتين جرى القول بعدم السرأ

منهما الا بمعجزة يظهر فيها التحدي .

يقول الطبري : وانما اخبر الله فز وجل من عيسى صلوات الله عليه

انه يقول لبني اسرائيل ، احتججا بما منه بهذه العبر والايات طيبهم في نبوتهم

(١) جامع البيان - للطبري (٣ : ٢٧٦) .

وذلك ان الكه والبرص لا علاج لهما ، فيقدر على ابراءه ذو طب بعلاج ، فكان ذلك من ادلته على صدق قوله انه لله رسول لانه من المعجزات مع سائر الايات التي اعطاه الله اياها دلالة على نبوته ^(١) .

فالحاصل ان الشفاء من هذين النومين يعتبر من خوارق الماديات

على ما اوضحناه ، والله اعلم .

المعجزة الثالثة : احيا الموتى .

(أ) قضية الموت :

لا شك ان قضية الموت حقيقة واقعية ومشهودة كل يوم وقد قهرت

الانسانية بل الكائن الحي في كل زمان ومكان .

يقول احد الباحثين : ان الذين لا يؤمنون بالمالم الثاني - الاخيرة -

يحاولون بدافع الفريضة ان يجعلوا من هذا الكون عالما ابديا لا فراهم

ولذلك بحثوا كثيرا عن اسباب " الموت " حتى يتمكنوا من الحيلولة دون وقوع هذه

الاسباب ، من اجل تخليد الحياة ولكنهم اخفقوا اخفاقا ذريعا ، وكما بحثوا

في هذا الموضوع رجع اليهم بحثهم برسالة جديدة عن حتمية الموت وانسسه

لامناس منه . . . لقد اخفقت تماما تلك البحوث التي استهدفت ان تجعل

(١) جامع البيان - للطبري (٣ : ٢٧٧ ، ٢٧٨) .

من الموت امرا غير يقيني ، يمكن الا يتفق فيقول الاحتمال الذي اكدته الازمان
وهو ان يموت الانسان في اي عمر وفي اي زمن ولم نستطع العثور على
امكان يمنع الموت رغم جميع الجهود .

لقد بحث الدكتور " الكسيس كاريل " هذه المشككة في مقال طويل
بمنوان " الزمن الداخلي " فذكر الجهود المحففة التي بذلت في هذا
الصدر ثم قال :

" ان الانسان لن يسأم ابدا من البحث عن " الخلود " والسعسى
وراه مع انه لن يظفر به الى الابد ، فتركيبه الجسماني يخضع لقوانين معينة
انه يستطيع ان يوقف الزمن الفسيولوجي لافضاء الجسد حتى يؤخر الموت
لفترة قصيرة ، ولكنه لن يتغلب على الموت ابدا (١) .

اقول : واذا كان الانسان قد اخفق في استمرار الحياة لمن تحتم
عليه الموت فهو بلاشك مخفق لاعادة الحياة الى من كان ميتا الا بخارق
للمادة ، والحق ان هذا هو محل الاعجاز وموضع التحدى الصارخ .

(ب) حقيقة المعجزة :

لقد جاء ذكر هذه المعجزة بأسلوب الخطاب من عيسى عليه السلام
الى بنى اسرائيل في قوله تعالى " واجي الموتى باذن الله " وهذا الاحياء

(١) الاسلام يتحدى - وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الاسلام خان (ص ٧٢) ، (٧٤)

هو احياء حقيقى بحيث تعود الى الميت روحه وخصائصه الطبيعية . ولما كان هذا السياق قد يتوهم منه بعض الشكوك ان قد يقول قائل لعل هذا الموت كان امرا مجازيا لا حقيقيا جاء السياق الاخر ليؤكد حقيقة هذه المعجزة ويزيل هذا التوهم وتلك الشكوك وذلك فى قوله تعالى " وان تخرج الموتى باذننى " .

ويقول الراغب فى معنى الاخراج خروج خروجها : برز من مقره او حاله سواء كان مقره دارا او بلدا او ثوبا وسواء كان حاله حالة فى نفسه او نفسى اسبابه الخارجية والاخراج اكثر ما يقال فى الاعيان نحو " انكسّم مخرجون (١) " .

والمعروف فى الفالب ان مقر الميت قبره ، فالسياقان اذا متكاملان نفسى المعنى وعليه جرى عامة المفسرين .

وكان احياء عيسى الموتى بدماء الله يدعولهم فيستجيب له (٢)

ويقول ابن كثير عند قوله تعالى : " وان تخرج الموتى باذننى " اى تدعوهم

فيقومون من قبورهم باذن الله وقدرته وارادته ومشئته (٣)

ويقول الالوسى تعليقا على السياق فى قوله تعالى " وان تخرج الموتى

(١) المفردات فى غريب القرآن - للراغب (ص ١٤٥) .

(٢) جامع البيان - للطبرى (٣ : ٢٧٨) .

(٣) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (٢ : ٦٧٨) .

ياذنى " : عطف على " اذ تخلق اميدت فيه (اذ) كما قيل لكون اخراج الموتى من قبورهم لاسيما بعد طاصروا رميما معجزة باهرة هرية بتذكير وقتها صريحا . وطاقى النظم الكريم ابلغ من تحيى الموتى فلذا عدل عنه
(١)
اليسه .

وجاء في انجيل برنابا : قال يسوع - اى عيسى - بصوت عال لعازر هلم خارجا فقام اثر ذلك الميت وقال يسوع لتلاميذه " حلوه " لانه كان مربوطا بشباب القبر مع ضاديل على وجهه كما امتاد آباؤنا ان يدفنوا (موتاهم) فان يسوع هم غير من اليهود ومض الفريسيين لان الايمة كانت عظيمة .
(٢)

وقد وردت آثار تفيد ان عيسى عليه السلام قد احيا اربعة انفس عازر وابن العجوز، وابنة العاشرة، وسام بن نوح .
(٣)

والحق ان هذه الاثار موضع نظر وليس لدينا ما يثبتها او ينفيها على وجه الجزم - فيما اعلم - وانما الذى نقتطع به انه قد حصل احيا الموتى على يد المسيح عيسى بن مريم من غير تعيين لاشخاص اولئك الموتى . والله اعلم .

-
- (١) روح الممانى - للالوسى (٧: ٥٧ - ٥٨) .
(٢) انجيل برنابا - لبرنابا - الفصل الثالث والتسعون بعد المئة (ص ٢٨٥) .
(٣) روح الممانى - للالوسى (٣: ١٦٩) .

وجه خرق المادة :

من المعلوم ان احياء الموتى خارق عظيم وان من فارق الدنيا لا يمكن رجوعه الا باذن الله ولذا جاء التقييد بالاذن اشمارا بان احياء الموتى من خصائص الرب تبارك وتعالى قال تعالى عن الخليل عليه السلام ربي الذى يحيى ويميت (١).

يقول الالوسى : وقيد الاحياء بالاذن لانه خارق عظيم يكاد يتوهم منه الوهية فاعله لانه ليس من جنس افعال البشر (٢).
فهكذا نرى ان احياء الموتى مخالف للسنن الكونية الممتادة فى هذه الحياة، والله اعلم .

المعجزة الرابعة : الاخبار بما يأكلون وما يدخرون .

اعلم ان هذه المعجزة قد ذكرت فى سورة آل عمران فقط وجاءت مجردة عن الاذن، ولعل فى هذا شيئا من السر وانما اعدنا النظر بتمعن فى المصجزات السابقة لميسى بن مريم وجدنا ان معجزة خلق الطير ومعجزة احياء الموتى ذكرت مرتين فى آية آل عمران وآية المائدة مقرونة بالاذن فى كل مرة، ولعل ذلك يشير الى انه لا مدخل فيها لى شبهة كانت .

(١) سورة البقرة : ٢٥٨ .

(٢) روح الممانى - للالوسى (٣: ١٦٩) .

ثم ذكرت معجزة ابراهيم الاكله والابصر مرتين ايضا مقرينة بالاذن ففسر
احدهما فقط لجواز دخول الشبهة فيها ولهذا فقد قيدنا الكمه والابصر
بأحوال مخصوصة كما سبق البيان . ولعل السرفى عدم تقييد هذه المعجزة
بالاذن هو عدم وضوح معالم هذه المعجزة فقد يدخلها بمض الشبهه
كأخبار الساهر والكاهن .

قال تعالى : " وان الشياطين ايوحون الى اولياءهم ليجادلوكم (١)
وما اكثر ما كان فى الحسيان انه من عالم الغيب فما ليث ان اصبح شيئا
مشهودا ، فهذه الاشعة تخترق الاجسام وتكشف عما فى الارحام . . . الخ
فالحق انه لا يد فى هذه المعجزة من عمق الفكر ودقة النظر ليظهر
جانب التحدى .

اقوال المفسرين فى هذه المعجزة :

يقول الطبرى : واما قوله " وانبيئكم بما تأكلون " فانه يبنى : واخبركم
بما تأكلون مما لم اعاينه واشاهده معكم فى وقت اكلكموه . وماتد خرون يبنى
بذلك : وماترفمونه فتخبئونه ولا تأكلونه .

فان قال قائل : وما كان فى قوله لهم " وانبيئكم بما تأكلون وماتد خرون
فى بيوتكم " من الحججة له على صدقه ، وقد رأينا المنتجمه والمتكهنه تخسبر

(١) سورة الانعام : ١٢١ .

بذلك كثيرا فتصيب ؟ قيل : ان المتنجم والمتكهن معلوم منهما عند من يخبره بذلك انهما ينبئان به عن استخراج له ببعض الاسباب المؤدية الى علمه ، ولستم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه ، ومن سائر انبياء الله ورسلكم وانما كان عيسى يخبر به عن غير استخراج ولا طلب لمعرفة باحتيال ، ولكن ابتداء باعلام الله اياه ، من غير اصل تقدم ذلك احتذاه او بنى عليه او فزع اليه كما يفزع للمتنجم الى حسابه والمتكهن الى رعيته . فذلك هو الفصل بين علم الانبياء بالفيوب واخبارهم عنها ، وبين علم سائر المتكذبة على الله او المدعية علم ذلك .^(١)

ويقول الالوسي : فالمراد الاخبار بخصوصية هذين الامرين - يريد الاكل والادخار - كما يشعر به الظاهر ، وقيل : المراد الاخبار بالمفيمات الا انه اقتصر على ذكر امرين منها ولحل وجه تخصيص الاخبار باحوالهم لتيقنهم بها فلا يبقى لهم شبهة والسرفى ذكر هذين الامرين بخصوصهما ان غالب سعى الانسان وصرف ذهنه لتحصيل الاكل الذى به قوامه والادخار الذى يطمئن به اكثر القلوب ويسكن منه غالب النفوس . فليفهم .

وفى قوله تعالى : " ان فى ذلك لاية لكم " قال : دالة على صحة الرسالة دلالة واضحة حيث لم يكن ذلك يتخلل آليات وتوسط اسباب عادية كما يفعله الاطباء والمنجمون .

(١) جامع البيان للطبرى (٣: ٢٧٨) .

ومن هنا يعلم ان علم الجفر، و علم الفلك، ونحوهما لما كانت مقرونة باصول وضوابط لا يقال عنها انها علم غيب ابداء، ان علم الغيب شرطه ان يكون مجسدا عن المواد والوسائط الكونية وهذه العلوم ليست كذلك لانها مرتبة على قواعد معلومة عند اهلها لولاها ما علمت تلك العلوم، وليس ذلك كالمعلم بالوحي لانه غير مكتسب بل الله تعالى يختص به من يشاء وكذا العلم بالالهام فانسه لا مادة له الا الموهبة الالهية والمنحة الازلية على ان بعضهم ذهب الى ان تلك العلوم لا يحصل بها العلم المقابل للظن بل نهاية ما يحصل الظن الغالب وبینه وبين علم الغيب بون بعيد .^(١)

حقيقة هذه المعجزة :

وبالنظر الى ما سبق والى اقوال المفسرين يتضح لنا ان حقيقة هذه المعجزة هو الاختيار بما يؤكل ويدخر حال كون المخبر - وهو النبي - غائب حين مباشرة كل من الاكل والادخار، وقد يشترط لهذه المعجزة بعض الشروط :

(أ) ان يكون صاحبها الذي ظهرت عليه تقيا نقيا كما هو حال الانبياء لئلا يشتبه حاله بحال السحرة والكهان الذين يتلقون السمع عن الجن والشياطين .

(١) روح المعاني - للعلوي (٣ : ١٧٠ - ١٧١) .

(ب) ان يكون ما يخبر به غير مشهود لديه ولا معلوم باى وسيلة عادية كآلة
او قاعدة .

(ج) ان تكون اخباره مطابقة للواقع بدقة فائقة وهذا هو الفارق بين
اخبار الانبياء واخبار الكهنة فان اخبار الكهنة مشوشة مضطربة .

وجه خرق المادة :

لعل وجه خرق المادة فى هذه المصجزة هو خلوها من الوسائط
والاسباب المادية، اذ ان ما كشف بسبب عانى لا يعتبر من علم الغيب ففى
شئ، وكذلك موافقته للواقع بكل دقة وهذا يدل انه مبنى على اليقين لا على
الظن والتخمين .

وانا كما لا ننفى وجود المستقبل نفيا مقطوعا به مستندين فى
ذلك الى حجة او بينة او حتى شبهة فالغيب غير مستحيل والملم به من
الرسل الموحى اليهم لا يدخل فى باب المنوعات او غير المحقولات فالمستقبل
مجهول والغيب مجهول فاذا لم يمكن نفى المستقبل فكذا لا يمكن نفى
وجود الغيب ومتى كان الغيب موجودا فالملم به غير ممتنع ومقول فما
حدثت به الرسل عن الغيب بايحاء الله لهم هو الحق والصدق والمدل
والله اعلم .

المعجزة الخاصة

المائدة

~~~~~

آيات المعجزة :

قال الله تعالى : "وان اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي ورسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون - اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين - قالوا نريد ان نأكل منها وتلحن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين - قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين - قال الله انى منزلها طيكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين (١) .

فهذه هي آيات المعجزة واذا نظرنا اليها بشىء من التمعن وجدنا انها تكون وحدة موضوعية نذكرها في النقاط التالية :

---

(١) سورة المائدة : ١١١ ١٢٤ ١٣٥ ١٤٤ ١٥٤ .

أولاً : معنى المائدة .

قال الراغب : المائدة : الطبق الذى عليه الطعام . . . . . وقوله  
" انزل علينا مائدة من السماء " قيل استدعوا طعاما .<sup>(١)</sup>

وقال الالوسى : واختار المناوئ ان المائدة كل ما يد ويسط، والمراد  
بها السفرة وأصلها طعام يتخذه المسافر ثم سى بها الجلد المستديس  
الذى تحمل به غلبا كما سميت المزادة رأوية .

وتطلق المائدة على نفس الطعام أيضا كما نص عليه بعض المحققين .<sup>(٢)</sup>

والأظهر ان المراد بالمائدة فى الآيات السابقة نفس الطعام ويؤيده  
ظاهر قوله تعالى " نريد ان نأكل منها " على اعتبارين للتمييز والضمير  
عائد على الطعام، ويحتمل ان يواد بالمائدة السفرة على اعتبارين لا بتدنا  
الغاية والضمير يعود عليها، ويصبح المعنى نريد ان نأكل متدئين اكلنا  
من السفرة . والأول أرجح لاشتهازين فى التمييز .

ثانيا : القول فى ايمان الحواريين .

ذكر المفسرون ان الحواريين هم اصفياء عيسى عليه السلام وخاصته<sup>(٣)</sup>

( ١ ) المفردات فى غريب القرآن - للراغب ( ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ ) .

( ٢ ) روح المعاني - للالوسى ( ٥٩ : ٧ ) .

( ٣ ) روح المعاني - للالوسى ( ٢٨ : ٩٦ ) .

وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم فقال تعالى في شأنهم \* فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنّا بالله واشهد باننا مسلمون - ربنا آمنّا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين (١) (٢) .

وقال : \* واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبعيسى قالوا آمنّا واشهد باننا مسلمون (٣) .

وقال سبحانه : \* يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين (٤) .

فهذه الايات تبين استجابة الحواريين لعيسى عليه السلام ، وانهم اعلنوا ايمانهم بالله تعالى . ثم كرروا هذا الاعلان متجهين الى الله

---

( ١ ) الاية التي بعدها وهي قوله تعالى : \* ومكروا ومكر الله والله خبير الماكرين \* ليست في شأنهم كما قد يتوهم ، وانما هي في شأن الذين احس عيسى منهم الكفر كما هو من ذهب المفسرين .

( ٢ ) سورة آل عمران : ٥٢ - ٥٣ .

( ٣ ) سورة المائدة : ١١١ .

( ٤ ) سورة الصف : ١٤ .

بعنوان الربوبية سائلين الله ان يكتبهم في زمرة الشاهدين لايمانهم ولمتابعتهم  
للسول وذلك ان ايمانهم بالله واستجابتهم لرسوله تابع من الوحي والالهام  
الذى اكرمهم الله به ، ولهذا فقد امر الله المؤمنين بالتأسى بهم في مسلكهم  
ومناصرتهم لله ولرسوله .

يقول ابن كثير رحمه الله : وهكذا همى بن مريم عليه السلام انتدب له  
طائفة من بنى اسرائيل فآمنوا به ووازره ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه ؛  
(١)  
وعند قوله تعالى : " وان اوحيت الى الحواريين " يقول : وهذا ايضا  
من الامتنان عليه السلام بان جعل له اصحابا وانصارا ، ثم قيل : ان المصدر  
بهذا الوحي وحى الهام ، كما قال تعالى : " واوحينا الى ام موسى ان ارضى  
الايسة (٢) وهو وحى الهام بلا خلاف (٣) .

ويقول تعالى آمرا عباده المؤمنين ان يكونوا انصار الله في جميع احوالهم  
باقوالهم وافعالهم وانفسهم واموالهم وان يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب  
الحواريون لميسى حين قال : " من انصارى الى الله (٤) .

اقول : والذى يظهر من الايات ان ايمان الحواريين واستجابتهم كان

---

( ١ ) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير ( ٢ : ٤٢ ) .

( ٢ ) سورة القصص : ٧ .

( ٣ ) انظر تفسير القرآن العظيم - لابن كثير ( ٢ : ٦٧٨ - ٦٧٩ ) .

( ٤ ) المرجع السابق - لابن كثير ( ٦ : ٦٥٠ ) .

من الاخلاص بمكان لمدة امور :

( أ ) لما يشعر به ظاهر الايات من سرمة الاستجابة وذلك في قوله تعالى

" قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله " .

( ب ) لكون ايمانهم نابعا من ايمان الله لهم على سبيل الالهام - كما هو

المشهور - وفي هذا الوحي الالهي من اللطف والعناية والرعاية

مالا يخفى ، فكيف لا يكون مخلصا من حقه الله بعبادته ؟؟

( ج ) لكون هذا الوحي ونتائجه من ضمن النعم التي امتن الله تعالى بها

على عيسى عليه السلام كما هو الواضح من اتساق آية الوحي متى اذا

عطفت على آية النعم في سورة البقرة (١) . وكما اشار اليه ابن كثير

وهذا يستدعي ثبوت النعمة ووقوعها ، وهي الوحي والايمان .

( د ) لامر المؤمنين بالتأسي بهم لا سيما وان هذا الامر خاطب المؤمنين

في العصر الذهبي عصر النبوة .

( هـ ) للتنويه بشأنهم وتقرير استجابتهم في هذه النصوص الثابتة الكريمة .

ثالثا : اسلوب الايات وعلاقته بايمان الحواريين .

اعلم اننا اذا نظرنا الى آيات المعجزة - ما خلا آية الوحي - نظيرة

مستقلة وبدون تعصب او تحيف نجد ان اسلوب الايات يوهم ان الحواريين

( ١ ) انظر سياق الايات في سورة البقرة : ١١٠ - ١١١ .

كانوا على شيء من الشك . ذلك ان قولهم " هل يستطيع ربك " فيه شيء من الجفاف فهو مشابه لقول بنى اسرائيل لموسى عليه السلام : " اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون " (١) .

وفى قول عيسى عليه السلام : " قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين " ما يشعر باستكبار مقاتلهم واستنكارها وان هذا كلام لا يصدر ممن رسخ الايمان فى قلوبهم وفى قولهم " نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا وكذلك قول عيسى " وآية منك " فان هذا اللفظ هو الذى يشمر بانها معجزة وانما تطلب المعجزة لازالة الشك وتقرير الايمان .

فكل هذه الامور موهمة ان الحواريين كانوا على شيء من الشك . ولعل هذه الامور هى التى اوهمت الزمخشري حين قال : فان قلت كيف قالوا " هل يستطيع ربك " بعد ايمانهم واخلاصهم ؟ قلت : ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعائهم لهما ثم اتبعه قوله ان قالوا فاذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين ، وقوله " هل يستطيع ربك " كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لهم . (٢)

وهكذا جزم الزمخشري ان الحواريين كانوا شاكين ، وقد فهم العلامة الطبرى ما يقرب من هذا عندما قرر صحة القراءة بالتاء والياء فى قوله

( ١ ) سورة المائدة : ٢٤ .

( ٢ ) الكشاف - للزمخشري ( ١ : ٦٥٤ ) .

تمالى " هل يستطيع ربك " وصواب القراءة بالياء فقال : وانما قلنا ذلك اولى  
القراءتين بالصواب لما بينا قبل من ان قوله " ان قال الحواريون " من صلة  
" ان اوحيت " ، وان معنى الكلام : وان اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى  
وبرسولى " ان قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك " فبين  
ان كان ذلك كذلك ان الله تعالى ذكره قد كره منهم ما قالوا من ذلك  
واستمطه وامرهم بالتوبة ، ومراجعة الايمان من قلوبهم ذلك . . . . . وقد قال  
عيسى لهم عند قلوبهم ذلك له استمظاما منه لما قالوا : " اتقوا الله ان كنتم  
مؤمنين " ففى استتابة الله اياهم ، ووداعه لهم الى الايمان به وبرسوله صلى الله  
عليه وسلم عند قلوبهم ما قالوا من ذلك ، واستمظام نبي الله صلى الله عليه  
وسلم كلمتهم ، الدلالة الكافية من غيرها على صحة القراءة فى ذلك بالياء  
ورفع الرب ان كان لا معنى فى قولهم لعيسى لو كانوا قالوا له : هل  
تستطيع ان تسأل ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ان تستكبر هذا  
الاستكبار . . . . . وخبر الله تعالى عن القوم بينى \* بخلاف ذلك - اى بخلاف  
ان تكون مسألتهم كمسألة من يسأل ربه ان يفنيه او يقضى حاجته - وذلك  
انهم قالوا لعيسى ان قال لهم " اتقوا الله ان كنتم مؤمنين " نريد ان نأكل  
منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ، فقد انبأ هذا عن قلوبهم ، انهم  
لم يكونوا يعلمون ان عيسى قد صدقهم ولا اطمأنت قلوبهم الى حقيقة نبوته  
فلا بيان ابين من هذا الكلام فى ان القوم كانوا قد خالط قلوبهم مرض وشك

في دينهم وتصديق رسولهم وانهم سألوا ما سألوا من ذلك اختباراً<sup>(١)</sup> .  
اقول : واذا كانت هذه هي مناقشة القائلين بشك الحواريين ، فإن  
البعض قد تأولوا هذا المفهوم وقالوا ان الحواريين لم يكونوا على شيء من  
الشك .

( أ ) التأويل في معنى الاستطاعة :

اذا رجعنا الى كتب اللغة نجد ان الاستطاعة تأتي بمعنى الطاقة  
والقدرة وتأتي بمعنى الطاعة والقبول والرضا .

قال الجوهري : الاستطاعة الطاقة ، والاستطاعة القدرة على الشيء<sup>(٢)</sup>  
وقيل هي استعمال من الطاعة .

يقول الطبري : وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والمراق هل يستطيع  
بالياء "ريك" بمعنى ان ينزل علينا ريك . كما يقول الرجل لصاحبه : استطيع  
ان تنهض معنا في كذا ، وهو يعلم انه يستطيع ولكنه انما يريد : انتهض معنا  
فيه ، وقد يجوز ان يكون مراد قارئه كذلك : هل يستجيب لك ريك ويطيعك  
ان تنزل علينا<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) جامع البيان - للطبري ( ٧ : ٢٤٦ - ١٣٠ ) .

( ٢ ) لسان العرب ( ٨ : ٢٤٢ ) .

( ٣ ) جامع البيان - للطبري ( ٧ : ١٢٩ ) .



وطلق الخطيب على هذا فقال : نقول - والله اعلم - ان الاستطاعة هنا لا يراد بها القدرة على اجابة الطلب وانما المراد بها الرضا والقبول لله بمعنى : هل يرضى ربك او يقبل ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء (١) .  
والذى يبدو وما سبق ان هذا التأويل مقبول لاسيما وان له اصلا لغويًا .

(ب) التأويل في اضافة لفظ الربوبية الى عيسى عليه السلام :

جاء تأويل ذلك في التفسير القرآني فقال : وليس في قول الحواريين " هل يستطيع ربك " انكارا لربوبية الله لهم ، ولكنه استصغار لشأنهم واخفاؤهم لذاتهم وهم يطلبون هذا الطلب الذي لا يصح ان يكون طالبه من الله الا انسانا له عنده من المنزلة مثل ما لعيسى عليه السلام . فهو ربه الذي افاض عليه هذه المكرمات وهو ربه الذي يطلب منه هذه المكرمة . ولهذا اضافوا عيسى الى الرب ولم يضيفوا هم انفسهم اليه استصغارا لمكانهم في هذا المقام (٢) .

(١) التفسير القرآني للقرآن - للخطيب (٧: ٧٦) .

(٢) المرجع السابق (٧: ٧٧) .

(ج) في قوله تعالى " قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين " :

قال بعض المفسرين ليس في هذا انكار من عيسى عليه السلام ولا استكبار لسؤالهم ، وانما هو امر لهم بملزمة التقوى التي بها يحصل المطلوب ويتحقق المرغوب .

وقد ورد من الايات ما يشير الى هذا المعنى كقوله تعالى " ومن يتق الله يجعل له مخرجا - ويزقه من حيث لا يحتسب " (١)  
فهذا هو التأويل في هذا الامر الذي قد يتوهم منه الانكار على الحواريين (٢) .

(د) التأويل فيما يتوهم - ان الحواريين على شك - من قولهم " ونعلم ان قد صدقتنا " فقد قيل ان الخرض من هذا طلب لزيادة الطمأنينة وليس طلبا لازالة الشك بهذه المحجزة .

واستدل على هذا التأويل بقول الخليل عليه السلام " رب ارنى كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي " (٣) .

---

(١) سورة الطلاق : ٢ - ٣ .

(٢) انظر مقاله الرازي في التفسير الكبير (١٢ : ١٣٠) .

(٣) سورة البقرة : ٢٦٠ .

وبسند هذا التأويل ان الحواريين قالوا : " نريد ان نأكل منهُما  
وتطمئن قلوبنا <sup>(١)</sup> .

ونخلص ما سبق الى تقرير النتيجة وهي ان اسلوب الايات لا يؤثر على

ايان الحواريين - فيما يبدو - وذلك لامور :

( ١ ) لورود النصوص القرآنية التي تشيد بايمان الحواريين واستجابتهم

والتي سبق الحديث عنها في مسألة ايمان الحواريين .

( ٢ ) لامر المؤمنين بالتأسي بهم وفي ذلك تنويه وإشارة الى رفعة منزلتهم

وعلو مرتبتهم اذ المؤمن لا يتأسى الا بمن صلحت بطانته وحسنت سيرته <sup>(٢)</sup> .

( ٣ ) لقبول التأويل وسلامته فيما يوهم انه مظنة لشكهم وتخريجه على اصول

شرعية ولفغوية .

( ٤ ) للبعد عن رص الحواريين بالشك الذي ميناه على الوهم والظن

لا سيما وان الايمان امر قلبي لا يحتمر فيه الظن لقوله تعالى : " وان

الظن لا يقين عن الحق شيئاً <sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) انظر ما قاله الالوسي في روح المعاني ( ٥٩ : ٧ ) .

( ٢ ) قد يقال ان الحواريين فرقان مؤمنون وهم خالصة عيسى عليه السلام

والمأمور التشبه بهم ، وكافرون وهم اصحاب المائدة وطلبت لهم المائدة

لتلزمهم الحججة ، ولكن هذا لم يوجد عليه دليل كما بينه الالوسي في

روح المعاني ( ٥٨ : ٧ - ٥٩ ) .

( ٣ ) سورة النجم : ٢٨ .

وبهذا نستطيع ان نقول ان طلب الحواريين كان لطلب كمال الايمان  
والترقى الى مراتب الاخلاص والطمأنينة .

رابعا : الاهداف المنشودة من طلب المائدة .

( أ ) اهداف الحواريين :

اعلم ان الحواريين لما طلبوا نزول المائدة واجابهم عيسى عليه السلام  
بقوله تعالى " قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين " قدموا اعدارهم ومبرراتهم لهذا  
الطلب وبينوا فيه الامور التي يهدفون من وراءها اثر نزول المائدة . وفى  
هذا الشأن قال تعالى : " قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم  
ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين " فهذه الاية هي التي تضمنت  
اهداف الحواريين من طلب المائدة .

يقول الرازى : والمعنى كأنهم لما طلبوا ذلك قال عيسى لهم : انه  
قد تقدمت المعجزات الكثيرة فاتقوا الله فى طلب هذه المعجزة بعد تقدم  
تلك المعجزات القاهرة فاجابوا وقالوا انا لانطلب هذه المائدة لمجرد ان  
تكون معجزة بل لمجموع امور كثيرة :

احدها : انا نريد ان نأكل منها فان الجوع قد غلبنا ولا نجد طعاما

آخر .

وثانيها : انا وان علمنا قدرة الله تعالى بالدليل ، ولكننا اذا شاهدنا

نزول هذه المائدة ازداد اليقين وقويت الطمأنينة .

وثالثها ؛ انا وان طمنا بسائر المعجزات صدق ، ولكن اذا شاهدنا

هذه المعجزة ازداد اليقين والحرمان وتأكدت الطمأنينة .

ورابعها ؛ ان جميع تلك المعجزات التي اوردتها كانت معجزات ارضية

وهذه معجزة سماوية وهي اعجب واعظم . فاذا شاهدناها كما عليها من

الشاهدين ، نشهد طمنا عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ، وتكون

عليها من الشاهدين لله يكال القدرة ولك بالنبوة (١) .

### (ب) اهداف عيسى عليه السلام ؛

لما كانت اهداف الحواريين وبنيراتهم في طلب المائدة موضع قبول

وانها لا تتعارض مع قواعد التشريع والتقدير الالهي فقد اجاب عيسى عليه

السلام وتوجه الى الله تعالى طالبا ان ينزل هذه المائدة من السماء .

وذكر بعض الصالح التي كانت داعية لهذا الطلب فقال ؛ اللهم ربنا

انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عهدا لا ولنا واخرنا وآية منك وارزقنا

وانت خير الرازقين فقد تضمنت هذه الآية هددا من الصالح التي ذكرها

عيسى عليه السلام وهي ؛

---

(١) راجع التفسير الكبير - للرازي (٢ : ١٣٠٤ - ١٣١) .

( ١ ) ان تكون هذه المائدة عيدا :

قال الطبري في معنى العيد : اختلف اهل التأويل في تأويل قوله  
" تكون لنا عيدا لا ولنا وآخرنا " .

فقال بعضهم : معناه نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه  
نحن ومن بمدنا .

وقال آخرون : معناه : نأكل منها جميعا .

وقال آخرون : معنى قوله " عيدا " عائدة من الله تعالى علينا حجة  
وبرهاننا . واولى الاقوال بالصواب : قول من قال : معناه تكون لنا عيدا  
نعبد ربنا في اليوم الذي تنزل فيه ونصلي له فيه ، كما يعبد الناس في اعيادهم  
لان المصروف من كلام الناس المستعمل بينهم في العيد ما ذكرنا . دون القول  
الذي قاله من قال معناه : عائدة من الله علينا وتوجيه معاني كلام الله الى  
المصروف من كلام من خوطب به اولى من توجيهه الى المجهول منه ما وجد اليه  
السييل .

واما قوله " لا ولنا وآخرنا " فان الاولى من تأويله بالصواب : قول من  
قال : تأويله للاحياء منا اليوم ومن يحيى بمدنا منا ، للملة التي ذكرناها  
في قوله " تكون لنا عيدا " لان ذلك هو الاغلب في معناها .<sup>(١)</sup>

---

( ١ ) انظر جامع البيان - للطبري ( ٧ : ١٣٢ ) .

والذى بيد وان ما استصوبه الطبرى هو الصواب وهو تعظيم الله فى ذلك اليوم ان المعروف عند المسلمين فى اعيادهم شكر الله وتعظيمه على حسن توفيقه .

( ٢ ) ان تكون آية :

وذلك لتكون دليلا على قدرة الله وتصديقا لعيسى عليه السلام وتثبيتا وطمأنينة للحواريين وهذه كلها موجبة لطلبها من الله تفضلا وكرما منه تعالى .

( ٣ ) ان تكون رزقا :

وهذا هو الهدف الاخير وهو ان تكون طعاما حلالا من غير كسب ولا مشقة كما يشمر به الظاهر من قوله تعالى " وارزقنا وانت خير الرازقين " .

واذا كانت هذه هى اهداف الحواريين واهداف عيسى عليه السلام فاننا نجد بالمقارنة بينهما ان الحواريين قد قدموا فى اهدافهم الحفظ والديمومة على الامور الاخروية بينما نجد عيسى عليه السلام قد اهتم بالامور الاخروية على الحفظ والديمومة ما يؤكد دقة تحوير عيسى عليه السلام وحسن توجيهه .

خامسا : القول فى نزول المائدة (١)

ويعد ان طلب الحواريون المائدة وسألها عيسى عليه السلام من ربه

---

( ١ ) ذكر الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه قصص الانبياء ان مسألة نزول المائدة هى مسألة الارغفة الخمسة والسكك والخصم =

واجاب سبحانه بقوله " انى منزلها عليكم" بحد هذا كله وقع الخلاف فى نزولها :

يقول الطبرى : اختلف اهل التأويل فى المائدة هل انزلت ام لا ؟

.... فقال بعضهم : نزلت .

وقال آخرون : ان القوم لما قيل لهم " فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه

عذابا لا اعذبه احد من المالمين " استخفوا منها فلم تنزل .

حدثنا بشر بن معاذ . . . عن قتادة قال : كان الحسن يقول لسا

قيل لهم " فمن يكفر بعد منكم " . . . الى آخر الاية ، قالوا : لا حاجة لنا فيها

فلم تنزل .

---

= ان تلاميذ يسوع كان لديهم خمسة أرغفة وسمكتان فاخذها عيسى وبارك فيها حتى اكل منها الجموع الكثيرة ثم رفعوا ما فضل . ويقول عبد الوهاب ومعنى كونها سواوية ان الله تعالى بارك فى الطعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة ، وقد اخذ عبد الوهاب اصل هذه القصة من الانجيل واعتمد فى تخريجه لهذه القصة على ان النزول يطلق على معانيس عدة منها الهبة والعطية فليس المراد بالنزول المعنى الاصلى اللغوى الذى هو الانحطاط من علو ، فقال : والمراد بانزالها عليهم ان يرزقهم الله الطعام الكثير من حيث لا يحتسبون . ا . هـ .  
والذى ارى نحو مقاله الشيخ عبد الوهاب انه لا يمد وان يكون مجرد اجتهاد ومحاولة للبحث عن الحقيقة .

انظر المرجع قصص الانبياء\* - عبد الوهاب النجار (ص ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٨)

ط/ القاهرة ١٣٨٦ هـ .



حدثني الحارث . . . . عن مجاهد قال : مائدة عليها طعام ابوها  
حين عرض عليهم المذابح ان كفروا ، فايوا ان تنزل عليهم .  
وقد ذكر الطبري ايضا بعض الاثار في نزولها ، فجا في اثر عن ابن  
عباس : قال : فاقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة احوات  
وسبعة ارغفة حتى وضعتها بين ايديهم .  
ومن السدي . . . . فانزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع  
الطعام الا اللحم .

ثم قال الطبري : والصواب من القول عندنا في ذلك ان يقال : ان الله  
تمالى انزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه ، وانما قلنا  
ذلك للخبر الذي روينا بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه  
واهل التأويل من بعدهم غير من اتفروا بما ذكرنا عنه ، وبعد فان الله  
تمالى لا يخلف وعده ولا يقع في خبئه الخلف وقد قال تمالى مخبرا في كتابه  
عن اجابة نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم حين سألته ما سألته من ذلك " انى  
منزلها عليكم " وغير جائز ان يقول تمالى ذكره انى منزلها عليكم ثم لا ينزلها  
لان ذلك منه تمالى خبر ، ولا يكون منه خلاف ما يخبر ، ولو جاز ان يقول : انى  
منزلها عليكم ، ثم لا ينزلها عليهم جاز ان يقول فمن يكفر بعد منكم فانى  
مذبه عذابي لا اعذبه احدا من العالمين ، ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يمذبه  
فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة ، وغير جائز ان يوصف ربا تمالى

بذلك (١).

ويقول ابن كثير : وقال قائلون : انها لم تنزل : وورد الاثار المروية عن مجاهد والحسن ، وقال : وهذه اسانيد صحيحة الى مجاهد والحسن وقد يتقوى ذلك بان خبر المائدة لا يحرفه النصارى ، وليس هو في كتابهم ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله ، وكان يكون موجودا في كتابهم متواترا ولا اقل من الاحاد والله اعلم .

ولكن الذى عليه الجمهور انها نزلت وهو الذى اختاره ابن جرير . . . . .  
وهذا القول هو - والله اعلم - الصواب كما دلت عليه الاخبار والاثار عن السلف (٢).

وقد تعرض السعدى لهذه المسألة فقال : واعلم ان الله تعالى وعد انه سينزلها وتوعدهم ان كفروا بهذا الوعيد ولم يذكر انه انزلها فيحتمل انه لم ينزلها بسبب انهم لم يختاروا ذلك ويدل على ذلك انه لم يذكر فى الانجيل الذى بايدى النصارى ولا له وجود ، ويحتمل انها نزلت كما وعد الله وانه لا يخلف الميعاد ويكون عدم ذكرها فى الانجيل التى بايديهم من الحظ الذى ذكروا به فسوه او انه لم يذكر فى الانجيل اصلا وانما ذلك كان متوارثا بينهم ينقله الخلف عن السلف فاكتفى الله بذلك عن ذكره فى الانجيل

( ١ ) جامع البيان - للطبري ( ٢ : ١٢١ - ١٣٥ ) .

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير ( ٢ : ٦٨٥ ) .

ويدل على هذا المعنى قوله " وتكون عليها من الشاهدين " والله اعلم بحقيقة الحال (١) .

وما يستحسن ذكره في هذا المقام وقيل الخوض في مسألة النزول ان فيما قاله السمدى ردا على من يحتج بالانجيل على القرآن الكريم للملل التي ذكرها آنفا .

ونعود الى مسألة النزول لنقول ان بعض الباحثين قد تعرض لهذه المسألة بشئ من التحليل : فقال ان الرأى فى المسألة دائرين رأى - الجمهور القائلين بالنزول ، ورأى الحسن ومن معه القائلين بعدم النزول وان الفريقين متفقان على ان الحواريين سألوا عيسى المائدة ، وان عيسى سألها ربه ، وان الله اجاب بما اجاب ، وان الجمهور يرون ان قوله : " انسى منزلها " وعد ، ووعد الله لا يتخلف فلا بد ان تكون قد نزلت ، وان الحسن واصحابه يرون انه وعد مقيد بما رتب عليه من وقوع العذاب بهم اذا لم يؤمنوا بعد نزولها ، وان القوم اشفقوا على انفسهم بثقل هذا الشرط فرجعوا واستمعوا من طلبها مخافة ان يحل بهم العذاب على فرض كفرهم ، او كفر احد من معاصريهم بعد نزولها ، وطلبه فلم يجد هناك مبررا لانزالها فلم تنزل .

وسواء علينا اقلنا بنزولها كما يعزى الى الجمهور ويرجعه ابن جرير ، ام

( ١ ) راجع تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان - للسمدى ( ٢ : ١٧١ ) .

قلنا بعدم نزولها كما يعزى الى الحسن ومجاهد وقتادة مادنا نؤمن بسمان  
 الحواريين سألو عيسى ان يسأل ربه المائدة ، وان عيسى عليه السلام سألهما  
 ربه بنا على سؤالهم ، وان الله تعالى اجاب بما اجاب به وهذا غير مقيد كما  
 يرى الجمهور او مقيدا كما يرى الحسن ومن معه ، سواء علينا هذا او ذاك ،  
 مادنا نعتقد ما قصه علينا ، والله لم يكلفنا باعتقاد واحد من الامرين وليس في  
 القرآن ما يقطع باحدهما عينا حتى تكون مخالفته مخالفة لقطبي في ثبوتيه  
 ودلالته ، والايات كما ترى محتملة للرأيين ، فلكل من اطمان الى احد الاحمالين  
 النزول او عدمه ان يعتقد <sup>(١)</sup> .

والذي يبدو لي من خلال نظري في الايات وبعد استعراض ما قاله  
 العلماء ان المسألة محتملة للنزول وعدمه ولا اعلم دليلا صحيحا مرجحاً  
 لاحدهما على الاخر ، ولكي نصل الى نتيجة والحالة هكذا يجب علينا ان نحكم  
 في هذه المسألة القواعد العامة ، ونعرض كل من حجة الفريقين عليهما  
 وننظر علنا نصل الى بعض النتائج .

فالقائلون بالنزول وهم الجمهور يحتجون بان الله وعد بذلك وعصدا  
 مؤكدا فلا بد ان ينفذ ذلك الوعد وانها قد نزلت .

فاذا نظرنا الى القاعدة العامة في هذا وهي ان الله لا يخلف الميعاد

(١) انظر تفسير القرآن الكريم \* الاجزاء المشرفة \* محمود شلتوت (ص ٢٧١) (٢٧٢)

كما قال تعالى : " ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف  
الميعاد <sup>(١)</sup> . فالله سبحانه لا يتخلف وعده ، نعم لو وعد الله ثم لم يقع الموعد به  
لم يمتد ذلك خلف من الله تعالى بل يكون لحكمة . والاصل ان الحكمة  
والمدالة تقتضى حصول الموعد والا انتقض ماقرر في الاديان من البعث  
والحساب والجزاء .

ويتطبيق الحجة على القاعدة نرى ان حجة الجمهور تنطبق على اصل  
القاعدة .

اما القائلون بعدم النزول وهما العسن ومجاهد ومن معها وهجتهم  
ان الحواريين قد رجموا واستمفوا من طلبها . وهذه هي دعوى - ومع  
احترامنا لهذين الامامين الجليلين - فلا بد من دليل على هذه الدعوى  
والقاعدة في ذلك ان الدعوى طلبها من دليل .

ويتطبيق الحجة على القاعدة نجدها لا تنطبق لعدم وجود الدليل  
- فيما اعلم - على الدعوى .

وبهذا ارى ان ما ذهب اليه القائلون بالنزول هو الارجح لا صور :

( أ ) لموافقة حجة القائلين بالنزول على اصل القاعدة العامة .

( ب ) لعدم وجود دليل قاطع على دعوى القائلين بعدم النزول .

---

( ١ ) سورة آل عمران : ٩ .

( ج ) للقرائن الظاهرة من الايات كاستجابة عيسى للمواريين واستجابة  
الله تعالى لميسى ووعده الله المؤكد وما الى ذلك .

( د ) لورود بعض الاثار بذلك والتي منها ما رواه الترمذى فى جامعه ، وفيه  
قال : حدثنا الحسن بن قزعة . . . . . عن عمار بن ياسر قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المائدة من السماء خبزاً ولحمًا  
وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لشد فخانوا وادخروا ورفموا لفسد  
(١)  
فمسخوا قرده وخنازير .

سادسا : حقيقة هذه المعجزة .

لملك تذكر ما توصلنا اليه فى معنى المائدة فى المبحث الاول من هذه  
المعجزة وانها الطعام . فهى اذا طعام حقيقى وذلك بعد ان خرقت فيها  
المادة وظهر فيها الاعجاز . وهذا لا خلاف فيه عند من قال بنزولها ولكن  
الخلاف فى نوعية هذا الطعام .

وقد وردت آثارتص على ان هذه المائدة كانت حوتا وخبزا وقيل عليها  
جميع انواع الطعام الا اللحم .  
(٢)

وقد ذكر ابن كثير اثرا مطولا حول طلب المائدة وصفة نزولها والسوان

---

( ١ ) جامع الترمذى ( ١١ : ١٨٤ ) .

( ٢ ) جامع البيان - للطبرى ( ٧ : ١٣١ ) .

الطعام التي كانت عليها ما يستوحى القارىء ان هذا الاثر - يحمل الصيغة  
الاسرائيلية ولهذا قال ابن كثير : هذا اثر غريب جدا .<sup>(١)</sup>

وقال احد المؤلفين : وقد تكلم العلماء ..... على اوصافها  
وما احتوت عليه من الوان الطعام والشراب وحسبك فى معرفة ما قالوه فى  
هذا . . . ان ترجع الى اى كتاب من كتب التفسير المتداولة لتقرأ فى  
اوصافها ووصف ما وضع عليها الشئ الكثير ما يجملك تؤمن ان كل ما قيل  
حولها من افتراء المفترين او اساطير الاسرائيليين .<sup>(٢)</sup>

وقال الطبرى : واما الصواب من القول فيما كان على المائدة فـان  
يقال : كان عليها مأكول ، وجائز ان يكون كان سمكا وخبزاً ، وجائز ان يكون  
كان ثمر من ثمر الجنة ، وغير نافع العلم به ولا ضار الجهل به اذا اقرت الى  
الاية بظاهر ما احتمله التنزيل .<sup>(٣)</sup>

فالحاصل ان هذه المعجزة كانت طعاما قابلا للاكل وليس لديها  
ما يمين نوعية ذلك الطعام على وجه الجزم والقطع . والله اعلم .

---

( ١ ) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير ( ٢ : ٦٨٥ ) .

( ٢ ) تفسير القرآن الكريم - محمود شلتوت ( ص ٢٦٩ ) ، ط / الخامسة  
دار الشروق ١٩٧٣ م .

( ٣ ) راجع جامع البيان - للطبرى ( ٧ : ١٣٥ ) .

سابقا : وجه خرق المادة في هذه المحجزة .

اعلم ان خرق المادة في هذه المحجزة واضح من ظاهر الايات وذلك  
في قوله تعالى " هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء " وقوله  
تعالى " اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء " .  
والمعروف والمعتاد ان المائدة تعد من الارض سواء كانت مادتها  
حيوانية او نباتية ان ليس من المحتان ان تنزل المائدة من السماء ~~من غير~~  
اسباب معروفة فحينئذ يكون نزولها من السماء على تلك الصفة خارقا للمادة  
والله تعالى اعلم . .



## الفصل الثاني

مجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

المقلية والحسية

من المعلوم ان الله تعالى قد أجرى على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا من الخوارق قد تضاهى في مجموعها تلك الخوارق التي اجراها الله على ايدى الانبياء السابقين ، وقد جاءت السنة المطهرة زاخرة بتلك الخوارق مع ما تضمنه القرآن الكريم ، ولما كانت تلك الخوارق من المعجزات التي هي موضع الحجة والبرهان ومنها ما تضمن معنى الاكرام والدلالة . كان علينا ان نقتصر على تلك المعجزات التي تضمنها القرآن الكريم خاصة وان بحثنا عقيد بما ورد في القرآن الكريم .

وبعد هذا البيان فسأجمل هذا الفصل على بحثين :

- |                                |                 |
|--------------------------------|-----------------|
| المبحث الاول : المعجزة العقلية | (القرآن الكريم) |
| المبحث الثاني : المعجزة الحسية | (انشقاق القمر)  |

المبحث الاول

المعجزة العقلية " القرآن الكريم "

تمهيد .

لقد ارسل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وختم به الرسالات السابقة . قال تعالى : " وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون " (١)

وقال تعالى : " ما كان محمد ايا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما " (٢)

فهذا هو نبى الاسلام وهذه هي دعوة الاسلام الشاملة للزمان والمكان والاجيال ، ولما كان هذا هو الحال فى الدعوى كان لا بد ان تكون معجزتها مناسبة لها فى العموم والبقاء فهذه هي دعوى المعجزات التى تخاطب سبب العقل والوجدان والتى يراها العقل حيث ما نظر وليست دعوة المعجزات التى تضطر العقل بالافحام القاهر الى التسليم لان دعواتها وقتية فهى بالتالى معجزات وقتية .

---

( ١ ) سورة سبأ : ٢٨ .

( ٢ ) سورة الاحزاب : ٤٠ .

اما معجزة الاسلام الاولى فقد جاءت مناسبة لدعوتها كل المناسبة  
 فهي المعجزة العقلية الاصلية والفريدة في نوعها وفي ذاتها بخلاف تلك  
 المعجزات الحسية التي هي امور ثانوية في رتبها ومكانتها ولا شك ان  
 مخاطبة العقل هي ادق واروع واجل واعظم من مخاطبة الحس فالمعجزة  
 القرآنية تخاطب العقل وتحترمه وتسمو به الى التفكير والتأمل وتناقش معه  
 القضايا بحجة واضحة ومنطق سليم وليست بتلك المعجزات التي تقهر البصر  
 وتوصم العقل . فما اعظم القرآن وما اعجل قدره . وما ان القرآن الكريم  
 يطول الحديث عنه وليس يخاف ما يذله العلماء قديما وحديثا في هـنـذه  
 المعجزة الخالدة سوا . كان في امجازه او حكمه واحكامه او قصصه وامثاله  
 الى غير ما هنالك من علوم الزاخرة . ولما كان خرق العادة هو الذي يهضما  
 في هذا المقام كان من المستحسن ان تقتصر على ما يكشف لنا النقاب عن  
 هذا الجانب فأسستهل المبحث بعد هذا التمهيد - بشي من التصريف  
 لهذه المعجزة ، ثم ادلة ثبوتها كمعجزة مع المنايا بجانب الاعجاز لصلته  
 بخرق المادة فالى هذه النقاط .

اولا : تصريف القرآن الكريم .

( أ ) القرآن في اللغة :

قال في لسان العرب : القرآن : التنزيل المميز . قال ابواسحاق  
النحوي : يسمى كلام الله تعالى الذي انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم  
كتابا وقرآنا وفرقانا .

ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمى قرآنا لانه يجمع السور فيضمها  
وروي عن الشافعي رضي الله عنه انه قرأ القرآن على اسماعيل بن قسطنطين  
وكان يقول : القرآن اسم ، وليس بمحموز ، ولم يؤخذ من قرأت . ولكنه اسم  
لكتاب الله مثل التوراة والانجيل <sup>(١)</sup> .

ويقول الراغب : والقرآن في الاصل صدر نحو كقران ورجحان . قال  
" ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه " قال ابن عباس : اذا جمعناه  
واثبتناه في صدرك فاعمل به ، وقد خص بالكتاب المنزل على محمد صلى الله  
عليه وسلم فصار له كالعلم . . . . قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب  
قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمره كتبه بل لجمعه ثمره جميع العلوم  
كما اشار تعالى اليه بقوله " وتفصيل كل شيء " وقوله " تبينا لكل شيء " <sup>(٢)</sup> .

( ١ ) لسان العرب ( ١ : ١٢٨ - ١٢٩ ) .

( ٢ ) المفردات في غريب القرآن - للراغب ( ص ٤٠٢ ) .

وقال السيوطى فى كتابه الاتقان : واما القرآن فاختلف فيه فقال جماعة هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله فهو غير مهموز وبه قرأ ابن كثير وهو مروي عن الشافعى .

ثم قال السيوطى - بعد ان استظهر فى ذكر بعض الاثار - والمختار عندى فى هذه المسألة مانص عليه الشافعى (١) .

اقول : وهذه المسألة موضع خلاف ولكنه خلاف لفظى لا طائل تحته والمعروف ان لفظ القرآن اسم للكتاب الكريم كاسم التوراة والانجيل ، وبه جاء التنزيل فى قوله تعالى : " ولقد آتيناك سبع من المثاني والقرآن العظيم " (٢) .

### (ب) القرآن فى الاصطلاح :

واما القرآن فى الاصطلاح فقد عرفه العلماء : بانه الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب فى المصاحف ، المنقول بالتواتر المتמיד بتلاوته (٣) .

يقول الزرقانى : وانت ترى ان هذا التعريف جمع بين الاعجاز والتنزيل

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن - للسيوطى (١ : ٥٠ - ٥١) .

(٢) سورة الحجر : ٨٧ .

(٣) مآهل العرفان - للزرقانى (١ : ١٢) .

على النبي صلى الله عليه وسلم ، والكتابة في المصاحف ، والنقل بالتواتر  
والتمسك بالتلاوة وهي الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم <sup>(١)</sup> .

ثانيا : ادلة ثبوت المعجزة القرآنية .

اعلم انه يمكن اثبات ان القرآن الكريم معجزة خارقة بالكتاب والسنة  
والمشاهدة الحسية .

( أ ) ادلة الكتاب : وهي على قسمين :

( ١ ) الدليل بالاسلوب :

ان المتتبع لاسلوب القرآن الكريم يجد في طواياه تلك الايات التي  
تشق عن مطالبة النبي بالمعجزات وتقتربها عليه بينما نجد الرد عليهم  
وهو يقرر ان القرآن الكريم فيه الغنية عن تلك المعجزات ان هي المعجزة  
الكافية ، ولسنا بصدد تتبع تلك الاساليب وانما نكتفي ببيان انموذج لها  
لعل القارى بعد ذلك يتبين عليها الاشياء والنظائر فمن ذلك :  
قوله تعالى " وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الايات عند الله  
وانما انا نذير مبين - اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فسى

---

( ١ ) مناهل العرفان - للزرقاني ( ١٢ : ١ ) .

ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون<sup>(١)</sup> .

يقول الزمخشري عند قوله تعالى : " اولم يكفهم " آية مفنية عن سائر  
الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته  
عليهم فى كل مكان وزمان ، فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما  
تزول كل آية بعد كونها وتكون فى مكان دون مكان<sup>(٢)</sup> .

وعن الاسلوب فى قوله : " اولم يكفهم " يقول ابو السعود : والهمزة  
للانكار والنفي . . . اى اقصر ولم يكفهم آية مفنية عن سائر الآيات " انما  
انزلنا عليك الكتاب<sup>(٣)</sup> .

فقد بان بهذه الآية ان القرآن الكريم منهل الآيات واوفى المعجزات  
واعظمها وابقاها .

### ( ٢ ) الدليل بآيات التحدى :

قال تعالى : " قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعته  
ان كنتم صادقين<sup>(٤)</sup> " .

- 
- ( ١ ) سورة المنكوت : ٥٠ - ٥١ .  
( ٢ ) الكشاف - للزمخشري ( ٣ : ٢٠٩ ) .  
( ٣ ) تفسير ابي السعود - لابي السعود ( ٤ : ٣٤٢ ) .  
( ٤ ) سورة القصص : ٤٩ .



وقال سبحانه : " ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله  
ان كانوا صادقين <sup>(١)</sup> .

وقال عز وجل : " قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل  
هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا <sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى : " ام يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات  
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين <sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى : " ام يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من  
استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين <sup>(٤)</sup> .

وقال سبحانه : " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من  
مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين - فان لم تفعلوا  
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين <sup>(٥)</sup> .

وهكذا نرى ان آيات التحدى قد جاءت على صور مختلفة واشكال

---

( ١ ) سورة الطور : ٣٣ - ٣٤ .

( ٢ ) سورة الاسراء : ٨٨ .

( ٣ ) سورة هود : ١٣ .

( ٤ ) سورة يونس : ٣٨ .

( ٥ ) سورة البقرة : ٢٣ - ٢٤ .

متباينة مجازاة مع الخصم، ثم وصفت بعدم الاستطاعة في قوله تعالى : " ولن تفعلوا " ولا شك ان اى معجزة لا بد وان تحمل في طواياها معنى التحدى وقد جاء في هذه المعجزة صريحا صاوخاصا يدل دلالة بينة على ان القرآن الكريم معجزة ظاهرة ظاهرة .

يقول الرازى : واطم ان كونه معجزا يمكن بيانه من طريقين :

الاول : ان يقال ان هذا القرآن لا يخلو حاله من احد وجوه ثلاثة :

اما ان يكون مساويا لسائر كلام الفصحاء ، او زائدا سائر كلام الفصحاء

يقدر لا ينقض العادة ، او زائدا عليه بقدر وينقض .

والقسمان الاولان باطلان فتحين الثالث، وانما قلنا انهما باطلان

لانه لو كان كذلك لكان من الواجب ان يأتيوا بمثل سورة منه مجتمعين

او منفردين ، فان وقع التنازع وحصل الخوف من عدم القبول فالشهود والحكام

يزيلون الشبهة وذلك نهاية في الاحتجاج لانهم كانوا في معرفة اللغسة

والاطلاع على قوانين الفصاحة في النفاية . وكانوا في محبة ابطال امره فس

الغاية حتى بذلوا النفوس والاموال وارثكوا ضروب المهالك والمحن ، وكانوا

في الحمية والانفة على حد لا يقبلون الحق فكيف الباطل ، وكل ذلك يوجب

الاتيان بما يقدر في قوله والممارسة اقوى القوادح فلما لم يأتيوا بها عطفا

عجزهم عنها فثبت ان القرآن لا يماثل قولهم ، وان التفاوت بينه وبين كلامهم

ليس تفاوتا معتادا فهو ان تفاوت ناقض للعادة فوجب ان يكون معجزا .

والطريق الثاني : ان نقول : القرآن لا يخلو اما ان يقال انه كان بالغا في الفصاحة الى حد الازالة او لم يكن كذلك فان كان الاول ثبت انه معجز وان كان الثاني كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة ، فمقدم اثباتهم بالمعارضة مع كون المعارضة ممكنة ومع توفر دواعيهم على الاتيان بها امر خارق للعادة فكان ذلك معجزا فثبت ان القرآن معجز على جميع الوجوه وهذا الطريق عندنا اقرب الى الصواب .

ويقول : (المسألة الخامسة) اعلم ان التحدى بالقرآن جاء على وجوه :

احدها : قوله " فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدي " .

وثانيها : قوله " قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل

هذا القرآن لا يأتيون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " .

وثالثها : قوله " فأتوا بحشر سور مثله مفتريات " .

ورابعها : قوله " فأتوا بسورة من مثله " . ونظير هذا كمن يتحدى

صاحبه بتصنيفه فيقول اعنى بمثله ، اعنى بنصفه ، اعنى بريمه ، اعنى بمسألة

منه ، فان هذا هو النهاية في التحدى وازالة المذر فان قيل قوله : " فأتوا

بسورة من مثله يتناول سورة الكوثر وسورة النصر وسورة قل يا ايها الكافرون

ونحن نعلم بالضرورة ان الاتيان بمثله او بما يقرب منه ممكن فان قلت ان الاتيان

بامثال هذه السور خارج عن مقدور البشر كان ذلك مكابرة والاقدام على

امثال هذه المكابرات ما يطرق التهمة الى الدين . قلنا فلهذا السبب

اخترنا الطريق الثاني . وقلنا ان بلغت هذه السورة في الفصاحة الى حد  
الاعجاز فقد حصل المقصود وان لم يكن الا مر كذلك كان امتناعهم عن المعارضة  
مع شدة دواعيهم الى توهين امره معجزا . فعلى هذين التقديرين يحصل  
المعجز (١) .

وقد علق ابن كثير على هذا المتهيج الذي انتهجه الرازي فقال : وقد  
قرر بعض المتكلمين الاعجاز بطريق يشمل قول اهل السنة وقول المعتزلة  
في الصرفة فقال : ان كان هذا القرآن معجزا في نفسه لا يستطيع البشر  
الاتيان بمثله ولا في قواهم معارضته فقد حصل المدعى وهو المطلوب وان كان  
في امكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك  
دليلا على انه من عند الله لصفه اياهم من معارضته مع قدرتهم على ذلك  
وهذه الطريقة وان لم تكن مرضية لان القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر  
معارضته كما قررنا الا انها تصلح على سهيل التنزيل والمجادلة والمنافحة  
من الحق وبهذه الطريقة اجاب الرازي في تفسيره من سؤاله في السور القصار  
كالمصر وانا اعطيناك الكوثر (٢) .

اقول : والذي بيد وما سبق ان القرآن الكريم يقرر من ثنايا الاسلوب

---

( ١ ) التفسير الكبير - للرازي ( ٢ : ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ ) .

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير ( ١ : ١٠٦ ) .

والتحدى انه معجزة خارقة ، بيد اننا نجد وكان الرازي يشير في كلامه السي  
مذهب القائلين بالصرفة . واذ التمسنا المذنب للرازي على انه يريد بذلك  
التنزل مع الخصم والمنافحة عن الحق - كما اشار اليه ابن كثير - لاسيما وانه  
قد افترض مناظرة جدلية فكيف نلتصم له المذنب وهو يقرر في معرض كلامه - من  
غير جدل ولا منافحة - ان الاعجاز قد يكون خارجا عن ذات القرآن وهو عدم  
الاتيان بالمعارضة . يقرر ذلك وهو يقول : وهذا الطريق عندنا اقرب السي  
الصواب . والحق انه لا ينبغي ان يصدر هذا من مثل الرازي في امامته  
ورجاحة عقله . وعلينا ان نناقش هذا المذهب مناقشة موضوعية مستقلة .

فنقول ان القول بالصرفة لا يخلو من امرين :

( ١ ) ان تكون الصرفة عن ادعاء المعارضة والاقدام على محاولتها بحيث انه

لا يمكن لاهدان يدعى معارضة القرآن ولا يمكنه ان يحاول ذلك .

( ٢ ) ان تكون الصرفة عن القدرة لاعن دعوى المعارضة بحيث لو اقدموا على

المعارضة لا توا بئله لولا ذلك الصارف .

وعلى كلا الوجهين السابقين فان الاعجاز يكون خارجا عن ذات القرآن

فليس هو معجز بذاته . ولا شك ان القول بالصرفة باطل كل البطلان ومنقوض

من الوجهين .

الوجه الاول : انه قد ادعى المعارضة اناس كثيرين منهم مسيلمة

الكذاب عندما انبرى بدافع قوى وحاول معارضة القرآن فاتي بالكلام

السخيف المستهجن الذي نضرب عنه صفحاً لخسته ووقاحته .<sup>(١)</sup>

فبان بهذا ان دعوى المعارضة ممكنة وقد وقعت بالفعل وهى جائزة ان تقع فى اى زمان واى مكان ومن اى شخص ولا يوجد قضية عقلية ضرورية تحيلها . فعلى هذا تكون دعوى الصرفة فيها باطلة ومنقوضة .

والوجه الثانى : انا نعلم ان العرب فى العهد الجاهلى كانوا فرسان الفصاحة والبلاغة وعلى علم بالتهذيب اللغوى وحسن النظم وروعى الفصاحة والوصف وكانوا يتنافسون فى هذا المضمار حيث لا تحدى ولا صارف فهل نقلنا ان شيئاً من ذلك التراث العروى الجاهلى مماثل للقرآن اولى بفضله ؟ كلا ثم كلا لم ينقل من ذلك شىء على انه مماثل للقرآن الكريم . وما ذلك ، الا لعدمه . وبهذا يتبين بطلان القول بالصرفة على كل الوجوه .<sup>(٢)</sup>

واذا ظهر بالبداية بطلان القول بالصرفة من خلال هذه المناقشة الواقعية فانا نجد من آيات التحدى ما يؤكد هذا المعنى ويبطل القول بالصرفة .

يقول الزركشى من مذهب الصرفة : وهو قول فاسد بدليل قوله تعالى " قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " فانه يدل على عجزهم مع بقا قدرتهم

(١) المعجزة الخالدة - حسن ضياء الدين (ص ١٩٠) .

(٢) انظر مقاله مؤلف كتاب المعجزة الخالدة (ص ٢١٢ - ٢١٣) .

ولو سلموا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى كبير يحتفل بذكوره، هذا مع ان الاجتماع منعقد على اضافة الاعجاز الى القرآن، فكيف يكون محجوزا غيره وليس فيه صفة اعجاز، بسلسل المعجز هو الله تعالى، حيث سلمهم قدرتهم عن الاتيان بمثله . وايضا يلزم من القول بالصرفة فسار آخوه وهو زوال الاعجاز بزوال زمان التحدى وخلو القرآن من الاعجاز، وفي ذلك عرق لاجماع الامة، فانهم اجتمعوا على بقاء معجزة الرسول المظنى، ولا معجزة له باقية سوى القرآن . وخلوه من الاعجاز يبطل كونه معجزة (١).

وعلق احد المؤلفين على آية التحدى الانفة فقال : فلو كان الاعجاز بالصرفة لقليل : " لو اجتمعوا لما انحدت لهم عزيمة على الاتيان بمثله او لو اجتمعوا لما اتجهت هممهم ولا همة واحد منهم الى هذا الامر، ولم يرد مثل ذلك بحال . وانما نص القرآن على انهم لا يأتون بمثله ولو تضافرت جهودهم وتأزرت مساعيمهم، فدل على ان التحدى انما وقع بنفس القرآن وان الاعجاز قائم في ذاته . . . . . فدللت هذه الاية ونظائرها على ان القرآن معجز بنفسه لمزايا وخصائص استقرت فيه، تقصر طاقة البشر وقدرتهم عن مساواتها لذلك ورد التحدى بالقرآن ذاته (٢).

(١) البرهان في علوم القرآن - للنزكشي (٢ : ٩٤) .

(٢) المعجزة الخالدة - ضياء الدين (ص ٢٠٧) .

وهكذا يتضح ان اعجاز القرآن قائم بذاته لا بالصرف عنه فالادلة اذا  
ظاهرة الدلالة على ثبوت المعجزة .

(ب) الدليل من السنة :

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن ابى هريرة عن النبى صلى الله  
عليه وسلم قال : ما من الانبياء نبي الا اعطى من الايات ما مثله امن او آمن  
عليه البشر وانما كان الذى اوتيت وحيا او حاه الله الى فارجوانى اكثرهم  
تابعا يوم القيامة (١) .

يقول ابن حجر : هذا - اى قوله : ما من الانبياء نبي الا اعطى - دال  
على ان النبى لا بد له من معجزة تقتضى ايمان من شاهدها بصدقته ، ولا يضره  
من اصر على المعاندة .

ويقول : وقوله " وانما كان الذى اوتيته وحيا او حاه الله الى " اى ان  
معجزتى التى تحدث بها الوحي الذى انزل على وهو القرآن لما اشتمل عليه  
من الاعجاز الواضح (٢) .

ومعنى الحصر فى قوله " انما كان الذى اوتيته " ان القرآن اعظم  
المعجزات وافيدها وادومها لاشتماله على الدعوة والحجة ودوام الانتفاع به

---

(١) صحيح البخارى (١١٣: ٩) ، صحيح مسلم (١: ١٣٤) .

(٢) فتح البارى - لابن حجر (٦: ٩) .



الى آخر الدهر فلما كان لاشي<sup>١</sup> يقاربه فضلا عن ان يساويه كان ماعداه بالنسبة  
اليه كأن لم يقع .<sup>(١)</sup>

( ج ) الدليل بالمشاهدة الحسية :

ونقصد بالمشاهدة الحسية تلك الشهادة الفعلية وهي انا نرى  
هذا القرآن الكريم المكتوب في المصاحف والمداويل في شتى الاقطار الفريد في  
نظمه واسلوبه ومخاطبته للبشر مع ما يمجده به من قداسة واحترام وهــــــــــــ  
الاوصاف لم يُعهد لها مثيل لكتاب سواه . ونكتفي بهذه الجولة مع الادلة  
في تقرير واثبات ان القرآن معجزة خارقة بل انها اعظم المعجزات ثبوتاً  
واعجازاً . والله اعلم .

ثالثا : صفات المعجزة القرآنية وخصائصها .

ان الحديث عن صفات المعجزة القرآنية يطول كثيرا ولذا نكتفي  
بطرف من هذه الصفات وتلك الخصائص لعلها تكون انموذجا ونجاسا على  
غيرها .

اخرج الدارمي في سننه حديثا جاء فيه . . . . . كتاب الله فيه نبأ  
ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذي من تركه

(١) فتح الباري - لابن حجر (١٣: ٢٤٨) .

من جبار قصه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله فهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الالهواء ولا تلتبس به الالسننة ولا تشبع منه الملما ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تقضى عجائبه . . . .  
(١)  
الحديث .

فهذا الحديث يبين بعض خصائص القرآن الكريم ومثل هذا كثير مما جاء في فضائل القرآن نضرب عن ذكرها صفحا خشية الاطالة .

وقد يظهر للناظر في كتاب الله كثير من هذه الخصائص والتي تطرق بعض الملما الى ذكر جانب منها فمن ذلك ما اشار اليه الخطيب حيث قال عن المعجزة القرآنية : انها ذات وجود ذاتى مستقل . . . تظهر وتتجلى حيث يلقاها الناس او تلتقى هى بالناس . فى اى زمان وفى اى مكان ، و دون ان يكون النبى معها . وعلى هذا نستطيع ان نقول ان المعجزة الاسلامية لها ذاتيتها وشخصيتها المستقلة عن الرسول الذى جاء بها ، ومن هنا كان لها هذا البقاء الممتد مع الزمن ، والمتناهي مع اجيال الناس جيلا بعد جيل ، مادامت الانسانية تحيا فى هذه الحياة ، وما دام فى الانسانية من يعرف اللسان العربى ويذوق طعموم اللغة العربية ، ويميز بين مذاقاتها .  
(٢)

---

(١) سنن الدارنى - للدارنى (ص ٤٢٥) .

(٢) اعجاز القرآن - عبدالكريم الخطيب (ص ٢١-٢٢-٢٣) .

ويقول سيد قطب رحمه الله : ان الالهام القرآني يمتاز بالتمبير عن قضايا ومدلولات ضخمة في حيز يستحيل على البشر ان يعبروا فيه عن مثل هذه الاغراض، وذلك باوسع مدلول وانق تمبيره واجمله واحياه ايضا مع التناسق العجيب بين المدلول والجملة والالهام والظلال والجو . ومع جمال التمبر دقة الدلالة في آن واحد بحيث لا يفنى لفظ عن لفظ في موضعه ، وبحيث لا يجوز الجمال على الدقة ولا الدقة على الجمال . ويبلغ من ذلك كله مستوى لا يدرك اعجازه احد ، كما يدرك ذلك من يزاوون فن التمبر فعلا ، لان هؤلاء هم الذين يدركون حدود الطاقة البشرية في هذا المجال . ومن ثم يتبينون بوضوح ان هذا المستوى فوق الطاقة البشرية قطعا .

فهذا القرآن ليس الفاظا وجمادات يحاول الانس والجن ان يحاكوها . . . هو كالروح من امر الله لا يدرك الخلق سواه الشامل الكامل ، وان ادركوا بعض اوصافه وخصائصه وآثاره (١) .

وهكذا نرى ان خصائص هذه المعجزة تجل عن المد والتبيين ولو اطلقنا للقم المنان لم نبلغ المقصود ولم ندرك الغاية . وفي هذا الكفاية . والله اعلم .

(١) ظلال القرآن - سيد قطب (٣: ١٧٨٧) ، (٤: ٢٢٤٩ - ٢٢٥٠) .

رابعاً : الاعجاز القرآني .

( أ ) ثبوت الاعجاز في ذات القرآن :

لعلك تذكر ما قلناه عند الحديث من ادلة ثبوت المعجزة وانا لـم  
نقرر انها معجزة الا بعد تقرير ان الاعجاز في ذات القرآن وقد سبق تفنيده  
القول بالصرفة التي تقتضي ان الاعجاز خارج من ذات القرآن مما لا داعي  
لاعادته .

واعلم ان الاعجاز اما ان يتعلق بالنظم من حيث فصاحته وبلاغته ويتعلق  
بمعناه ولا يتعلق به من حيث مادته فان مادة الفاظ العرب والفاظه الفاظهم  
قال تعالى : " قرآنا عربيا تنبيها على اتحاد المنصر وانه منظم من عسسين  
(١) ما ينظمون به كلامهم .

فكفار العرب لم يمكنهم قط ان ينكروا ان رصف القرآن او نظمه وفصاحته  
متلقى من قبل محمد عليه السلام ، فانما تحدت <sup>وولاه</sup> يمثل ذلك وعجزت فيسه  
علم كل فصيح ضرورة ان هذا نبي يأتي بما ليس في قدرة البشر الاتيان به  
الا ان يخص الله تعالى من يشاء من عباده ، وهذا هو القول الذي طليه  
الجمهور الحذاق ، وهو الصحيح في نفسه ، وان التحدى انما وقع <sup>بـ</sup> بنظمه

---

(١) روح البيان - للجروسوي (٩ : ٢٠٢) .

وضحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه .

ووجه اعجازه : ان الله تعالى قد احاط بكل شىء علما ، واحاط بالكلام كله علما فاذا ترتيبت اللفظة من القرآن علم باحاطة اى لفظة تصلح ان تبين الايتين . وتبين المعنى بعد المصنى ، ثم كذلك من اول القرآن الى آخره والبشر معهم الجاهل والنسيان ، والذهول ، ومعلوم ضرورة ان بشرا لم يكن قط محيطا . فهذا جاء نظم القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا النطق يبطل قول من قال : ان الحرب كان فى قدرتها ان تأتى بمثل القرآن ، فلما جاء محمد عليه السلام صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه .<sup>(١)</sup>

#### ( ب ) وجه الاعجاز :

ليس القصد عندما نتحدث عن وجه الاعجاز ان نذكرها على سبيل التفصيل والاسهاب ، فان ذلك يحتاج الى كتب ومؤلفات ولكن القصد هسوان نلقى بعض الاضواء على هذا الجانب لتستبين لنا الطريق عند تقرير هـرق المادة لما بينهما من الصلة والترابط .

ولقد ذكر العلماء وجه الاعجاز واخذوا فى تمدادها واكثرها من ذلك حتى قيل ان من وجه الاعجاز اسرار لا تدرك . ولكن اذا تأملنا فسى

( ١ ) انظر مقدمتان فى علوم القرآن ، مقدمة كتاب المبانى ومقدمة ابن عطية

القرآن نفسه وجدنا من تلك الوجوه ما هو في غاية الوضوح كالنظم والاسلوب والجزالة، وهذا الوجه يكاد يكون موضع اتفاق بين علماء الاعجاز . فقد ذكر القرطبي تعليقا على هذا فقال : قال ابن الحصار : وهذه الثلاثة النظم والاسلوب والجزالة، لازمة في كل سورة بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مجموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر وبها وقع التحدى والتمجيز .<sup>(١)</sup>

ومن آيات التحدى ما يشير الى ذلك وهو قوله تعالى : " ام يقولون افتراه قل فأتوا بمشر سور مثله مفتريات " . . . الآية<sup>(٢)</sup>

فقوله مفتريات اشارة الى ان المطلوب مماثل للاسلوب العجيب والنظم البديع وان خلت من صحة المعاني . كما اختاره بعض العلماء في تقرير التحدى به في هذه الآية فقد جاء في المعجزة الخالدة : قال البقاعي رحمه الله عند تفسيره هذه الآية من سورة هود : " مفتريات " : اي انكم قد عجزتم عن الاتيان بسورة، اي قطعة واحدة . آية او آيات من مثله، فيما هو طيه من البلاغة والاخبار بالمفاهيم والحكم والاحكام والوعد والوعيد والامثال، وادعيتم مكابرة انه مفترى فارغ من الحكم، فأتوا بمشر مثله فليس

(١) راجع الجامع لاحكام القرآن - للقرطبي (١ : ٦٤) .

(٢) سورة هود : ١٣ .

مجرد البلاغة غير ملتزمين بحقائق المعاني وصحة المباني (١) .

وإذا كان هذا من الوجوه الواضحة فانا نجد الاخبار بالغييب فيما كان وما يكون من الوجوه الظاهرة أيضا التي يدركها الانسان بداهة . وهكذا الوجوه تتدرج في الظهور والوضوح الى حد الاشتباه والاختفاء في بعضها .

" ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الاعجاز فنونا ظاهرة وخفية

من حيث اللفظ ومن جهة المعنى . . . فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يحسب

ولا يداني فقد اخبر عن مفييات ماضية كانت ووقعت طبق ما اخبر سوا بسوا (٢) .

ويقول سيد قطب رحمه الله : فليس هو اعجاز اللفظ والتعبير واسلوب

الاداء وحده ، ولكنه الاعجاز المطلق الذي يلصه الخبرا في هذا وفي

التنظيم والتشريعات والنفسيات وما اليها (٣) .

والذي يبدو لي ان وجوه الاعجاز تتعدد في القرآن الكريم فبعضها

واضح وبعضها خفي وبعضها اشد خفاء .

وقد عرف بعض المؤلفين الوجه المعجز فقال : " كل مزية في نظم

القرآن او معانيه خارجة عن طاقة المخلوق " ونريد بذلك : كل وصف امتاز به

---

( ١ ) المعجزة الخالدة - حسن ضياء الدين (ص ١٥٥) .

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (١ : ١٠٥) .

( ٣ ) ظلال القرآن - سيد قطب (٣ : ١٧٨٥) .

القرآن عن غيره حتى اعجز المخلوقات عن محارضته (١) .  
فالخلاصة انما ان الوحه الممجز لا يدان برأع فيه هذا الوصف عند تقريره  
من وجوه الاعجاز وهو عدم التوصل الى مثله من المخلوقين ، والا لم يكن حينئذ  
خارقا للمادة . والله اعلم .

#### خامسا : وجه خرق المادة في القرآن .

وبعد ما تقر ان الاعجاز في القرآن يأتي على وجوه متعددة نستطيع ان  
نقول : ان خرق المادة يأتي متعددا تبعا لوجوه الاعجاز ، فكل وجه  
معجز ثبت له وصف الاعجاز هو بلا شك خارق للمادة . وقد ذكر الرمانسي  
خرق المادة في القرآن بناء على قنون التدرج في الظهور فقال : واما  
نقض المادة فان المادة كانت جارية بضروب من انواع الكلام معروفة ومنها  
الشعر ومنها السجع ومنها الخطب ومنها الرسائل ومنها المنثور الذي يدور  
بين الناس في الحديث ، فاتي القرآن بطريقة مفردة خارجة عن المادة لها  
منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة (٢) .

وقال السيوطي في كتابه الاتقان : وخرقه المادة في اسلوبه وبلاغته  
واخباره بالمفنيات فلا يمر عصر من الاعمار الا ويظهر فيه شيء مما اخبر به

---

( ١ ) المعجزة الخالدة - ضياء الدين ( ص ٢٣٣ ) .

( ٢ ) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن " النكت " - للرمانسي ( ص ١١١ ) .



انه سيكون يدل على صحة دعواه (١).

فالذي يبدو من كلام العلماء في نقض العادة في القرآن الكريم انه

يتبع وجوه الاعجاز كما اوضحناه آنفا .

فالمحصل بعد هذا ان خرق العادة في القرآن يتكون من وجوه

وانه لا يمكن حصر تلك الوجوه كما لا يمكن حصر وجوه الاعجاز ولا شك ان

هذا سر من اسرار القرآن فهو المعجزة الخالدة العامة المطلقة في الزمان

والمكان والاعجاز . والله اعلم . .

---

(١) انظر الاتقان - للسيوطي (٢: ١١٧) .

المعجزة الحسية \*

انشقاق القمر \*

أدلة المعجزة من الكتاب والسنة :

أ - أدلة الكتاب :

قال تعالى : " اقتربت الساعة وانشق القمر - وان يروا آية يعرضوا ويقتلوا  
سحر سحر - وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر " . ( ١ )

ب - أدلة السنة :

لقد جاءت السنة بالأحاديث الصحيحة في شأن هذه المعجزة من طرق  
شتى وبأساليب مختلفة ولكنها متكاملة ومتظافرة على نتيجة واحدة . ولما  
كانت هذه الأحاديث قد بلغت من الكثرة بحيث لا يلزم استقصاءها  
بجميع طرقها فقد رأيت الاكتفاء بمجموعة مختارة تساعد على كشف وبيان  
حقائق هذه المعجزة .

روى البخارى في صحيحه بسنده . . . . عن عبد الله بن مسعود رضى الله  
عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال النبى  
صلى الله عليه وسلم اشهدوا .

وروى . . . . عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه حدثهم أن أهل مكة  
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القصر .  
وروى أيضا . . . عن ابن عباس رضى الله عنهما أن القمر انشق في زمان  
النبي صلى الله عليه وسلم . ( ١ )

وفى صحيح البخارى . . . . عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن أهل مكة  
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى  
رأوا حراء بينهما . ( ٢ )

وكذا . . . . عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم اشهدوا وفى رواية أخرى قال انشق القمر ونحن مع النبي صلى  
الله عليه وسلم فصار فرقتين فقال اشهدوا واشهدوا . ( ٣ )

فهذه أحاديث من الصحيحين وقد ورد غيرها فى بعض كتب السنة  
الأخرى فنبها ما رواه الترمذى فى جامعه . . . . عن ابن مسعود جاء فيه

---

( ١ ) صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٥١ وصحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٥٨

ط الأولى سنة ١٣٧٥ هـ دار احياء الكتب العربية

( ٢ ) صحيح البخارى ج ٥ ص ٦٢

( ٣ ) صحيح البخارى ج ٦ ص ١٢٨ وكذا مسلم ج ٤ ص ٢١٥٨ ط الأولى

سنة ١٣٧٥ هـ

فانشق القمر فلقتين فلقة من وراء الجبل وقلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا يحنى اقتربت الساعة وانشق القمر .

وكذا ما رواه . . . . عن أنس قال سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بحكمة مرتين فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر . يقول زاهد .

وفى رواية للترمذى أيضا عن محمد بن جبير بن مطعم : فقال بعضهم لكن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم . (١)

وزاد رزين "فكانوا يطلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم" . (٢)

وبهذه الأدلة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة نكتفى بما ورد فيها فالسـ

ماحثها فى الفقرات التالية :

ماحت الأدلة :

أولا : شهود المعجزة ووقوعها :

أ - وحى النصوص :

لقد ثبتت هذه المعجزة بنص القرآن وصریح الاحاديث الصحيحة الآتفة الذكر وإذا نظرنا الى نص القرآن وجدنا التناسق اللفظى والمعنوى يشهد بوقوع هذه المعجزة فقله تعالى " اقتربت الساعة" صريح فى أن الساعة لم تقع بعد

(١) جامع الترمذى ج ١٢ ص ١٧٥ / ١٧٦

(٢) جامع الاصول - لابن الاثير الجزرى ج ١١ ص ٣٩٨

وهكذا الحال . وقوله : " وانشق القمر " صريح فى وقوع الانشقاق لأن الفمسل  
ورد بصيغة الماضى ، ولم توجد قرينة نظمية تصرف اللفظ عن ظاهره ولم تقم قرينة  
عقنية تحيل وقوع الانشقاق ، ثم يأتى السياق فى تمام الاتساق وذلك فى قوله  
تعالى " وان يروا آية يمرضوا ويقطوا سحر مستمر - وكذبوا واتبعوا أهواءهم . . )  
فهذا السياق يشير الى وقوع المعجزة وليس فيه - فيما يبدو - ما ينافر بين  
المعنى وعلى ما سبق جاءت الاحاديث تؤكد هذا المعنى وتنقل صورة مرئية  
حقيقية لهذا الانشقاق ، وقد تضمن كل حديث جزء من الصورة ومجموع هذه  
الاحاديث تتكامل الصورة وكأن القارىء ينظر الى هذه الصورة الرائعة والمعجزة  
الباهرة .

#### ب - أقوال المفسرين :

يقول الطبرى : وكان ذلك - أى انشقاق القمر - فيما ذكر على عهد  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحكة قبل هجرته الى المدينة وذلك أن كهار  
أهل مكة سألوه آية فأراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر آية حجة على صدق  
قوله وحقيقة نبوته فلما أراهم أعرضوا وكذبوا وقالوا هذا سحر مستمر . ( ١ )  
وقال ابن كثير : وقوله تعالى " وانشق القمر " قد كان هذا فى زمان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، كما ورد ذلك فى الأحاديث المتواترة بالأسانيد  
الصحيحة وقد ثبت فى الصحيح عن ابن مسعود أنه قال " خمس قد مضى الروم  
والدخان واللزام والبطشة والقمر " وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق

( ١ ) انظر جامع البيان - للطبرى ج ٢٧ ص ٥٠ ط بولاق سنة ١٣٢٨ القاهرة

القمر قد وقع في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان احدى المعجزات الباهرات . ( ١ )

ويقول الرازي : والفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق ، وحصل فيه الانشقاق ، ودلت الأخبار على حديث الانشقاق وفي الصحيح خبر مشهور رواه جمع من الصحابة وقالوا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الانشقاق بعينها معجزة ، فسأل ربه فشقه وضي . ( ٢ )

وهكذا نجد أقوال الفسرين متوافقة على أن القمر قد انشق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

#### ثانيا : هيئة المعجزة حال ظهور الاعجاز :

من البديهي أن محل ظهور الاعجاز هو ذلك الكوكب المعروف بالقمر وهو أقرب الكواكب الى الأرض والذي يبلغ حجمه واحد في الخمسين من حجم الأرض كما هو معروف في العلم الحديث . ( ٣ )

هذا هو حاله قبل ظهور الاعجاز ، أما بعد ظهور الاعجاز فيه فقد جاءت النصوص تبين الاوصاف والهيئات التي كان عليها وأول خصيصة من الاعجاز الانشقاق : وهو انفصال بعضه عن بعض حتى صار فرقتين وقد ورد لفظ الانشقاق بصيغة الماضي وذلك في النص القرآني وكذا في أكثر الروايات ، وفي

( ١ ) راجع تفسير القرآن العظيم - لابن كثير ج ٦ ص ٤٦٩

( ٢ ) انظر التفسير الكبير - للرازي ج ٢٩ ص ٢٨

( ٣ ) انظر الظك العام - سيرهبرت ص ١٥٤ / ١٧٧

بمض الروايات : فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء<sup>(١)</sup> بينهما .

وفى رواية أخرى فانشق القمر فلتقتين فلتقة من وراء الجبل وفتقة من دونه .  
فهذه أوصاف لهيئة ظهور الاعجاز وهي تؤكد بهذا وقوع المعجزة وأنها بميدة  
عن الشك والتخييل ومغالطة الحس .

يقول الجسر : ان الروايات الصحيحة التي نقل لنا فيها تلك المعجزة  
تفيد أن القمر انشق فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه والمراد بذلك أنه صار  
بمراي الراى أن فرقة منه فوق الجبل أى فى أفقه لا بمعنى أنها ركزت على نفس  
الجبل وفرقة دونه أى فى مقابلته لا بمعنى أنها تحت الجبل ، وهكذا يقول  
الواحد منا قد رأيت القمر فوق الجبل وغلفه وفوق البحر والحال أن القمر ليس  
كذلك وانما مراد ، التمييز عن كيفية الروئية له فلا يقال ان القمر جسم كبير جدا  
دون أرضنا بقليل - طى ما يقوله طماء الهيئة - فلا يمكن أن فرقة منه توضع على  
نفس جبل صغير من جبال الأرض ويسمى ذلك الجبل وفرقة منه تكون تحست  
الجبل بالفعل لأن هذا غير مراد كما علمت وانما نصت الرواية على كيفية هذه  
الروئية لتفيد أن الفرقتين من القمر قد تباعدتا عن بعضهما حتى لا يكون  
للمشركين اشتباه فيما لو كانتا متقاربتين فيقطنون ان روئيتنا انشقاها هي من غلط  
الحس والتخييل الذى لا أصل له فى الواقع ومن المعلوم أن القادر على شق  
القمر فرقتين هو قادر على تباعدهما ذلك التباعد ثم ضمهما لبعضهما .<sup>(٢)</sup>

(١) حراء : جبل معروف بمكة المكرمة

(٢) انظر الحصون الحديدية - للجسر - ضمن رسالة التوحيد لمحمد عبده

ثالث : خرق الحادة في المعجزة :

لا شك أن خرق الحادة ورد صريحا في الآية الكريمة " اقتربت الساعة وانشق القمر " وكذا في الاحاديث الصحيحة قد تكرر لفظ الانشقاق في عدة روايات وجاءت القرائن والخواصفت لتؤكد هذا الخرق لهذا الجرم العظيم والكوكب الهائل ولم يمهّد في النظام الكوني أنه وقع هذا الخرق من قبل لأحد من النبيين غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فياله من معجزة وباله من خارق !!! .

الاعتراض على وقوع المعجزة :

لما كان هذا الاعتراض لا يعتمد على حجة نظمية أو عقلية مقننة فقد استحسنت تدبيره في نهاية المباحث وان كان لا يجب مناقشته الا أن مناقشته من باب التنزل مع القضايا .

والقائلون بهذا الاعتراض ينكرون وقوع الانشقاق لمدة أمور قد لا تتهبض لهم في اقامة الدعوى واثبات الحجة : وهم على فئات :

الفئة الاولى : من قال بجواز الانشقاق عقلا ولكن هذا سيحدث في المستقبل .

يقول الأوسى : روى عن الحسن أنه قال : هذا الانشقاق بعد النفخة

الثانية والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع وروى ذلك عن عطاء أيضا (١) .

وقد أجاب عن هذا التأويل الشيخ محمد ابوزهره في كتابه خاتم النبيين فقال :

---

(١) راجع روح المعاني - للأوسى ج ٢٧ ص ٧٦٦ / ٧٧



ان انشاق القمر ثبت بلفظ الماضي مما يدل على حكاية الواقع لا ذكر المتوقع ،  
 فان اللفظ القرآني يؤخذ بظاهره ما لم توجد قرينة من حقيقة تثبت بالا جماع  
 والمعلم الضروري . أو من قضايا العقل الماثوثة التي لا مجال للريب فيها . .  
 وطى ذلك نقرر أنه وقع في الماضي في عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم  
 لأن قوله تعالى : " اقتربت الساعة وانشق القمر " عبر عن انشاق القمر بلفظ  
 الماضي الدال على الوقوع في زمن ماضى ، وتخريجها على أن الماضى أريد به  
 المضارع وأنه سينشق تخريج للفظ بتفسير ظاهره الذى يدل عليه القرآن بظاهره  
 لا بدله من مسوغ يوجب ذلك التخريج . ويكون قرينة دالة على أن اللفظ أريد  
 به غير ظاهره . ( ١ )

ويقول ابن الجوزى : ولأن قوله : " انشق " لفظ ماضى ، وحمل لفظ الماضى  
 على المستقبل يفتر الى قرينة تنقله ودليل ، وليس ذلك موجودا . ( ٢ )  
 أقول : وأنا أشك فى نسبة الرواية الى الحسن وعطاء وطى فرض صحتها فطاهرو  
 التأويل فى الاحاديث الصحيحة الصريحة والتي منها ما رواه البخارى بسنده  
 . . . عن عبد الله بن مسعود قال : مضى خمس الدخان والروم والقمر والبطشة  
 والليزام . ( ٣ )

والذى يبذ وأن لا يصح لها تأويل لصراحتها اللهم الا أن يقال ان تلك

( ١ ) انظر كتاب خاتم النبیین - لأبى زهره ج ١ ص ٥٩١

( ٢ ) زاد المسير فى علم التفسير - ابن الجوزى ج ٨ ص ٨٨

( ٣ ) صحيح البخارى ج ٦ ص ١٠٩ ط . الفجالة الجديدة الناشر مكتبة النهضة

الاحاديث الصحيحة المتكاثرة باظلة وهذا لاشك طعن في أصول الشريعة  
والميان بالله . ثم ان سياق الآيات يرد ذلك التأويل .

يقول الزمخشري : وعن بعض الناس أن معناه : ينشق يوم القيامة وقطره  
” وان يروا آية يمرضوا ويقولوا سحر مستمر ” يرد به وكفى به راداً .<sup>(١)</sup>

ونكتفي بهذا في مناقشة الفئة الاولى ولعله قد تبين ضعف التأويل  
وعدم استقامته .

الفئة الثانية : المنكرون حدوث الانشقاق والالتصام على الأجرام السماوية  
وهذا مذاهب الفلاسفة من الملاحدة الاقدمين الذي مبناه على التخربات العقلية  
البحثة التي كشف العلم الحديث عن بطلانها وفسادها وحول هذا قال أحد  
الباحثين : بينما أنت تسمع وتقرأ أن العلم الحديث أثبت أن القمر كوكب صلب  
ويشبه تركيبه تركيب الارض الى حد بعيد وفيه الجبال والأودية ، تطلع على رأى  
ملاحدة المتفلسفة الاقدمين ، أن الكواكب لا تقبل الخرق والالتصام فتزرى  
نجواهم كل ازدياء . فقد ثبت بالتواتر - وهو يفيد العلم اليقيني أن القمر  
قد انشق فلقين لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى ظهر الجبل بينهما .  
وجاء العلم الحديث يقيم دلائل لا تقبل النقاش على أن القمر جرم صلب  
شبيه بالارض ، فما يحتمل حدوث فيها من انشقاق والتصام لا يستغرب حدوثه  
فيه . وكثيراً ما شاهد الانسان انشقاها جزئياً في الارض بحمل البراكين ونحوها

(١) الكشاف - الزمخشري ج ٤ ص ٢٦

فالانشقاق الكليّ فيها ليس مستحيلا . فكيف بالقمر الذي يصفر الارض بتسع  
وأربعين مرة ، ثم أليس الله تعالى الذي خلقه وسيره في فلكه بقادر على شقه  
ليكون آية للناس تهديهم صراط الله الذي نصبه لسعادة عباده في خاتم  
أديانه وأعمها ؟ بل انه قادر على تهديده أو على شقه حين يشاء لحكمة  
بالغة فذلك تقدير المميز الحكيم . ( ١ )

ويقول الألويسي بحمد النقاش مع الحنكرين : والحاصل أنه ليس عند الحنكر  
سوى الاستبعاد ولا يستطيع أن يأتي بدليل على الاستحالة الذاتية ولو  
انشق ، والاستبعاد في مثل هذه المقامات قريب من الجنون عند من له عقل  
سليم . ( ٢ )

الفئة الثالثة : وهم الذين يستبعدون أن يكون القمر قد انشق وذلك  
لأمر أو شبهه قد تكون موضع نظر وهذا مذاهب بعض الملاحدة وقد يخطر على بعض  
النفوس لاسيما بعد أن كشف الحلم الحد يث عن أهوال القمر وأنه كوكب عظيم .  
وقد ذكر الألويسي هذه الشبه وأجاب عنها فقال : وقال بعض الملاحدة : لو  
وقع لنقل متواترا واشتراك أهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة  
لأنه أمر محسوس مشاهد والناس فيه شركاء والطباع حريصة على رواية الضريب ونقل  
ما لم يمهده ، ولا أغرب من انشقاق هذا الجرم العظيم ولم يمهده أصلا في الزمن  
القديم ولو كان له أصل لنجد أيضا في كتب التسيير والتنجيم ولذكره أهمل

( ١ ) انظر الحمزة الخالده - حسن ضياء الدين ص ٥٧

( ٢ ) راجع روح الممانى - للألويسي ج ٢٧ ص ٧٦

الأرصاد فقد كانت موجودة قبل الهعثة بكثير وطباقتهم على تركه وأغفاله مع جلاله شأنه ووضوح أمره مالا تجوزه العاده ، وأيضاً لا يحقل سبب لخرق هذا الجرم العظيم وأيضاً خرقه يوجب صوتاً هائلاً أشد من أصوات الصواعق المهلكة بأضفاف مضاعفة لا يبعد هلاك أكثر أهل الأرض منه ، وأيضاً متى خرق وصار قطعيتين ذهب من قوة التجاذب كالجبل إذا انشق فيلزم بقاؤه منشقاً ولا أقل من أن يبقى كذلك سنين كثيرة .

والجواب عن ذلك أنه وقع في الليل وزمان الغفلة وكان في زمان قليل وروئية القمر في بلد لا تستلزم رؤيته في جميع البلاد ضرورة اختلاف المطالع فقد يكون القمر طالما على قوم غائباً عن آخرين ومكسوفاً عند قوم غير مكسوف عند آخرين والاعتناء بأمر الأرصاد لم يكن بمثابته اليوم وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد والانشقاق لا تخطف به منازله ولا يتغير به سيره غاية ما في الباب أن يمسد في القطعة الشرقية قوة سيره لتحقق أختها الغربية ، وأي مانع من أن يخلق الله تعالى فيها من السرعة نحو ما خلق الله سبحانه في ضوء الشمس . . . . ولا يلزم أن يعلم سبب كل حادث بل كثير من الحوادث المتكررة المشاهدة لم يوقف على أسبابها كروئية الكواكب قريبة مع بعد ما الحفرط فقد ذكروا أنهم لم يقفوا على سببه ويكفي في ذلك عدم وقوفهم على سبب الإبصار بالعين على الحقيقة ولو أخبرهم صغبر بفرض أن لم يكن لهم أبصار بخواص البصر مع كونه قطعة شحم صغيرة معروفة أحوالها عند أهل التشريح لأنكروا عليه غاية الإنكار وكذبوه غاية التكذيب ونسبوه إلى الجنون . . . . وكون الخرق يوجب صوتاً هائلاً ممنوع فيما نحن فيه ومثلـه

نهاب التجاذب ، والأجسام مختطفة من حيث الخواص فلا يلزم اتحاد جرم القمر والأرض فيها ويمكن أن يكون احدى القطعتين كالجبل العظيم بالنسبة الى الأرض اذا ارتفع عنها بقاسر مثلا جذبتة اليها اذا لم يخرج عن حده جذبها . ( ١ )

أقول : ان هذه الشبه التي يراد بها ابطال معجزة الانشقاق ليست الا محاولة لخفض المعجزات للقوانين العقلية المعتادة ، وان كان الألويسي رحمه الله وقد أجاب على هذه الشبه مما شاة - كما يقول - مع هذا الجدل . وقد تذكر ما قد مناه في صحت المعجزة من الباب الأول حيث قلنا ان المعجزة معقولة بالنسبة لعدم استحالتها وأن العقل لا يحيل وقوعها ، وغير معقولة بالنسبة أن العقل قد لا يفهمها ولا يدرك أسبابها وأدوار تكوينها ان لو أدرك ذلك لأمكنه التوصل اليها فكان في ذلك ابطال للمعجزات وعلى هذا الاساس يقوم الرد على تلك الشبه العقلية المثارة .

أما الشبهة التي تقول : لو انشق القمر لنقل ذلك ولم يختص بأهل مكة فهذه الشبهة جديدة بالبحث .

ولم يذكروا ما جاء في رواية زين وهي أن أهل مكة كانوا يثقبون الركبان فيخبرونهم بالانشقاق فيكذبونهم . ( ٢ )

ويقول المؤرخ ابن كثير : وقد شوهد ذلك في كثير من بقاع الأرض . ويقال انه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند . وبنى بناء في تلك الليلة ، وأرخ بلياسة

( ١ ) انظر روح المعاني - للألويسي ج ٢٧ ص ٧٦

( ٢ ) راجع الادلة على انشقاق القمر لتتف على رواية زين

( ١ ) انشقاق القمر .

وذكر صاحب كتاب المعجزة الخالدة نصر فقال : وقد صحت لنا الابحاث الأثرية وثيقة تاريخية طرزة بهذا الشأن فقد عرّبت جريدة ( الانسان ) التي كانت تصدر في الاستانة مقالا عن الصحف الأجنبية ورد فيه " لقد عثر في الصين على بناء قديم مكتوب فيه أنه بُني عام ١٠٠٠ . الذي وقع فيه حادث سطاوي عظيم وهو انشقاق القمر نصفين ، فحسب الحساب فوافق سنة انشقاقه لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ( ٢ )

فهذه آثار تاريخية تنقل لنا انشقاق القمر فإنا يريدون بعد هذا النقل ؟ اللهم الا أن يقولوا لا بد أن يكون ذلك مستفيضا في كتب التاريخ وعلى السنة الناس فهذه مغالطة جدلية .

وان لو سلمنا - جدلا - أن حادث الانشقاق كان مستفيضا في كتب التاريخ وعلى السنة الناس ولم يرد في أصول الشريعة والزمناهم قبوله لم يقلوا ولقالوا ان هذه خرافات اعتاد المؤرخون نقلها وهي دارجة على السنة الناس . فكيف يطلبون الاثبات من طرق قد لا تكون موثوقة ويتركون الطرق الموثوقة والمصادر الاصيلية . وبهذا نكتفي في مناقشة هذه شبه المطارة التي لا تستحق أكثر من هذا . والله اعلم .

( ١ ) انظر البداية والنهاية " تاريخ ابن كثير " ج ٣ ص ١٢٠

( ٢ ) راجع المعجزة الخالدة - لحسن ضياء الدين ص ٥٨

” الباب الثالث ”

” كرامات الأَطِيَاءِ الـ\_\_\_\_واردة ”

فـ\_\_\_\_ى

” القرآن الكريم ”

## مباحث البسباب

### المبحث الأول :

كرامات السيدة مريم رضی اللہ عنہا .

### المبحث الثاني :

كرامات أصحاب الكهف .

### المبحث الثالث :

كرامة صاحب سليمان عليه السلام .



### • المحسنت الأولى •

#### • كرامات مريم الصديقة رضى الله عنها •

ان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . هذا هو الحال مع من يريد الله أن يرفعه درجة ويمن عليه بكرمه ، وهل أكرم من اصطفاه الله لعباده واجتباها لهدايتهم تلك هي الصديقة مريم ابنة عمران التي رفع الله من شأنها وأعلى من قدرها ، وقد جاء التنويه بهذا في سورة آل عمران فقال عز وجل " وان اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين " فياله من قدر وباله من شرف لقد أكرمها الله بالقربى وبأنواع من الكرامات تلك الكرامات التي لم تجرطى نهج الطبيعة وسنن المادة انها الكرامات الخارقة التي تحدث عنها القرآن الكريم والتي نريد بحثها وتبيانها بان الله تعالى وهبى كالتالى :

- وجود رزقها
- ظهور حبلها
- تبرئة ابنها في المهد لها

” الكرامة الأولى (١) ”

” وجود رزقها ”

آية الكرامة :

قال تعالى : ” فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكلمها زكريا

كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا

قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ” (٢)

مباحث الآية الكريمة :

أولا : قبول مريم وتأهيلها لهذه الكرامة .

لقد كان الحديث قبل هذه الآية الكريمة في شأن امرأة عمران - وهي

أم السيد مريم الصديقة - عند ما كانت حاملا بهبتها مريم ونذرت لربها ذلك

الحمل وكانت تتوقع أن يكون ذلك الحمل ذكرا ليتأهل لها نذرها فقالت ” رب

انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم ” (٣) ولما

وضعت وطمست أنها أنثى واختلف الأمل قدمت عذرها الى ربها مهينة فيه ضعف

الأنثى وقصورها عن الذكر ” قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت

وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم وانى أعيدتها بك ونزيتها من الشيطان

(١) لقد ذكر بعض العلماء أن السيد مريم تكلمت في المهمل وأن النخلة التي

كانت تساقط عليها الرطب نبتت في الحال ولما كانت هذه الامور غير ثابتة

بطريق صحيح من كتاب أوسنة اللهم الا بترك الآثار التي لا يبعد أن تكون

من الاسرائيليات ، فقد رأيت الا أدرج مثل هذه الامور ضمن الكرامات لعدم

ثبوتها أو حتى ما يشير الى خرق العادة فيها .

(٢) سورة آل عمران : ٣٧

(٣) سورة آل عمران : ٣٥

الرجيم<sup>(١)</sup> وقد علم الله منها صدق الاخلاص وحب الوفاء فأضفى على النذيرة  
هذا القبول الحسن وذاك التأهيل الكريم .

يقول الطبري في هذا القبول : تقبل مريم من أمها . . . بتحريها اياها لبيت  
القدس وخدمته وخدمة ربها . وفي قوله تعالى : " وانبتها نباتا حسنا " .  
يقول : فان معناه : وانبتها ربها في غذائه ورزقه نباتا حسنا حتى تمت فكلمت  
امرأة بالغة تامة .<sup>(٢)</sup>

ويرى ابن كثير أن الله تعالى : جعلها شكلا طيحا وبنظرا بهيجا وبسر  
لها أسباب القبول .<sup>(٣)</sup>

ويقول الألويسي : والحمى رضى بها مطبسة بأمر ندى قبول ، ووجه ندى  
رضا وهو ما يقيمها مقام الذكور لما اختلفت به من الاكرام ، ويجوز أن يكون  
تعمل بمعنى استعمل - كتمجل بمعنى استعمل - والمعنى فاستقبلها ربها  
وتلقاها من أول وهلة من ولادتها بقبول حسن ورباها تربية حسنة في عبادة وطاعة  
لربها قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنها . . . . . وقيل تعهد لها بما يصلحها  
في سائر أحوالها .<sup>(٤)</sup>

وفي هذا التأهيل التربوي الذي نالته السيدة مريم من ربها يقول المصطفى :

(١) سورة آل عمران : ٣٦

(٢) انظر جامع البيان - للطبري ج ٣ ص ٢٤١

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم - لابن كثير ج ٢ ص ٣٢

(٤) روح المعاني - للألويسي ج ٣ ص ١٣٨ / ١٣٩

وهذه التربية تشمل التربية الروحية والجسدية ، فقد نعى جسدها فكانت  
خير لدايتها جسدا وقوة ، كما ناطها صلاحا وعفة وسدا ان رأى . ( ١ )

والذى يبدو من ظاهر الآيات التى تحدثت عن قصة النذرعن حسال  
امراة عمران وهى تهتمل وتتضرع الى ربها وبما جاء فى آية الكرامة يتبين أن  
مريم طيها السلام قد حظيت بشئ من العناية الالهية التى تجل عن الوصف  
والتهيان لاسيما وأن التقبل جاء مقرونا بمنوان الربوبية فى قوله " فتقبلها  
ربها " وفى هذا اشارة الى كمال العناية وعظيم اللطف .

#### ثانيا : كقالة زكريا للسيد ه مريم طيها السلام :

ان سياق الآية الكريمة وصورة الفصل فى قوله تعالى : " وكلها زكريا "   
يشير ويؤكد أن كقالة زكريا لمريم طيها السلام من تمام العناية الفائقة التى  
حظيت بها السيد ه مريم عند ربها ، وأى فضل أكرم من أن تجعل فى بيت النبوة  
وفى جوار ذلك النبى الكريم زكريا طيه السلام . وقد كانت هذه الكقالة بتوفيق  
الله تعالى وتهيئته عند ما ساهم زكريا لينال تلك الكقالة اثر المخاصمة على ذلك  
يتضح هذا من قوله تعالى : " وط كنت لديهم ان يلقون أقلامهم أيهم يكفل  
مريم وط كنت لديهم ان يختصمون " ( ٢ ) .

وقد أورد البخارى رحمه الله حديثا فقال : باب القرعة فى المشكلات وقوله  
" ان يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وقال ابن عباس اقترعوا فجرت الاقلام مع

( ١ ) تفسير المرافى - للمرافى ج ٣ ص ١٤٥

( ٢ ) سورة آل عمران : ٤٤

الجربة وعال فلم زكريا الجربة فكلمها زكريا . . . . الحديث (١) .

وقد أبان الطبرى عن هذه الصاحمة وكيفيتها فقال : وكلمها الله زكريا بمعنى ضمها الله اليه ، لأن زكريا أيضا ضمها اليه بايجاب الله له ضمها اليه ، بالقرعة التى أخرجها الله له ، والآية التى أظهرها لخصومه فيها فجعله بها أولى منهم ، ان قرع فيها من شاحه فيها ، وذلك أنه بلسنا أن زكريا وخصومه فى مريم ان تنازعوا فيها أيهم تكون عنده ، تساهموا بقداحهم ، ورموا بها فى نهر الاردن فقال بمضى أهل العلم : رتب قدح زكريا فقام فلم يجربه الماء وجرى بقداح الآخرين الماء فجعل الله ذلك لزكريا أنه أحق المتنازعين فيها .

وقال آخرون : بل صعد قدح زكريا فى النهر وانحدرت قداح الآخرين مع جربة الماء وذهبت فكان ذلك له علما من الله فى أنه أولى القوم بها وأى الآمرين كان من ذلك ؟ فلا شك أن ذلك كان قضاء من الله بها لزكريا على خصومه بأنه أولاهم بها . وانما كان ذلك كذلك فانما ضمها زكريا الى نفسه بضم الله اياها اليه بقضائه له بها على خصومه عند تشاؤمهم فيها واختصاصهم فى أولاهم بها . (٢)

وانما قدر الله كون زكريا كظها لسماءتها ولتقتبس منه طماحها نافصلا وعلا صالحا . ولأنه كان زوج خالتها على ما ذكر ابن اسحق وابن جرير وغيرهما وقيل : زوج اختها ، كما ورد فى الصحيح \* فاذا بيحى وعيسى وهما ابنا الخالة (٣)

(١) صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٣٧

(٢) جامع البيان - للطبرى ج ٣ ص ٢٤١/٢٤٢

(٣) انظر الحديث فى صحيح البخارى ج ٥ ص ٦٧

وقد يطلق على ما ذكره ابن اسحق ذلك أيضا توسما ، فعلى هذا كانت فسى  
حضانة خالتها . ( ١ )

وقد ذكر ابن كثير أن الامام مالك رحمه الله تعالى قال : بلغنى أن عيسى  
ابن مريم ويحى بن زكريا عليهما السلام ابنا خاله . ( ٢ )  
والأظهر أن ما ورد فى الصحيح هو الأصح وعلى توجيه ابن كثير فلا اشكال  
فى المسألة . والله أعلم .

### ثالثا : المحراب الذى وقعت فيه الكرامة :

قال فى اللسان : المحراب : صدر البيت ، وأكرم موضع فيه ، والجمع

المحاريب وهو أيضا الشرفة .

وقال الزجاج فى قوله تعالى " وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب "

قال : المحراب أرفع بيت فى الدار ، وأرفع مكان فى المسجد قال : والمحراب  
ههنا كالشرفة .

وفى الحديث : أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث عروة بن مسعود رضى الله

عنه الى قومه بالطائف فأثامهم ودخل محرابا له فأشرف عليهم عند الفجر ثم أن

للصلاة ، قال : وهذا يدل على أنه غرفة يرتضى اليها . ( ٣ )

والذى يظهر أن المحراب فى اللغة يطلق على أرفع وأكرم مكان فى الدار وفى

المسجد . وهكذا فى علم التفسير فقد قال الطبرى : وأما المحراب : فهو مقدم

( ١ ) انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ج ٢ ص ٣٢

( ٢ ) المرجع السابق - لابن كثير ج ٤ ص ٤٤٧

( ٣ ) لسان العرب ج ١ ص ٣٠٥

كل مجلس ومصلى وهو سيد المجالس وأشرفها وأكرمها وكذلك هو من المساجد .<sup>(١)</sup>  
 وفي معنى المحراب الذى كانت تمكث فيه السيدة مريم يقول الألوسى : والمحراب  
 على ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما غرفة بنيت لها فى بيت المقدس  
 وجعلت بابها فى وسط الحائط وكانت لا يصعد عليها الا بسلم مثل باب الكعبة  
 وقيل المراد به المسجد ان قد كانت مساجد هم تسمى المحاريب ، وقيل اشرف  
 مواضعه ومقدما وهو مقام الامام من المسجد فى رأى .<sup>(٢)</sup>  
 والذى أرى أن المراد من المحراب فى قصة مريم أنه المرفقة الخاصة وليس  
 بالمسجد أو مكان من المسجد ، وانظر رأيت ذلك لكونه أليق بحال مريم وأزكى  
 وأطهر لها وهو أيضا مكان عبادتها ، وهذا موافق لما روى عن ابن عباس أنفا ،  
 والله أعلم .

#### رابعاً : نوع الكرامة وما هيبتها :

ان الاسلوب فى قوله تعالى " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها  
 رزقا " يشير الى تكرر هذه الكرامة بشكل مطرد .  
 يقول الألوسى تعليقا على اللفظ " كلما " : المعنى كل زمان دخل عليها أو كل  
 وقت دخل عليها فيه .<sup>(٣)</sup>  
 ويمد هذا فنقول ان الكرامة قد ذكرت صريحة فى الآية وهو " الرزق " وهذا  
 اللفظ يحتل المموم والابهام .

(١) انظر جامع البيان - للطبري ج ٣ ص ٢٤٦  
 (٢) راجع روح المعاني - للألوسى ج ٣ ص ١٣٩  
 (٣) روح المعاني - للألوسى ج ٣ ص ١٣٩/١٤٠

قال في اللسان : الرزق : معروف . والأرزاق نوعان :

ظاهرة للأبدان كالأقوات ، وباطنة للنفوس كالمعارف والمعلوم . ( ١ )

وقد توافقت الآثار على أن هذا الرزق هو فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة

الشتاء في الصيف .

فمن تلك الآثار ما رواه الطبري . . . عن ابن عباس في قوله تعالى " كلما دخل

عليها زكريا " قال : وجد عندها ثمار الجنة : فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة

الشتاء في الصيف ، وروى . . . عن الحسن قال : كان زكريا اذا دخل عليها

يمنى على مريم المجراب وجد عندها رزقا من السماء من الله ، وليس من عند

الناس وقالوا : لو أن زكريا كان يعلم أن ذلك الرزق من عنده لم يسألها عنه . ( ٢ )

وعند قوله تعالى " وجد عندها رزقا " يقول المراغي : وجد ألوانا من الطعام

لم تكن توجد في مثل تلك الأحيان . روى أنه كان يجد عندها فاكهة الصيف

في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ، وليس لدينا مستند صحيح من كتاب أوسنة

يوئيد هذه الروايات الإسرائيلية . ( ٣ )

وهذا هو الصواب إذ ليس لدينا ما يقطع بذلك ومن قال بما جاء في الروايات

فإنما أراد الجواز لا القطع ولذا قال سيد قطب : ولا نخوض نحن في صفة هذا

الرزق كما خاضت الروايات الكثيرة ، فيكفي أن نعرف أنها كانت مباركة بفيض من

حظها الخير وفيض الرزق من كل ما يحسن رزقا ، حتى ليمجب كآظها - وهو نبي -

( ١ ) لسان العرب ج ١٠ ص ١١٥

( ٢ ) جامع البيان - الطبري ج ٣ ص ٢٤٦

( ٣ ) تفسير المراغي - المراغي ج ٣ ص ١٤٥



من فيض الرزق ، فيسألها : كيف ومن أين هذا كله ؟ فلا تزيد على أن تقول  
 . . . هو من عند الله " . ( ١ )

والذى يبدو أن فيما قاله سيد قطب إشارة الى أن هذا الرزق متعدد  
 الأنواع متباين الاشكال وهذا ما يوحى به ظاهر النص الكريم . فقد قال ابوحيان  
 وفي قوله " رزقا " أتى به منكرا مشيرا الى أنه ليس من جنس واحد بل من  
 أجناس كثيرة لأن النكرة تقتضى الشيوع والكثرة . ( ٢ )

وقد اختار بعض الملماء هذا المعنى فقال : أى رزقا متجددا ، ما يراه  
 اليوم غير ما رآه أمس وغير ما سيراه غدا وهذا ما جعله - أى زكريا - يرى نفسه  
 أمام ظاهرة غريبة تطالع عينه فيها نغمات الله وأفضاله فيجد بين يديها كل  
 طيب كريم من الطعام . ( ٣ )

فالأظهر بعد هذا أن هذا الرزق كان متجددا ومتنوعا ولذا حسن  
 التعبير عنه بقوله تعالى " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا " .  
 وأما المناسبة بين ما احتله ظاهر اللفظ وبين ما وردت به الآثار فظاهرة وهى  
 أن الرزق يطلق على متعدد وكذا لفظ الفاكية فانها اسم جنس لأنواع متعددة  
 وقد تطلق الفاكية على ما يُتذّن به توسعا فهنا الاعتبار جاز أن يكون الرزق  
 ههنا بمعنى الفاكية ، والله أعلم .

( ١ ) ظلال القرآن - سيد قطب ج ١ ص ٢٩٢

( ٢ ) انظر البحر المحيط - لأبى حيان ج ٢ ص ٤٤٤

( ٣ ) التفسير القرآنى للقرآن - عبد الكريم الخطيب ج ٣ ص ٤٣٧

خاصا : غرق المادة في هذه الكرامة :

لم يكن غرق المادة في هذه الكرامة صريحا واضحا بالنص الكريم ولكننا نستشف ذلك من سياق الآية ومن قرائن الاحوال . وقد اعتبر بعض العلماء أن هذه الكرامة ليست غارقة للمادة وليس فيها قالت مريم حين أجابت على سؤال زكريا ما يشير الى أن هذه الكرامة من الخوارق يقول المصنف تعليقا على قوله تعالى : " قالت هو من عند الله " . . . . . وقد جرى الصرف في كل زمان بإضافة الرزق الى الله وليس في هذا دلالة على أنه من خوارق الماديات . ( ١ )

ولسنا نوافق المصنف على ما قال فإنه وإن جرى الصرف بنسبة الرزق الى الله تعالى لكن هذا يحتمل على أنه من عند الله بالأسباب والوسائط المعتادة ، أما فيما أجابته مريم فيحتمل على أنه من عند الله مباشرة بلا أسباب ولا وسائط معروفة . ثم ماذا يريد المصنف غير هذا الجواب أريد أن تقول مريم هو كرامة غارقة للمادة ؟ ! !

قال الخطيب وليس من جواب غير هذا الجواب - . . . . . هو من عند الله - يحبس تساؤل المتساظين ويندب ما ملأ أذنهم عجباً ودهشاً من هذه الآيات التي تنزل بين يدي مريم ، رزقا من السماء بلا انقطاع انه من عند الله ، وما كان من عند الله فلا مظار منه لمعجب أو دهش ! ! ( ٢ )

وقد ناقش الرازي هذه المسألة بما فيه الكفاية فقال : محصول ذلك الرزق

( ١ ) تفسير المصنف - للمصنف ج ٣ ص ١٤٥

( ٢ ) التفسير القرآني للقرآن - للخطيب ج ٣ ص ٤٣٧ / ٤٣٨

عندها إما أن يكون خارقاً للمادة ، أو لا يكون فان قلنا : انه غير خارق  
للمادة فهو باطل من خمسة أوجه :

( الاول ) أن على هذا التقدير لا يكون حصول ذلك الرزق عند مريم دليلة  
على علو شأنها وشرف درجتها وامتيازها عن سائر الناس بتلك الخاصية  
ومعلوم أن المراد من الآية هذا المعنى .

( الثاني ) أنه تعالى قال بعد هذه الآية " هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب  
لى من لدنك ذرية طيبة " والقرآن يدل على أنه كان آيساً من الولد بسبب  
شيخوخته وشيخوخة زوجته ، فلما رأى انخراق المادة فى حق مريم طمع  
فى حصول الولد فيستقيم قوله : " هنالك دعا زكريا ربه " أما لو كان الذى  
شاهده فى حق مريم لم يكن خارقاً للمادة لم تكن مشاهدة ذلك سبباً  
لطمعه فى انخراق المادة بحصول الولد من المرأة الشيخة الجاهلة .

( الثالث ) أن التكر فى قوله " وجد عندها رزقا " يدل على تعظيم حال ذلك  
الرزق ، كأنه قيل : رزقا ، أى رزقاً غريباً عجيباً ، وذلك انما يقيد المفروض  
اللائق لسباق هذه الآية لو كان خارقاً للمادة .

( الرابع ) هو أنه تعالى قال " وجميلناها وابنتها آية للمؤمنين " ولولا أنه  
ظهر طيبهما من الخوارق ، والا لم يصح ذلك .

فان قيل : لم لا يجوز أن يقال : المراد من ذلك هو أن الله تعالى خلق لها  
ولداً من غير ذكر ؟

قلنا : ليس هذا بآية ، بل يحتاج تصحيحه الى آية فكيف نحط الآية على ذلك

بل العراد من الآية ط يدل على صدقها وطهارتها وذلك لا يكون الا  
بظهور خوارق الماديات على يدها كما ظهرت على يد ولدها عيسى  
عليه السلام .

( الخامس ) ط تواترت الروايات به أن زكريا عليه السلام كان يجد عندها  
فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ، فثبت أن الذي ظهر  
في حق مريم عليها السلام كان فعلا خارقا للمادة . ( ١ )

فالخلاصة أن قرائن الاحوال التي ذكر الرازي طرفا منها شاهدة بأن كرامة  
الرزق خارقة للمادة ، وعلى هذا التقدير فيكون وجه خرق المادة فيها تجردا  
عن الاسباب والوسائط المادية التي تدخل في جلب الرزاق وتحضيرها ،  
والله أعلم .

---

( ١ ) التفسير الكبير - للرازي ج ٨ ص ٣٠

” الكرامة الثانية ”

” ظهور حملها ”

~~~~~

آيات الكرامة :

قال تعالى : ” اذا قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمسه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ” ثم قال تعالى :
” قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء ”
اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ” (١)

وقال سبحانه : ” واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا -
فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا - قالت
انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا - قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما
زكيا - قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا - قال كذلك قال
ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرنا مقضيا - فحملته فانتبذت
به مكانا قصيا ” (٢)

وقال تعالى : ” والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها
آية للعالمين ” (٣)

وقال عز وجل : ” ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا
وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ” (٤)

(١) سورة آل عمران ٤٥ / ٤٧

(٢) = مريم : ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢

(٣) = الانبياء ٩١

(٤) = التحريم : ١٢

وهكذا الآيات نراها وهي تكون وحدة موضوعية مبتدئة ببشارة الملائكة
لمريم عليها السلام الى أن حملت بينها عيسى عليه السلام فالى هذه الوحدة
الموضوعية :

أولا : بشارة الملائكة لمريم :

أ - القول فى مضمون البشارة :

ان المبشّر به فى النص الكريم هى الكلمة وهذا ظاهر من قوله تعالى

" ان الله يبشرك بكلمة منه " وهى مضمون البشارة فيما يبدو .

يقول الطبرى : وقوله " بكلمة منه " يعنى : برسالة من الله وخبر من عنده

وهو من قول القائل : ألقى فلان الى كلمة سرّنى بها بمعنى : أخبرنى خبرا

فرحت به .

وقد قال قوم : وهو قول قتادة : ان الكلمة التى قال الله عز وجل بكلمة منه

هو قوله : كن .

حدثنا بذلك الحسن بن يحيى . . . عن قتادة قوله " بكلمة منه " قال : قوله :

" كن فسماه الله عز وجل كلمته ، لأنه كان عن كلمته .

وقال آخرون . بل هى اسم العيسى سماه الله بها كما سمي سائر خلقه بما

شاء من الأسماء .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : الكلمة هى عيسى . حدثنا ابن

وكيع . . عن ابن عباس فى قوله " ان قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك

بكلمة منه " قال : عيسى هو الكلمة من الله .

ثم قال الطبرى : وأقرب الوجوه الى الصواب عندي : القول الأول وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله عز وجل برسالته وكلمته التى أمرها أن تلقيها اليها أن الله خالق منها ولدا من غير فعل ولا فعل ولذلك قال عز وجل " اسمه المسيح " فذكر ولم يقل اسمها فيؤنث والكلمة مؤنثة لأن الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذى هو بمعنى فلان وانما هى بمعنى البشارة فذكرت كنايةا كما تذكر كناية الذرية والدايه والألقاب فتأويل ذلك . . ان الله يبشرك ببشرى ثم بين عن البشرى أنها ولد اسمه المسيح . (١)

والذى يظهر أن الأقوال التى أوردها الطبرى محتمله كما بيد ومن قوله وأقرب الوجوه . . ولذا فقد استقرب منها القول الأول الى الصواب . وهو أن الكلمة بمعنى البشارة .

وأما الأوسى فقال : وإطلاق الكلمة على من أطلقت عليه باعتبار أنه خلق من غير واسطه أب بل بواسطة كن فقط على خلاف أفراد بنى آدم فكان تأثير الكلمة فى حقه أظهر وأكمل فهو كقولك لمن غلب عليه الجود مثلا : محض الجود - وعلى ذلك أكثر المفسرين . . . ومن الناس من زعم أن - الكلمة - بمعنى البشارة كأنه قيل ببشارة منه وييمده ظاهر قوله تعالى : " انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم " (٢)

(١) جامع البيان - للطبرى ج ٣ ص ٢٦٩ - ٢٧٠

(٢) سورة النساء : ١٧١

(٣) روح المعانى - للالموسى (٢ : ١٦٠)

وفيما قاله الألوسى رد على ما ذهب إليه الطبرى من أن معنى الكلمة

البشارة بالكلمة عند الألوسى تطلق على عيسى عليه السلام وكذا جاء فى روح

البيان ما يبين هذا المعنى فقال : أطلق على عيسى لفظ الكلمة بطريقتين

إطلاق السبب على المشبب لأن سبب ظهوره وحدوثه هو الكلمة الصادره منه

تعالى وهى كن وحدوث كل مخلوق وان كان بسبب هذه الكلمة لكن السبب

المتعارف للحدث لما كان مفقودا فى حق عيسى عليه السلام كان اسناد حدثه

الى الكلمة اتم وأكمل فجعل عليه السلام بهذا الاعتبار كأنه نفس الكلمة . (٢)

فملخص القول أن المراد بالكلمة ثلاثة أقوال كما ذكرها ابن الجوزى :

أحدها : أنه قول الله له " كن " فكان الثانى : أنها بشارة الملائكة مريم

بعيسى ، الثالث أن الكلمة اسم عيسى . (٣)

أقول : والذى أرى - والله أعلم - أن القول الأول هو الأولى بالقبول . ذلك

لأن الكلمة هى مضمون البشارة وأن عيسى عليه السلام هو مضمون الكلمة كما يؤتى

به النص الكريم ، أما القول الثانى فانه يستدعى أن يكون مضمون البشارة هى

البشرى فيكون من باب تفسير الشئ بنفسه ، وكذا القول الثالث لا يتفق مع

السياق فقد ذكر اسمه ولم تذكر ضمن الاسم فى قوله تعالى : " اسمه المسيح

عيسى بن مريم " واذ اغتريت القول الأول لما سبق بيانه فليس معنى ذلك تحديد

معنى الكلمة فقد يكون معناها كن وقد يكون توجه الارادة الالهية وقد يكون غير

(١) أن روح المصطفى - للألوسى - ص ٣٠٠ .

(٢) روح البيان - للبروسوى ج ٢ ص ٣٤ .

(٣) زاد المسير فى علم التفسير - ابن الجوزى ج ١ ص ٣٨٩ بتصرف .

ذلك كما أشار الى ذلك سيد قطب حين قال : الكلمة هي توجه الارادة ؟
الكلمة " كن " التي قد تكون حقيقة وقد تكون كناية عن توجه الارادة ؟ والكلمة
هي عيسى ، أو هي التي منها كينونته ؟ كل هذه بحوث لا طائل وراءها الا
الشبهات . (١)

فنهاية المطاف أنه لا يمكن تحديد معنى الكلمة على وجه الجزم وان كان
القول الأول أقرب لظاهر النص الا أنها تحتمل في ضمنه عدة معانى كلها فسى
جو من الفموض فالوقوف عند ظاهر النص أولى وأسلم من اقحامها من غير مستند .
والله أعلم .

ب - تعجب مريم مما تضمنته البشارة :

لقد ذكرنا فيما سبق أن ثمرة البشارة هي وجود عيسى عليه السلام من
غير أب وهذا هو محل التعجب عند السيدة مريم في قوله تعالى " أنى يكون لى
ولد " .

يقول الألوسى : يحتمل أن يكون الاستفهام مجازيا . والمراد التعجب من ذلك
والاستبعاد العادى ، ويحتمل أن يكون حقيقيا على معنى أنه يكون بتزوج أو
غيره . (٢)

والأظهر من سياق الآيات أن الاستفهام بمعنى التعجب ففى قول مريم :
" ولم يمسنى بشر " إشارة الى التعجب . والمسبب هنا كناية عن الوطء وهذا
نفى عام للتزوج وغيره . (٣)

(١) ظلال القرآن - سيد قطب ج ١ ص ٣٩٨

(٢) انظر روح المعانى - للألوسى ج ٣ ص ١٦٤

(٣) المرجع السابق - للألوسى - ج ٣ ص ١٦٤

وكذا في قوله " كذلك الله يخلق ما يشاء " ففي التعبير بالخلق إشارة

الى أن المفهوم من استفهام مريم هو التعجب .

يقول ابن الجوزي : انها قالت هذا تعجبا واستفهاما لا شكلا وانكارا . . .

. . . وعلى هذا الجمهور . (١)

وقد أشار الامام الرازي الى هذا المعنى فقال : (المسألة الأولى)

أنها انما تعجبت بما بشرها جبريل عليه السلام لأنها عرفت بالعادة أن
الولادة لا تكون الا من رجل والمادات عند أهل المعرفة معتبره في الأمور
وان جوزوا خلاف ذلك في القدرة فليس في قولها هذا دلالة على أنها لم تعلم
أنه تعالى قادر على خلق الولد ابتداءً وكيف وقد عرفت أنه تعالى خلق أباً
البشر على هذا الحد ولأنها كانت منفردة بالعبادة ومن يكون كذلك لا بد أن
يمرّف قدرة الله تعالى على ذلك . (٢) فالذي يظهر أن تعجب مريم كان من
باب التعجب من مخالفة المألوف الذي استحکم في نوايس الكون ومألوف الناس ،
وكذا التعجب من الداعي لهذا الخارق ولذا جاء البيان عن هذا وذاك في
قوله تعالى " هو على هين ولنجعله آية للناس " . والله أعلم .

ثانياً : مريم والروح :

أ - تمثّل الروح لمريم بشراً سوياً :

قال مجاهد والضحاك وقتادة وابن جرير ووهب بن منبه والسدي في قوله :

(١) زان المسير في علم التفسير - ابن الجوزي ج ١ ص ٣٩١

(٢) التفسير الكبير للرازي ج ٢١ ص ١٩٩

" فأرسلنا إليها روحنا " يعنى جبريل عليه السلام وهذا الذى قالوه هـ
 ظاهر القرآن . فانه تعالى قد قال فى الآية الأخرى " نزل به الروح الأمين
 على قلبك لتكون من المنذرين " (١) (٢)

وعند قوله تعالى " فتمثل لها بشرا سويا " يقول الألوسى: المراد فتصور
 لها بشرا سوى الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نموت آدمية شيئا نعم
 كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لأن عادة الملك اذا تمثل
 أن يتمثل بصورة بشر جميل كما كان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة
 دحية رضى الله تعالى عنه . أولا بتلاعها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع
 والعفاف ما لا غاية وراءه . (٣)

وما يؤيد أن جبريل هو الذى تمثل لمريم ما جاء فى الصحيح حين سئل
 النبى صلى الله عليه وسلم عن كيفية الوحي فقال : ويتمثل لى الملك أحيانا
 رجلا فيكلمنى فأعنى ما يقول " (٤)

(١) سورة الشمراء : ١٩٣/١٩٤ .

(٢) أنظر تفسير القرآن العظيم - لابن كثير ج ٤ ص ٤٤٥

(٣) راجع روح المعانى - للألوسى ج ١٦ ص ٧٥

(٤) صحيح البخارى - باب بدء الخلق ج ٤ ص ١٣٦

ب - عفة مريم وطهارتها :

ان الحد يث^{عفة} مريم وطهارتها يطول كثيرا . ذلك أن مريم عليها السلام قد مرت في مراحل حياتها بأدوار عطره فقد نذرت لربها خالصة لعبادته فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا ، ويكفي لمدحها والثناء عليها قوله تعالى : " يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين " وهكذا تتجلى العفة وتظهر الطهارة في أعنف الظروف حين توجد الدواعي وتتمدم الموانع فهذه مريم قد انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فكانت في خلوتها وانا بالطك في صورة بشر فألقى الجمال فلا تغلبها الشهوات ولا يفتتها الجمال بل تلجأ مستعينة بالرحمن مما حل في ساحتها وفأجثها في خلوتها .

يقول الألوسى عند قوله تعالى " انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا " وانا ذكرتة تعالى بمنوان الرحمانية تذكيرا لمن رآته بالرحمة ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه أو مبالغة للميانه به تعالى واستجلا بالآثار الرحمة الخاصة التى هي العصمة نعمة دمها . (١)

ويقول السعدى تنويه بمفقتها وتعليقا على قولها " ان كنت تقيا " أى ان كنت تخاف الله وتعمل بتقواه فاترك التعرض لى ، فجمعت بين الاعتصام بربها وبين تخويفه وترهيبه وأمره بلزوم التقوى وهى فى تلك الحالة الخالصة والشباب والحمد عن الناس وهو فى ذلك الجمال الباهر والبشرية الكاملة السويه ولم ينطق لها بسوء أو يتعرض لها ، وانا ذلك خوف منها . وهذا أبلغ

(١) أنظر روح المعانى للألوسى ج ١٦ ص ٧٦

ما يكون من العفة والبعد عن الشر وأسبابه وهذه العفة خصوصا مع اجتماع
الدواعي وعدم المانع من أفضل الأعمال . (١)

والحق أن مريم عليها السلام كانت عالية في العفة والطهارة ولذا فقد نوه الله
بشأنها في غير موطن بقوله تعالى " ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها " (٢)

ج - الحوار بين مريم والروح :

قد يكون الحوار بين مريم والروح - الذى تمثل لها بشر سويا - من باب
التعجب ومن كمال طهارتها والبعد عن مواقع التهم وذلك أن مريم حين رأت
الروح فى بشرية سوية استعانة بالله تعالى منه فأجابها الروح بقوله " انما
أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا " .

يقول الرازى فى ذلك : لما علم جبريل خوفها قال " انما أنا رسول ربك "
ليزول عنها ذلك الخوف ولكن الخوف لا يزول بمجرد هذا القول بل لابد من
دلالة تدل على أنه كان جبريل عليه السلام وما كان من الناس فهبنا يحتمل
أن يكون قد ظهر معجز عرفت به جبريل عليه السلام ويحتمل أنها من جهسة
زكريا عليه السلام عرفت صفة الملائكة فلما قال لها " انما أنا رسول ربك " أظهر
لها من باطن جسده ما عرفت أنه ملك فيكون ذلك هو العلم . (٣)

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان - للسعدي ج ٥ ص ٤٨

(٢) سورة التحريم : ١٢

(٣) أنظر التفسير الكبير - للرازى ج ٢١ ص ١٩٨

ونعود الى مسألة الحوار لنقول ان مريم لم تقف عند قول الملك " انما
أنا رسول ربك " .

وكأنها عليها السلام من فرط تعجبها وغاية استبعادها لم تلتفت الى
الوضف في قول الملك عليه السلام " لأهب لك غلاما زكيا " النافي كل ريبه وتهمه
وتبذته وراء ظهرها وأتت بالموصوف وحده وأخذت في تقرير نفيه على أبلغ وجهه
أى ما أبعد وجود هذا الموصوف مع هذه الموانع . (١)

ففي قولها " أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا " ما يشير
الى التعجب وحب البعد عن مواقع التهم ولذا جاءت الاجابه عليه بقوليسه :
" قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا " ففي
قوله " وكان أمرا مقضيا " ما يوجب وقف هذا الحوار وبهذا ينقطع الحوار وحق
له أن ينقطع لا سيما وقد ظهر لمریم الصديقه أن ذلك سيكون آية للناس وأنه
رحمة من الله . فما أجمله من حوار وما أجملها من نتيجته . والله أعلم .

ثالثا ووقع الكرامة لمریم المذراه :

أ - نفخ الروح :

وبعد أن انتهى الحوار وسلمت مريم للأمر المقضى يأتي دور نفخ الروح
وهذا الدور لم يذكر في سياق سورة مريم وانما نستقى ذلك من سور أخرى ولعل

(١) انظر روح المعاني - للألوسي ج ١٦ ص ٧٨

ما يشير الى ذلك في سورة مريم قول الطك " لأهب لك " وكأنه بهذه النسبه الى نفسه يشير الى تعاطي بمرض الاسباب ولعلها مباشرة أمور تتعلق بعمل مريم فقد قال ابن كثير أنه قد ذكر غير واحد من علماء السلف أن الطك وهو جبريل عليه السلام نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج فحملت بالولد باذن الله تعالى . (١)

ويقول الألويسي : واشتهر أن جبريل عليه السلام نفخ في جيبها فوصل أثر ذلك الى الفرج . (٢)

والحق أنه لا يوجد - فيما أعلم - دليل من كتاب أو سنة صحيحه ينسب على أن جبريل عليه السلام نفخ في جيب مريم عليها السلام وبإعادة النظر الى لفظ الروح في الآيات نجده في سورة مريم هو الذي تمثل بشرا سوا والظاهر والمشهور أن المراد به جبريل عليه السلام فهل الروح المذكور في سورة الانبياء والتحريم هو نفس الروح المذكور في سورة مريم فيكون معناه جبريل ؟ الواقع أن هناك تباين من حيث المعنى والمراد .

يقول سيد قطب : جاء في سورة التحريم " ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا " فهل كلمة " روحنا " التي في سورة مريم هي نفسها التي في سورة التحريم ؟ وهل مدلولها واحد ؟ نحن نميل الى أنها

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٧

(٢) انظر روح المعاني - للألويسي ج ٢٨ ص ١٦٤ .

ذات ملولتين : فهي هنا في السورة - يريد سورة مريم - تمنى جبريل الروح الأمين وهو رسول الله الى مريم أما في التحريم فتعني الروح الذي نفخ الله منه في آدم فاذا هو انسان ونفخ منه في فرج مريم فاذا البويضة حية مستعدة للنمو ونفسر حالة مريم بأن جبريل وهو الروح الأمين كان حاملا وموصلا لنفخة الروح العلوية من الله . ثم نعود فنقول : اننا لا ندرك شيئا لا عن ماهية الروح بمعنى جبريل ، ولا عن ماهية الروح بالمعنى الآخر فكله غيب (١) والأظهر أن الروح المنفوخ منها ههنا كالروح المنفوخ منها في قوله

تعالى في شأن آدم " فاذا سويته ونفخت فيه من روحي " (٢)

وعلى هذا المعنى يكون المراد من الروح معناه المعروف (٣) والاضافة الى

ضميره تعالى للتشريف ونفخ الروح عبارة عن الاحياء وليس هناك نفخ حقيقية - (٤)

وعلى اعتبار اتحاد لفظ الروح بمعنى جبريل تكون من ابتدائه وهناك نفخ حقيقه

واسناده اليه تعالى مجاز أي نفخنا فيها من جهة روحنا . (٥)

والذي أرى - والله أعلم - أن مسألة نفخ الروح على كلام المعنيين مسألة

غيبية ليس فيها دليل شافي ولا كيفية واضحة ولعل هذا هو السر في عدم ذكر

مسألة النفخ في سورة مريم مع أنها تضمنت تفاصيل قصة الحمل ما عدا مسألة

النفخ فان أدوار قصة الحمل ظاهرة مشاهدة لدى السيدة مريم بما فيها ظهور

(١) ظلال القرآن - سيد قطب ج ٤ ص ٢٣٠٦

(٢) سورة ص : ٧٢

(٣) يريد بالروح المعروف ذلك الروح الذي ندرك آثاره ونجهل ماهيتها والذي

قال الله فيه " قل الروح من أمر ربي " الاسراء : ٨٥ =

(٤) انظر روح المعاني للألوسي ج ١٧ ص ٨٨

(٥) المرجع السابق " ج ١٧ ص ٨٨

الحمل غير أنه يبدو أن دور النفخ كان في جوف من الخفاء حتى على مريم عليها السلام فإله أعلم بحقيقة الحال .

ب- ظهور الحمل :

لقد ثبت بالنص الكريم ظهور حمل السيدة المذراة بالسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وذلك في قوله تعالى " فحملته فانتبذت به مكانا قصيا " .

ولكن هل كان هذا الحمل مباشرة بمد نفخ الروح أم كان متدرج كما هو الممتد . يقول ابن كثير : اختلف المفسرون في مدة حمل عيسى عليه السلام فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر . وقال عكرمة ثمانية أشهر فالمشهور الظاهر ، والله على كل شيء قدير أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن . (١)

وذكر الألوسي في رواية عن ابن عباس أنها تسعة أشهر كما في سائر النساء وهو المروي عن الباقر رضي الله تعالى عنه لأنها لو كانت مخالفة لهن فسي هذه المادة لتناسب ذكرها في أثناء هذه القصة الغريبة . (٢)

ولأعلم مستندا صحيحا ينص على مدة الحمل والأظهر أنه كان حملا عاديا وحمله على الاصل والممتد أولى إذ لم يرد فيه ما يثبت خلافه بدليل

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٧ / ٤٤٨

(٢) أنظر روح المعاني - للألوسي ج ١٦ ص ٧٩

قطعى ، ولأنه لو كانت خرقت المعتاد فى مدة حملها لكان فى ذلك أكبر الأثر فى نفى الشبهة عنها التى وجهها قومها اليها . والله أعلم .

رابعا : وجه خرق المادة فى هذه الكرامة :

ان وجه خرق المادة فى هذه الكرامة يفهم من وقائع السياق الذى تحدثت عن هذه القصة فتمعجب السيدة مريم وحوارها مع جبريل عليه السلام كل هذه تبين وجه خرق العادة والآيات تشير الى أن خرق المادة عدم وجود دور الرجل وهو الركيزة الثانية لنظام الحمل فى سننه الكونية المعتادة .

" فان المعتاد فى الحياة الحيوانية ومنها الانسانية أن الولد يولد من أبوين أب مطلق ببذرة الوجود ، وأم تتلقى فى رحمها تلك البذرة ، أو الجرثومة . كما يعبر الملما " أو المنى الذى يعنى كما عبر القرآن . فجاء عيسى من غير أب وكان ذلك خرقا للأسباب الطبيعية الجارية " (١)

(١) المعجزة الكبرى - لأبي زهره ص ٤٣٢

لطائف التعمير في آيات الكرامه :

كان خطاب مريم موجه في مقام لله تعالى وذلك في قوله " رب أنى يكون
لنى ولد " لأن البشارة جاءت بواسطة جمع من الملائكة فليس في قولمتمعلسى :
" قال كذلك الله يخلق ما يشاء " ما يؤكد أن حامل البشارة هو جبريل فقط .
فالظاهر أنهم جمع من الملائكة في جو روحانى فناسب توجيه الخطاب في هذا
المقام الى الله تعالى . أما في المقام الآخر فقد وجهت الخطاب الى من تمثل
بشرا سويما وهو جبريل على المشهور ، وفي المقام الأول جاء ذكر الولد ونفس
المقام الثانى جاء ذكر الغلام فما هو السر ؟
يقول الكرمانى : لأن في هذه السورة - سورة آل عمران - تقدم ذكر المسيح
وهو ولدها وفي مريم تقدم ذكر الغلام ، حيث قال " لأهبك غلاما زكيا (١)
أو قد يقال ذكر الولد في المقام الأول وهو مقام البشارة تذكيرا بالولادة وذكر
الغلام في المقام الثانى وهو مقام التكوين والصوره فكانه أمر قد حصل وانقضى .
وقالت في المقام الأول " ولم يحسنى بشر " وزادت في المقام الثانى ولم أك
بغيا لأن مناجاتها في المقام الاول مع ربها وفي المقام الثانى نغت التهنئة
عن نفسها حين تمثل لها جبريل فجبريل في نظرها بحكم صورته بشر فناسب
هذه الزيادة .

وفي التعمير بلفظ يخلق في قوله " كذلك الله يخلق ما يشاء " يقول

المراغى : الخلق يقال فيما فيه ابداع واختراع ولو بغير ما يصرّف من الأسباب
فيقال خلق السموات والارض ولا يقال فعمل الله السموات والارض
أما ايجاد عيسى فهو على غير المصهور في التوالد بل بمحض القدرة ، فالتعبير
عنه بالخلق أليق . (١)

ومن لطائف التمييز أيضا قوله في مقام " والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من
روحنا " وقوله في مقام آخر " ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه
من روحنا " .

ففي المقام الأول لم يذكر اسمها وعبر عنه بالاسم الموصول للتتويه والتفخيم
فناسب أن يقول " فنفخنا فيها " فكان هذا النفخ عام وشامل فيها ففيه من -
الفخامة ما لا يخفى لا سيما وقد جاء بمده قوله تعالى " وجعلناها وابنهها
آية للعالمين " وفي هذا ما يؤكد ما أشرنا اليه ،

أما المقام الثاني ففيه اشارة الى أن النفخ في جزء وهو فرجها لأن -
المقام ومقام تذكير وتتويه بمفحتها لقوله بمده ذلك " وصدقت بكلمات ربها وكتبه
وكانت من القانتين " فلهذا التنزيل في دقة التعبير . والله أعلم .

(١) تفسير المراغى - للمراغى ج ٣ ص ١٥٦ .

” الكرامة الثالثة ”

” تبرئة ابنها في المهد لها ”

آيات الكرامة :

قال تعالى في ضمن البشارة بالسيد المسيح ” ويكلم الناس في المهد
وكهلا ومن الصالحين ” (١)

وقال سبحانه في شأن مريم وابنها ” فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم
لقد جئت شيئا فريا - يا أخت هارون ما كان أبوك أمراً سوء وما كانت أمك بغيا -
فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا - قال انى عبد الله آتانسى
الكتاب وجعلنى نبيا - وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة
ما دمت حيا - وبرا بوالدى ولم يجعلنى جبارا شقيا - والسلام على يوم ولدت
ويوم أموت ويوم أبعث حيا ” (٢)

وقال في معرض المنن ” ان قال الله يا عيسى بن مريم انى كنتمتى عليك وعلى
والدتك ان أيدتك بروح القدس تلكم الناس فى المهدس وكهلا ” (٣)
وهكذا بيد ومن الآيات أن هذه الكرامة قد بشرت بها مريم كما يشير اليه
السياق فى سورة آل عمران ثم جاء تفصيل وقائعها فى سورة مريم ثم ختمت بذكرها
فى معرض تعداد النعم التى أنعم الله بها على عيسى وعلى والدته .

(١) سورة آل عمران : ٤٦

(٢) سورة مريم : ٢٧ / ٢٨ / ٢٩ / ٣٠ / ٣١ / ٣٢ / ٣٣

(٣) سورة المائدة : ١١٠

مباحث الآيات :أولا : بشارة مريم بهذه الكرامة :

لقد تقدم فيما مضى من كرامات السيدة العذراء مريم الصديقه أن الملائكة زفت لها بشارة من ربها بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .
يقول السعدى : ومن تمام هذه البشارة أنه " يكلم الناس فى المهدي " فيكون تكليمه آية من آيات الله ورحمة منه بأمه . (١)
فعلى هذا تكون السيدة مريم على علم من الله أن ابنها عيسى عليه السلام سيكلم الناس حال كونه طفلا فى مهده وهو ظاهر الآيات .

ثانيا - مريم وابنها فى مواجهة قومها :أ - مريم فى مواجهة القوم :

لقد نفذ الأمر المقضى الذى شاءته القدرة الالهية فى مريم ابنة عمران وهو أن تلد هذا المولود من غير زوج وعلى هيئة خارقة للعادة وهى لا بد أن تواجه مجتمعا وقد بين الله أنها أتت ببنتها الى قومها وهى تحمله ، وقد ذكر ابن الجوزى صفة هذا المجدى عن ابن عباس فى رواية أبى صالح أنهم به بعد أربعين يوما حين ظهرت من نفاسها وقال فى رواية الضحاك : انطلق قومها يطلبونها ، فلما رأتهم حملت عيسى فتلقتهم به . (٢)

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان - للسعدى ج ١ ص ١٨٣

(٢) زاد المسير فى علم التفسير - ابن الجوزى ج ٥ ص ٢٢٦

وأما كان من ذلك فقد ذكر القرآن الكريم أنها أتت به قومها تحمله سواء قلنا انها جاءت بطلب أم بغير طلب ، فلعل ذلك بطلب من القوم ليظهر الله هذه الكرامة لمريم عليها السلام ويبرى ساحتها ما تموج به الخواطر أو لملل الله أوحى اليها لتواجه القوم ليكونوا على مشهد من هذه المكره العظيمة .
أما ظاهر الآية فيشير الى أنها جاءتهم به من غير طلب منهم فالله أعلم .

ب - عيسى في مهده :

ان النصوص تؤكد أن عيسى عليه السلام يكلم الناس وهو في مهده .

ومهدى الصبي : موضعه الذى يهبط له ويوطأ لينام فيه . (١)

يقول الطبرى : وأما المهد : فانه يعنى به مضجع الصبي فى رضاعه . (٢)

فالنصوص تشير الى أن عيسى يكلم الناس وهو مستقر فى مهده بحيث

لا يستطيع أن يبرحه لصفر سنه وقرب عهد به بالولادة وهذا ما يؤكد قوله تعالى

" يكلم الناس فى المهد " وقوله " تكلم الناس فى المهد " فحرف الجرا لا يخلو

من معنى دقيق يراد به الاشارة الى حداثة سنه .

ولذا قال الألوسى : وما فى النظم الكريم أبلغ من التصريح بالطفوليه

وأولى لأن الصغير يسمى طفلا الى أن يبلغ الحلم فلذا عدل عنه . (٣)

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٤١١

(٢) جامع البيان - للطبرى ج ٣ ص ٢٧١

(٣) انظر روح المعاني - للألوسى ج ٧ ص ٧٥

وأما قوله تعالى " من كان في المهدي " فيقول الطبري : وكان في قوله
 " من كان في المهدي صبيا " معناها التمام ، لا التي تقتضي الخبر . (١)
 وما يؤكد أن عيسى حينذاك كان في أول حياته الطفولية قوله تعالى " فأنت
 به قومها تحمله " فالتعبير بقوله تحمله يشير إلى أنه لا يستطيع السعي على
 قدميه لطفولته المبكرة وهذا لاشك أبلغ في الكرامة وتجلى غرق المادة فيها .
 ثالثا : موقف القوم من السيدة مريم :

ان مألوف الناس له أثر عميق في عاداتهم وأفكارهم ومن أتى بخلاف
 هذا المألوف كان ماثرا للشك ومحلا للعجب ، فمريم ابنة عمران تلك الفتاة
 المذراة التي عرفها قومها بصلاحها وعبادتها وتبطلها لربها وهي في هذه
 الحالة تأتي قومها وتواجههم وهي تحمل ذلك المولود . كيف وهي غير ذات
 زوج مشروع فمأذا يقولون لها وماذا يحكون في أمرها ؟ ١١٤ " قالوا يا مريم
 لقد جئت شيئا فريا " هذه هي النتيجة وهذه هي الحتمية في نظر القوم
 وفي تقديرهم وفي هذا القول من التهويل والتفخيم ما لا يخفى وهذا التعبير
 أبلغ من التصريح بمقارفة السوء ففي قولهم شيئا مما يجعل السامع يتحسّر
 في أمر هذا الشيء ويتصور هولاه وفضاعته لا سيما وقد وصف بالفري وهو الأمر
 العظيم :

قال الراغب : " لقد جئت شيئا فريا " قيل معناه تعظيما وقيل عجيبا

وقيل مصنوعا وكل ذلك اشارة الى معنى واحد . (١)

ويقول الرازى : فيحتمل أن يكون المراد شيئا عجيبا خارجا عن العادة من غير تعبير و ذم ويحتمل أن يكون مراد هم شيئا عظيما منكرا فيكون ذلك منهم على وجه الذم وهذا أظهر لقولهم بعده " يا أخت هارون ما كان أبوك أمرا سوء وما كانت أمك بغيا " لأن هذا القول ظاهره التوبيخ . (٢)

ولم يكتفوا بهذا الوصف الهائل والبهتان العظيم الذى نسبوه الى مريم العذراء بل استطردوا فى عتابهم وتأنيبهم لها فقالوا " يا أخت هارون . . . " . وفى هذه النسبه التى نسبوها الى هارون يقول الطبرى : قيل لها " يا أخت هارون " نسبة منهم لها الى الصلاح لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هارون وليس بهارون أخى موسى ، وقد ذكر الطبرى على هذا عدة روايات فمنها ما جاء عن المضيرة بن شعبه قال " بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل نجران فقالوا لى أستم تقرؤن " يا أخت هارون " قلت : بلى وقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال " ألا أخبرتكم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم " (٣)

(١) المفردات فى غريب القرآن - للراغب ص ٣٧٩

(٢) التفسير الكبير - للرازى ج ٢١ ص ٢٠٧

(٣) أنظر الحديث فى صحيح مسلم - كتاب الأدب ج ٣ ص ١٦٨٥ ط الاولى

سنة ١٣٧٥ هـ وجامع الأصول ج ٢ ص ٢٣٦

وقال بعضهم : عنى به هارون أغوموسى ونسبت مريم الى أنها أخته لأنها من ولده .

وقال آخرون بل كان ذلك رجلا منهم فاسقا معلن الفسق ، فنسبوا اليه ، قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكرناه وأنها نسبت الى رجل من قومها . (١)

ويقول المراغى تعليقا على الحديث الصحيح : وهذا التفسير النبوى يفنى عن سائر ما روى عن السلف فى ذلك . (٢)

أقول : وما استصوبه الطبرى نستصوبه أيضا لثبوت الخبر ولكن اذا نظرنا الى الحديث بشىء من التروى وجدناه محتملا أن يكون المسمى به هارون النبى أو رجل صالح اسمه هارون وعلى كلا الاحتمالين فالفرض المشابهة فى الصلاح .

والأخت على هذا بمعنى المشابهة وشبهوها به تهكما أو لما رأوا قبل من صلاحها . (٣)

(١) جامع البيان - للطبرى ج ١٦ ص ٧٨

(٢) تفسير المراغى - للمراغى ج ١٦ ص ٤٧

(٣) أنظر روح المعانى - للألوسى ج ١٦ ص ٨٩

وهم على هذا لم يبقوا عند هذا الحد بل أمحنوا في تهويل أمرها وتعظيمه واستنكاره فقالوا " ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا " ففي نفى السوء عن أبيها ونفى البغيا عن أمها تركية لهما وتنويه بأنها من ذلك البيت الطيب الطاهر فهو بالتالى مما يدعوا للمعجب من حال مريم ويؤيد استنكارهم واستفظاعهم لأمرها عليها السلام .

رايما - موقف مريم من قومها :

في هذا الموقف الرهيب والمنظر الكالح الذى واجه به القوم مريم عليها السلام ركان لا بد أن تقف فيه مريم موقفا حازما ولكن كيف يكون الحزم وكيف يكون الجلد مع أمر كهذا ؟

لقد كان موقف السيد ه مريم هو تنفيذ تلك الوصية التى سبقت لها قبل هذا الموقف الحرج وهى قوله تعالى " فاما ترين من البشر أحد فقولى انسى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا " (١)

وانما لم تؤمر بمخاطبتهم في نفى ذلك عن نفسها لأن الناس لا يصد قونها ولا فيه فائدة ، وليكون تبرئتها بكلام عيسى في المهدي أعظم شاهد على براءتها فان اتيان المرأة بولد من دون زوج ودعواها أنه من غير أحد من أكبر الدعاوى التى لو أقيم عليها عدة من الشهود لم تصدق بذلك فجعلت بينه هذا الخارق

للمادة أمرا من جنسه وهو كلام عيسى في حال صغره جدا . (١)
 وينص السياق على أن مريم أشارت الى ابنها في هذا الموقف ولعل هذه الاشارة
 هي تنفيذ مضمون الوصية .

يقول الألوسي : " فأشارت اليه " أى الى عيسى عليه السلام أن كلموه .
 قال شيخ الاسلام : والظاهر أنها بينت حينئذ نذرها وانها بمعزل من محاوره
 الانس حسبا أمرت ففيه دلالة على أن الأمور به بيان نذرها بالاشارة لا بالصارة
 والجمع بينهما مما لا عهد به . (٢)

ومما يدل على أنها أرادت من هذه الاشارة احالة القوم على تكليم عيسى
 عليه السلام مما يدل على ذلك أن القوم فهموا منها هذا المراد فقالوا " كيف
 نكلم من كان في الصهد صبيا " .

غير أن هنا سؤالا يتبادر الى الذهن وهو كيف عرفت مريم عليها السلام أن ابنها
 سيكلم القوم ويكفيها مؤنه الاجابه ؟
 يقول الرازي في ذلك : لعلها عرفت ذلك بالوحي الى زكريا او لعلها عرفت
 بالوحي اليها على سبيل الكرامة . (٣)

والذي يبدو وأنها عرفت ذلك بالوحي لا سيما وأنا قد أثبتنا فيما تقدم أن من
 تمام ما بشرت به مريم حين بشرت بعيسى أنه سيكلم الناس في الصهد .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للسعدي ج ٥ ص ٥٠

(٢) انظر روح المعاني - للألوسي ج ١٦ ص ٨٩

(٣) التفسير الكبير - للرازي ج ٢١ ص ٢٠٨

خامسا - ظهور الكرامة :

لم تتحمل مريم عليها السلام كثيرا من المشقة في اجابة القوم أو مجادلهم
وماذا تجدى لو أقدمت مريم على اقتناع قومها ومجتمعها في تبرئة نفسها ومن ذا
يصدقها في الدفاع عن نفسها ؟ ١١٢
لقد اكتفت بالاشارة الى ابنها الرضيع فتضاعف الازدراء بها وعظم التهم
بحالها وقال لها قومها في جو يمج بالسخرية والغرابة " كيف نكلم من كان في
المهد صبيا " . وهنا تظهر البراءة الصادقة والحجة الدامغة فينطق عيسى عليه
السلام بالكلام العظيم والمنهج القويم والتبيان المبين " قال انى عبد الله
آتانى الكتاب وجعلنى نبيا - الى قوله تعالى - والسلام على يوم ولدت ويوم أموت
ويوم أبعث حيا " فما أصدقه من كلام وما أعظمه من بيان . وهكذا تتجلى هذه
الكرامة لتكون برهاناً على براءة السيدة مريم عليها السلام .

وإذا كانت هذه الكرامة هي ما نطق به عيسى عليه السلام في هذا
السياق فلقد اشتمل هذا الكلام على أمور تجلّ عن الوصف والتبيان ولعل الذى
يهيمن فى هذا المقام هو براءة السيدة العذراء .

يقول الألوسى : وفى جميع ما قال تنبيه على براءة أمه لدلالته على الاصطفاء
والله سبحانه أجل من أن يصطفى ولد الزنا وذلك من المسلمات عندهم ، وفيه
من اجلال أمه عليهما السلام ما ليس فى التصريح ، وقيل لأنه تعالى لا يخص
بولد . موصوف بما ذكر الا مبرأة ومصطفاه . وفى قوله تعالى " وبرا بوالد تسمى "
قيل هذا كالصريح فى أنه عليه السلام لا والد له فهو أظهر الجمل فى الاشارة

الى براءتها عليها السلام . (١)

ولاشك أنه لو نطق ببعض الكلام الممتاد لكان في ذلك اشارة الى براءتها فكيف وقد تضمن كلامه الاقرار بالمبودية لله والاشادة بمكانته من الله حيث أتاه الكتاب وجعله نبيا وجعله مباركا اينما كان ووصاه بالصلاة والزكاة ما دام حيا . ثم نوه ببره لوالدته وأشار الى آمنه في تلك المواطن التي تكون مظنة للغشوف والفرع وهي يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث . فما أعظمها من كرامة وما أجملها من براءة !! والله أعلم .

سادسا - خرق العادة :

وأما خرق العادة في هذه الكرامة فهو نطقة في غير زمنه المعتاد بكل فصاحه وبلاغه وبيان وهذا لا يتأتى لمن كان في زمن الطفولة المبكره لعدم اكتمال قواه الحسيه والعقلية . وقد ثبت خرق العادة فيها بظاهر النصوص وتؤكد بقرائن الأحوال وثبتت بالوقوع في قوله تعالى " انى عبد الله . . . " الى آخر السياق . والله أعلم .

نفى النصارى لهذه الكرامة والرد عليهم :

أنكرت النصارى كلام المسيح عليه السلام في المهد ، واحتجوا على صحة قولهم بأن كلامه في المهد من أعجب الأمور وأغربها ولاشك أن هذه الواقعة لو وقعت لوجب أن يكون وقوعها في حضور الجمع العظيم الذى يحصل القطع

(١) انظر روح المعاني - للألوسى ج ١٦ ص ٨٩

واليقين بقولهم ومتى حدثت الواقعة المجيبه جدا عند حضور الجميع العظيم فلا بد وأن تتوفر الدواعي على النقل فيصير ذلك بالغاً حد التواتر واخفاء ما يكون بالغاً الى حد التواتر ممتنع ، وايضا فلو كان ذلك لكان ذلك الاخفاء ههنا ممتنعاً لأن النصارى بالغوا في افراط محبته الى حيث قالوا انه الهاء ، ومن كان كذلك يمتنع أن يسمى في اخفاء مناقبه وفضائله بل ربما يجعل الواحد ألفاً فثبت أن لو كانت هذه الواقعة موجودة لكان أولى الناس بمعرفتها النصارى ولما طبّقوا على انكارها علمنا أنه ما كان موجوداً البتة .

والجواب عن هذا : أن كلام عيسى عليه السلام في المهد انما كان للدلالة على براءة حال مريم عليها السلام من الفاحشة وكان الحاضرون جمعاً قليلاً ، فالسامعون لذلك الكلام ، كان جمعاً قليلاً ، ولا يبعد في مثله التواطؤ على الاخفاء ، ويتقدّر أن يذكروا ذلك الا أن اليهود كانوا يكذبوهم في ذلك وينسبونهم الى البهت فهم أيضاً قد سكتوا لهذه العلة فلأجل هذه الاسباب بقي الأمر مكتوماً مخفياً الى أن أخبر الله سبحانه وتعالى محمد صلى الله عليه وسلم بذلك وأيضاً فليس كل النصارى ينكرون ذلك فانه نقل عن جعفر بن ابي طالب لما قرأ على النجاشي سورة مريم ، قال النجاشي : لا تفاوت بين واقعة عيسى وبين المذكور في هذا الكلام بذره . (١)

ويقول الخطيب : والذي يدعو الى العجب حقاً هو أن الأناجيل الأربعة التي يدّين قبيها المسيحيون اليوم لم تشر آية اشارة من بعيد أو قريب الى كلام المسيح

(١) انظر التفسير الكبير - للرازي ج ٨ ص ٥٢ - ٥٣

في المهد ولم تذكر دفاعه المفحم عن أمه في وجه تلك التهمة التي انصقت -
دخانها عليها يوم جاءت به تحمله الى قومها وليست حادثة كلام المسيح
في المهد هي وحدها التي أغفلت الأناجيل ذكرها ، من متعلقات المسيح
وأخباره ، بل لقد أغفلت الأناجيل - عن تدبير وتقدير - كثيرا مما كان للسيد
المسيح تقية وخوفا تحت ضغط الظروف القاسية التي كُتبت فيها الأناجيل .
وننتهي من هذا الى القول بأن ما ذكره القرآن من كلام المسيح في " المهد " ^(١)
هو الحق الذي لا شك فيه ، وأن غلو الأناجيل من ذكر هذا الحديث
لا يجعل لها حجة على القرآن في هذا المقام خاصة وقد أغفل معظمهم
أحداثا تتعلق بالمسيح ولا تقل شأنًا عما ذكره القرآن عن كلامه في المهد ^(١) .
ولقد سبق أن ذكرنا مثل هذه الشبهة في معجزة المائدة . وقلنا ان مثل هذا
جائزا أن يكون مما ذكروا به ففسوه ومثل هذه الشبه مما لا يحتفل به بعد أن
قرر القرآن الكريم تعريفهم للكلم عن مواضعه ونسيانهم حظ مما ذكروا به .
والله أعلم .

(١) التفسير القرآني للقرآن - للخطيب ج ٣ ص ٤٥٤ / ٤٥٩ / ٤٦١

(٣١٣)

" المبحث الثاني "

" كرامة أصحاب الكهف "

" الكرامة "

" عناية الله بهم في كهفهم "

آيات الكرامة :

قال تعالى " أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا -
 ان أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهى * لنا من أمرنا
 رشدا - فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا - ثم بعثناهم لنعلم أى
 الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا . (١)

وقال سبحانه " وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت
 تقرضهم ذات الشمال وهم فجرة فيه ذلك من آيات الله من يهدى الله فهو
 المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا - وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم
 ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم
 لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا - وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال
 قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فآبأثوا
 أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعام فليأتكم برزق منه
 وليتلطف ولا يشمرن بكم أحدا " (٢)

وقال أيضا " وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب
 فيها ان يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال -

(١) سورة الكهف ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢

(٢) السورة السابقة ١٧ - ١٨ - ١٩

الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم سجدا - سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل
ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت
فيهم منهم أحد " (١)

ثم ختم تعالى قصتهم بقوله " ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا -
قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من
لى ولا يشرك فى حكمه أحد " (٢) .

فهذه آيات اخترتها - حسب ما يقتضيه المقام - من قصة أصحاب الكهف وهى
بهذا تصور لنا أحداث قصة أبطالها أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم فاكتفهم
بعنايته وأحاطهم بلطفه . فالى مباحث الآيات متضمنه أحداث هذه القصة التى

محورها الايمان بالله :

مباحث الآيات :

أولا : أحداث القصة :

الحدث الأول : خروج الفتية وايوائهم الى الكهف :

أ - دواعى خروجهم :

لقد كانت الدواعى التى استوجبت خروج الفتية عن قوصهم هو خشيتهم

(١) سورة الكهف : ٢١ - ٢٢

(٢) سورة الكهف : ٢٥ - ٢٦

على د ينهم وحمائيتهم لمقيدتهم التي كانت محور أحداث قصتهم وقد نوه الله تعالى بهذا المنهج الذي انتهجوه وبملك الدواعي التي دعتهم الى خروجهم في آيات جليلة واضحة وذلك في قوله تعالى " نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى - وربطنا على قلوبهم ان قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض ان ندعوا من دونه الهة لقد قلنا اذا شططا - هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا - وان اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا " (١)

فهذه الآيات لا أوضح منها في بيان دواعي خروجهم وأن ذلك كان فرارا بد ينهم وطلبا للنجاة مما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام . فما أشرفه ممن خروج وما أكرمهم من فتية . ١١

ب- أين كهفهم :

أما " الكيف " فقال المفسرون : هو المغارة في الجبل ، الا أنه واسع فاذا صغر فهو غار . (٢)

وفي مكان الكهف يقول ابن كثير : وقد اخبر الله تعالى بذلك - أي بحديث الكهف - ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض . . . وقد تكلف

(١) سورة الكهف : ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦

(٢) زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي ج ٥ ص ١٠٧

بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالا : فمن ابن عباس انه قال : هو قريب من أيله وقال ابن اسحق : هو عند نينوى . وقيل : ببلاد الروم وقيل ببلاد البلقاء والله أعلم بأى بلاد الله هو . (١)

والحق الذى لا مرية فيه أنه لا يعلم مكان ذلك الكهف على وجه القطع ولم يرد بيان صحيح بتحديد موضعه وكل ما ورد فى ذلك روايات أشبه ما تكون بالروايات التاريخية التى لا تسمن ولا تغنى من جوع - فى باب القطع واليقين - ولعل عدم تحديد موضع ذلك الكهف فى القرآن الكريم لكونه أمرا لا يتعلق به فائدة دينية أو دنيوية ، وإذا كان ذلك الكهف هو مأوى الفتية الذين آمنوا بربهم فهنا هو ذاك غار حراء متعبد المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو معروف مشهور وليس فى تعيينه كبير معنى . فكذلك الكهف . والله أعلم .

الحدث الثانى العناية الالهية بهم :

أ - التتويم الالهى لهم :

وما أن دخل الفتية الى الكهف - وهم يرجون رحمة الله كما يتضح من دعائهم فى قوله تعالى " ان أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهى لنا من أمرنا رشدا " - حتى ألهمهم الله جلباب رحمة فضرب على آذانهم بالنوم العميق سنين عددا .

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ج ٤ ص ٢٧٢

وفى هذا المعنى يقول الألوسى : المراد انصافهم انامة ثقيلة لا تتبهم فيها الأصوات بأن يجعل الضرب على الأذان كناية عن الانامة الثقيلة وانما صلح كناية لأن الصوت والتبیه من طرق ازالة النوم فسد طريقه يدل على استحكامه (١)
وفى النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب والخوف وحفظ لهم من قوصهم . (٢)

وفى النوم المذكور حف

ب - دور الشمس فى العناية بهم :

لعل مما يلفت الانتباه ذكر الشمس فى قصة أصحاب الكهف بكل ما لها من أهمية وما لها فى ضخامه وهى فى فلکها تسبح وكأنها تتجاوب مع الفتيه فى كهفهم وتحفهم بالعناية والرعاية . وفى تصوير ذلك يقول تعالى " وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال" قال الطبرى : وانما معنى الكلام : وترى الشمس اذا طلعت تمدل عن كهفهم ، فتطلع عليه من ذات اليمين لئلا تصيب الفتيه . . . واذا غربت تتركهم بذات الشمال فلا تصيبهم . يقال منه قرضت موضع كذا : اذا قطعته فجاوزته . (٣)

ففى هذا التصوير القرآنى اشارة الى أن المخاطب لو وقف على حال أهل الكهف لرأى الشمس وهى بهذه الهيئة المذكوره .

(١) انظر روح المعانى - للألوسى ج ١٥ ص ٢١٢

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان - السعدى ج ٥ ص ٨

(٣) جامع البيان - للطبرى ج ١٥ ص ٢١١

يقول الألوسي : انهم كانوا لا تصيبهم الشمس أصلاً فتؤذيهم وهم في وسط الكهف بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الفار ولا حر الشمس وذلك لأن باب الكهف كما قال عبد الله بن مسلم وابن عطية كان في مقابلة بنات نمش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائله عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المضرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جنبه ، وتحلل عفونته وتمدل هواه ولا تقع عليهم فتؤذي أجسادهم وتبلى ثيابهم ، ولعل ميل الباب إلى جانب المضرب كان أكثر ولذلك وقع التزاور على كهفهم والقرض على أنفسهم ، وقال الزجاج : ليس ذلك لما ذكر بل لمحض صرف الله تعالى الشمس بيد قدرته عن أن تصيبهم على منهاج خرق العادة كرامة لهم وحيء بقوله تعالى " وهم في فجوة منه " حالاً مبينه لكون ما ذكر أمراً بدنياً كأنه قيل ترى الشمس تعمل عنهم يمينا وشمالاً وتحوم حولهم مع كونهم في مشرع من الكهف معرض لا صابتها لولا أن كفها عنهم كف التقدير ، واحتج عليه بقوله تعالى " ذلك من آيات الله " حيث جعل " ذلك " إشارة إلى ما ذكر من التزاور والقرض في الطلوع والغروب يمينا وشمالاً ، ولا يظهر كونه آية على القول السابق ظهوره على قوله فان كونه آية دالة على كمال قدرة الله تعالى وحقيقة التوحيد وكرامة أهله عنده سبحانه على هذا أظهر من الشمس في رابعة النهار . . . وأكثير المفسرين على أنهم لم تصيبهم الشمس أصلاً وان اختلفوا في منشأ ذلك . واختار جمع أنه لمحض حجب الله تعالى الشمس على خلاف ما جرت به العادة قالوا : والاشارة تؤيد ذلك أتم تأييد والاستبعاد مما لا يلتفت إليه لا سيما

فيما نحن فيه فان شأن أصحاب الكهف كله على خلاف المادة . (١)
أقول والذي بيد و أن القول الثاني الذي ذهب اليه الزجاج هو الصواب ولو
سلمنا بما نقله الالوسى عن عبد الله بن مسلم وابن عطية من أن باب الكهف
كان جهة الشمال كما يفهم من قولهما الا أن ذلك لا ينضبط ضرورة اختلاف
مطالع الشمس كما هو معلوم فالأظهر أن الملة في هيئة الشمس - بتقدير
الله - لا في هيئة الكهف وحجة الزجاج على ذلك ظاهرة في قوله تعالى :
" ذلك من آيات الله " وقوله " وهم في فجوة منه " أى متسع من الكهف ، وكذلك
السياق يؤيد هذا فان الحديث ورد في شأن الشمس فدل على أن التفاعل
منها لا من هيئة الكهف ، والله أعلم .

ج - تقليبهم ذات اليمين وذات الشمال :

ومن تمام العناية الالهية بهم ان الله تعالى يقلبهم ذات اليمين
وذات الشمال وهم في رقدتهم كما قال تعالى " ونقلبهم ذات اليمين وذات
الشمال " وقد ذكر الالوسى عن بعض العلماء الملة في تقليبهم فقال : كيلا
تأكل الأرض وما عليها من أبدانهم كما أخرجه سميد بن منصور وابن المنذر
عن ابن جبر ، واستبعد ذلك . وقال الامام : انه عجيب فان الله تعالى
الذى قدر على أن يقيمهم أحياء تلك المدة الطويلة هو عز وجل قادر على حفظ
أبدانهم ايضا من غير تقليب ، وأجيب بأنه اقتضت حكمته تعالى ان يكون حفظ

(١) أنظر روح المعاني - للالوسى ج ١٥ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣

أبدانهم بما جرت به العادة وان لم نعلم وجه تلك الحكمة . . . وقيل يمكن أن يكون تقليبيهم عفا لما هو عادتهم في نومهم من التقلب يمينا وشمالا اعتسافاً بشأنهم . (١)

والأظهر أن تقليبيهم من كمال الاعتناء بهم يدلنا على ذلك صورة الفعل في قوله تعالى " ونقلبهم " حيث أسند الفعل اليه تعالى لا سيما وأن من تمام لادة النوم التقلب ذات اليمين وذات الشمال .

وأما عن مقدار هذا التقلب فقد ذكر الألويسي بعض الآراء في ذلك ثم قال :
وتعقب الامام ذلك بأن هذه التقديرات لا سبيل للمقل اليها ولفظ القرآن لا يدل عليها وما جاء فيها خبر صحيح انتهى . فظاهر الآية يدل على الكثرة لمكان المضارع الدال على الاستمرار التجددي مع ما فيه من التشكيل . (٢)
د - موقف كليهم والحالة التي كان عليها :

لقد ذكر سبحانه في تعداد أنواع العناية بأصحاب الكهف " أن كليهم

باسط ذراعيه بالوصيد " فما هو الوصيد وما وجه العناية في ذلك ١٢٢
قال الطبري : وأما الوصيد فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم : هو الفناء ، وقال آخرون : الوصيد : الصعيد وقال آخرون الوصيد : الباب . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : الوصيد : الباب أو فناء الباب حيث يفلق الباب وذلك أن الباب يوصد وايساده اطباقه واغلاقه من قول الله عز وجل " انها عليهم مؤصدة " (٣) ، (٤) .

(١) روح المصاوتى - للألويسى ج ١٥ ص ٢٢٤

(٢) المرجع السابق للألويسى ج ١٥ ص ٢٢٦

(٣) سورة الهوزة : ٨ (٤) جامع البيان للطبري ج ١٥ ص ٢١٤ / ٢١٥

فالخلاصة أن الوصيد هو مدخل الكهف ، فهو بمنزلة الباب للدار .
يقول القاسمى : ووجود الكلب على هذه الحالة من العناية بهم ، فكما حفظهم
بالتقليب عن اهلاك الأرض حفظهم عن الأعداء بـكلب ليها بوهـم مع هـيئة ذاتيهـ
لهم (١)

وعلى هذا فقد جمع الله تعالى لهم فى باب العناية بهم بين الغارق كحفظهم
سنين عددا بلا طعام ولا شراب وبين الصمتاد كتقليبيهم وحراسة الكلب لهم مع
ما ألقى الله عليهم من الهيبة والجلال حتى لا يصل اليهم عابث ولا تلمسهم يد
لاس وفى هذا قال تعالى " لو اطلعت عليهم لوليت منهم فـلـرارا ولملئت منهم
رعبا " . والله أعلم .

الحدث الثالث : يقظتهم من نومهم الطويل :

ولما كانت انامتهم فى كهفهم من آثار رحمة الله بهم فقد أيقظتهم ،
وبعثهم من مرقد هم لحكمة بالغة وقد ذكر الله تعالى سياق هذه الحكمة فقال
فى موضع الاجمال " ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا " وقال
فى موضع التفصيل " وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم . . . " فالذى يظهر أن هذا

من باب تفسير القرآن بفضه بيمض فكان أحد هم آثار القضية فقال أحد الحزبين منهم لبثنا يوماً أو بضع يوم وقال الحزب الآخر ربكم أعلم بما لبثتم وكأنه أشكسل عليهم الأمر فهذا ظاهر الآيات كما بيده لى .

وأما الحكمة الداعية لهذا التساؤل فقال الطبرى فى ذلك : ليزدادوا بصيرة فى أمرهم الذى هم عليه من براءتهم من عبادة الآلهة واخلاصهم لعبادة الله وحده لا شريك له اذا تبينوا طول الزمان عليهم وهم بهيئتهم عين رقدوا . (١)

ولكن نعلم أن الفتية لم يقفوا على حقيقة أمرهم وطول مكثهم فى كهفهم فى هذا المقام ولذا فقد فوضوا أمرهم الى ربهم لعدم تمكثهم من معرفة ما مضى من

أمرهم واتجهوا الى طلب الطعام من تلك المدينة التى كانوا يقيمون حولها كما يشير اليه السياق فى قوله تعالى : فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها أزكى طعاماً فليأتكم بوزق منه وليتلطف ولا يشمرن بكم أحداً

الحدث الرابع : انكشاف أمرهم والمثور عليهم :

لقد ذكرنا فى الحدث السابق أنهم لم يعرفوا مدة لبثهم فى كهفهم وتناول الزمن عليهم وأنهم بعثوا أحد هم الى المدينة ليأتيهم بالطعام وفى هذا المقام انكشف أمرهم وظهرت حقيقتهم ، وقد نوه الله بذلك فى قوله تعالى " وكذلك اعثرنا عليهم " وفى التعبير بالاعثار اشارة الى أنهم كانوا قد فقدوا وأن - اخبارهم مشهورة فى الأجيال . فقد ذكر ابن كثير أن أحد الفتية خرج ليشتري لهم طعاماً بنقودهم وفى نهايه انكشف امره عن طريق قرائن أحواله أثناء تعامله بتلك النقود . (٢) ولعل ذلك كان صحيحاً فان سياق الآيات يؤيد هذه

(١) انظر جامع البيان للطبرى ج ١٥ ص ٢١٦

(٢) = تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٧٦

القصة . ويشير الى أن القوم وقفوا على حال أصحاب الكهف يدل على ذلك قوله تعالى " اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلموا بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا " فهذا يدل على أن القوم وقفوا على كهفهم وان لم يدركوا د قائق أمرهم بدليل قولهم " ربهم اعلموا بهم " .

وقد ذكر السياق الحكمة في هذا الاثر فقال تعالى " ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها " .

وقد ذكر بعض المفسرين أنه قد وقع التنازع بين الناس - قبل بيث أهل الكهف في شأن الحشر وبيث الاجساد من القبور وقالوا ان الحكمة في اعثارهم على أصحاب الكهف ليزول هذا التنازع وليعلموا من قصتهم أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها وأن البيث سيقع وعلى هذا فيكون الضمير في وليعلموا عائدا على المتنازعين . (١)

والذى أرى - والله أعلم - أن الأمر ليس كذلك لأنه لم يثبت أن القوم تنازعوا في بيث الاجساد وعلى فرض ذلك فليس في هذا البيث : لمنكر دليل لأن هؤلاء الفتية كانوا أحياء بدليل قوله " وتحسبهم ايقاظا وهم رقود " . ولذا قال الألوسى : وأعرض بأن المطلوب في البيث اعادة الأبدان بعد تفرق أجزاءها وما في القصة طول حفظ الأبدان واين هذا من ذلك . (٢)

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٧٧

(٢) انظر روح المعاني - للألوسى ج ١٥ ص ٢٣٢

وأما الحكمة - فى نظرى - فهى تابعة لأصحاب الكهف وهى اتمام للحكمة السابقة فى الحدث السابق ليقفوا على حقيقة أمرهم وليعلموا علم ايقان وطمأنينه أنهم على الحق وفى هذا كله بشارة لهم بمآلهم عند الله فى ذلك اليوم الذى لا ريب فيه لا سيما وأن من أعظم بشائر المؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها لينال الجزاء الأوفى .

وقد أشار ابو حيان الى هذا التوجيه فقال : يحتمل أن يعود الضمير فى وليعلموا على أصحاب الكهف أى جعل الله أمرهم آية لهم دالة على بطلان الاجساد من القبور وقوله ان يتنازعون على هذا القول ابتداءً خبر عن القوم الذى بحثوا على عهدهم والتنازع ان ذلك فى أمر البناء والمسجد لا فى أمر القيامة وقيل التنازع انما هو فى أن اطلعوا عليهم . فقال بعضهم أموات . وقال بعضهم أحياء (١)

ويقول القاسمى : و (ان) على ما يظهر لى ظرف ل (انكر) مقدرا والجملة مستأنفة لبيان ختم نبئهم بما جرى بعد مماتهم ، اثر ما أوجز من نبئهم بعد بحثهم ولا عثار عليهم . وجعله ظرفاً لـ " أعثرنا " أو لغيره مما ذكرنا - ليس فيه قوة ارتباط ولا دقة معنى . (٢)

وعلى هذا فيكون الأولى فى توجيه الحكمة كما ذكرنا وأنها راجعة لأصحاب الكهف وهذا هو الظاهر من الآيات . والله أعلم .

(١) البحر المحيط - لأبى حيان ج ٦ ص ١١٣

(٢) محاسن التأويل - للقاسمى ج ١١ ص ٤٠٣٦

ثانيا : القول فى عدتهم :

لقد ورد السياق فى صورة عجيبة عند الحديث عن عدة أصحاب الكهف فقد قص الله تعالى أقوال الخائضين فى أمرهم ثم أرشد الى رد علم عدتهم اليه تعالى ونهى عن المراء^ة فيهم المراء^ة ظاهر ونهى عن الاستفتاء فيهم فقال تعالى " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالضيبي ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء^ة ظاهر ولا تستفت فيهم منهم أحدا " . والحق ان هذا السياق يستدعى الوقف والتأمل .

يقول الطبرى عند قوله " ما يعلمهم الا قليل " من خلقه ، وقال آخرون بل عنى بالقليل أهل الكتاب .

حدثنا ابن بشير عن ابن عباس " ما يعلمهم الا قليل " قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة . (١)

وقد علق ابن كثير على النص الكريم فقال : فحكى ثلاثة أقوال فدل على أنه لا قائل برابع ولما ضعف القولين الأولين بقوله " رجما بالضيبي " حكى الثالث وسكت عنه أو قرره بقوله " وثامنهم كلبهم " فدل على صحته وأنه الواقع فى نفس الأمر . وقوله " قل رب اعلم بعدتهم " ارشاد الى أن الأحسن فى مثل هذا المقام رد العلم الى الله تعالى . ان لا احتياج الى الخوض فى مثل ذلك بلا علم .

ثم ذكر ابن كثير روايات عن ابن عباس فى عدتهم وأنهم كانوا سبعة ،

(١) انظر جامع البيان - للطبرى ج ١٥ ص ٢٣٠

وقال : فهذه أسانيد صحيحة الى ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو موافق لما قدمناه . (١)

وقد ضعف القاسمي مذهب القائلين بالقول الثالث وفند القرائن التي ايدوا بها صحته . فقال : ذهب أكثر المفسرين الى أن قول الغائبين الأخير وهسو أنهم سبعة وثامنهم كلبهم ، هو الحق . لأنه لم يوصف بكونه رجما بالغييب كما وصف الأولان والتخصيصه بالواو في قولهم " وثامنهم " وهي الواو الداخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة ، لا فادة تأكيد لصوق الصفة بالموصوف . والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وأنه لا عدد وراءه وأقول لا يخفى ضعف التمسك بهذه بين الوجهين لتقوية القول الأخير . فان عدم وصفه بالرجم بالغييب إنما هو لدلالة ما قبله عليه وفي اعادته اخلال بالبلاغة ومسألة الواو أو هي من بيت العنكبوت فان مثل هذا النزاع لا يكتفى بحسمه بمثل هذا الايماء الدقيق القريب من الالغاز على أنه إنما يتم ما ذكره لو لم يتبع قولهم بقوله تعالى " قل ربي أعلم بمدتهم " فان في تأثره للأقوال المتقدمة كلها برهاناً ظاهراً على أنهم لم يهتدوا بمدتهم وارشاد الى أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم اليه تعالى . وإشارة الى أنه لا احتياج الى الخوض في مثل ذلك بلا علم بمن وبرهان نير وقد تأكد هذا بقوله سبحانه بعده " ما يعلمهم الا قليل " فان فيه دلالة على أنه يعلمهم البعض فمن لم يشأ الحق تعيينه . وهو إما نبي أو من كان في مدتهم او من نقب عن نبئهم بإشارة صحيحة أو تلقى عن المعصوم وفيه اعلام بأنه لم يضرب على الناس بسد من

جهالة شأنهم .

وبالجملة ، فالنظم الكريم ، بأسلوبه هذا ، لا يدل على أن الأخير هو الحق كما علمت وأما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من قوله : أنا من القليل الذى استثنى الله عز وجل كانوا سبعة - فهو من الموقوف عليه ولو رفع الى النبی صلى الله عليه وسلم وضح سنده لقلنا به .

ثم قال القاسمى : او بعد كتابتى لما تقدم بمدّة وقتت على نبئهم فى "طبقات الشهداء" المسيحيين . " وأن عدتهم سبعة عندهم كما ستراه فى آخر الآيات فيهم . فسبح لى أن ابن عباس انما جزم بما جزم به مما قوى عنده من اشارة ^{ذكره} الآية ، كما أولئك الأكترون ومن تواتر عدتهم من قوصهم ومن أثر عنهم . ثم حققه وصدقه عدم النكير فيه وكذلك جزم بمثله الامام تقى الدين ابن تيمية رحمه الله ، حيث قال فى "قاعدة له فى التفسير" اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب فى هذا المقام - مقام حكاية الأقوال وتعليل ما ينبغى فى مثل هذا . فانه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال . ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث ان لو كان باطلا لردّه كما ردهما . ثم أرشد الى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فيقال فى مثل هذا " قل ربي أعلم بعدتهم " فانه ما يعلم بذلك الا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه . فبهذا قال " فلا تمار فيهم الا مراة ظاهرا " أى لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته انتهى كلامه رحمه الله . وهو الفصل فى هذا المقام . (١)

أقول : وهكذا المسألة مضطربة والقرائن كما يظهر محتمله لهذا وذاك ولكن
ان أعدنا النظر بشيء من التمعن في النص الكريم وجدنا القرائن التي تنفس
تحديد عدهم هي الأقوى والأظهر فعدتهم لم تكن بينه في النص على وجه
القطع . نعم لو صح دليل قطعي بمدتهم لأخذنا به .

يقول المراغي : ولم يرد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء في
ذلك وفي هذا دلالة على أن المهم ليس هو مصرفة المدد بل المهم الاعتبار
بذلك القصص . (١)

ويقول الخطيب في سبب اغفال القرآن لذكر العدد الحقيقي والجزم به يقول :
أما التمثيل الذي يمكن أن يفهم عليه اغفال القرآن لذكر العدد الحقيقي
لأصحاب الكهف . والقطع به ، فهو ما جرى عليه أسلوب القرآن في كل موقف
يلتقى فيه بأصحاب المراء والجدل ، والذين يريدون أن يسوقوه الى المباحكات
والمهاترات التي لا تنتج الا اضطرابا ولبلة ، والقرآن يصرف طريقه الى غاياته
التي يريد ها . فهو لا يقف عند هذه المواقف ولا يلقاها بما يقدره أصحابها
من صرفه عن وجهته وشغله بهذا اللغو من الكلام عن رسالته . (٢)

والذي يبدو أن الخطيب يشير الى سبب نزول القصة فقد ذكر السيوطي في
كتابه الباب النقول في اسباب النزول : أن قريش بحثت الى أحبار اليهود في
شأن النبي فقالوا لهم سلوه عن ثلاث : عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان
من أمرهم فانه كان لهم أمر عجيب . . . الى آخر ما قالوا . (٣)

(١) تفسير المراغي - للمراغي ج ١٥ ص ١٣٥

(٢) التفسير القرآن للقرآن - للخطيب ج ١٥ ص ٦٠٨

(٣) لباب النقول في أسباب النزول - للسيوطي ص ١٤٤

فعلی هذا نستطيع أن نقول ان سبب اغفال القرآن لذلك هو عدم مجاراتهم
فی سخافاتهم وتمنناتهم فأغفل هذا وركز على الأهم فی القصة وهو العقيدة
والعناية بشأن الفتية الذي كان مبناه على العقيدة السليمة . والله أعلم .

ثالثا - مدة لبثهم فی كهفهم :

لقد أخبر الله تعالى أن الفتية لبثوا فی كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا
تسعا وظاهر الآيات أنه خبر مستأنف من الله تعالى ولكنه قد يظهر الاشكال
فی قوله بعده " قل الله أعلم بما لبثوا " مما دعى بعض المفسرين الى أن
قال ان قوله " ولبثوا فی كهفهم " من خبر أهل الكتاب .
يقول الطبرى : قال بعضهم : ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن أهل
الكتاب . أنهم يقولون ذلك كذلك واستشهدوا على صحة قولهم ذلك بقوله
" قل الله أعلم بما لبثوا " وقالوا : لو كان ذلك خبرا من الله عن قدر لبثهم
فی الكهف لم يكن لقوله " قل الله أعلم بما لبثوا " وجه مفهوم وقد أعلم الله
خلقه مبلغ لبثهم فيه وقدره . وقال آخرون : بل ذلك خبر من الله عن مبلغ
ما لبثوا فی كهفهم . ثم قال وأولى الأقوال فی ذلك بالصواب : أن يقال
كما قال الله عز فوكره : ولبث أصحاب الكهف فی كهفهم رقودا الى أن بعثهم
الله ليتساءلوا بينهم والى أن أعرس عليهم من إعرس ثلاث مائة سنين وتسع سنين
وذلك أن الله بذلك أخبر فی كتابه ولم يضع دليلا على أن ذلك خبر
منه عن قول قوم قالوه ، وغير جائز أن يضاف خبره عن شيء الى أنه خبر عن غيره
بنير برهان ، لأن ذلك لو جاز جاز فی كل أخباره ، وإذا جاز ذلك ففى
أخباره غير جاز فى أخبار غيره أن يضاف اليه أنها أخباره ، وذلك قلب أعيان
الحقائق ، ومالا يخل فسادة .

فان ظن ظان أن قوله " قل الله أعلم بما لبثوا " دليل على أن قوله :
 " ولبثوا في كهفهم " خبر منه عن قوم قالوه فان ذلك كان يجب أن يكون كذلك
 لو كان لا يحتل من التأويل غيره فأما وهو محتمل من أن يكون معناه : قل
 الله أعلم بما لبثوا الى يوم أنزلنا هذه السورة وما أشبه ذلك من المعاني فغير
 واجب أن يكون ذلك دليلا على أن قوله " ولبثوا في كهفهم " خبر من الله عن
 قوم قالوه ، وانما لم يكن دليلا على ذلك ، ولم يأت خبر بأن قوله " ولبثوا
 في كهفهم " خبر من الله عن قوم قالوه ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم
 لها . صح ما قلناه وفسد ما خالفه . (١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : ان الله تعالى أخبر أنهم لبثوا في كهفهم
 ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا . ولكن بعض المفسرين ، زعموا أن هذا قول
 بعض أهل الكتاب لقوله " الله أعلم بما لبثوا " وليس كذلك فان الله لم يذكر
 هذا عن أهل الكتاب ، بل ذكره كلاما منه تعالى . (٢)

فالواضح مما سبق أن قوله تعالى " ولبثوا في كهفهم " كلام مستأنف

يقتضى الاخبار بمدة لبث أصحاب الكهف في كهفهم وليس في قوله :
 " قل الله أعلم بما لبثوا " ما يرد هذا المفهوم بل غاية ما فيه ارجاع العلم الى
 الله فيكون من باب الأدب والارشاد أو قد يكون ذلك توكيدا لضبط مدتهم أي
 أن الذي ضبط مدتهم هو الله ان هبوا العالم بما لبثوا ويؤيده ما بعده وهو

(١) جامع البيان - للطبري ج ١٥ ص ٢٤٠ / ٢٣١ / ٢٣٢

(٢) انظر الجواب الصحيح - ابن تيمية ج ٣ ص ٣٦

قوله " له غيب السموات والأرض " .

رابعاً : وجه الكرامة في حقهم :

أما وجه الكرامة في حقهم فهو أن الله تعالى حفيهم بمنايته في ذلك الكهف اثر دخولهم فيه . عندما اعتزلوا قومهم وفروا بد ينهم . ف ضرب اللسه على آذانهم تلك السنين المديده مع بقاءهم على حالتهم الطبيعيه . فكان في ذلك النوم راحة لا بد انهم وطمأنينة لقلوبهم وخلص لهم مما كان عليه قومهم .

خامساً - وجه خرق العادة :

ان وجه خرق المادة ههنا واضح من ظاهر الآيات ذلك أن بقاءهم ثلاث مائة وتسع سنين وهم أحياء على أحسن هيئة حتى أن الرائي لو تيسر له الوقوف عليهم لحسبهم أيقاظا وهم في الحال رقود .

يقول الألوسى : قال ابن عطيه : يحتمل أن يحسب الرائي ذلك لشدة الحفظ الذي كان عليهم وقلة التفسير وذلك لأن الغالب على النيام استرخاء وهيات يقتضيها النوم فاذا لم تكن لنائم يحسبه الرائي يقظان . (١)

وعلى هذا جاء قوله تعالى " وتحسبهم ايقاظا وهم رقود " فهذا يدل على حسن هيئتهم طيلة تلك المدة الطويلة وما يؤكد هذا أنهم لم ينكروا هيئاتهم حين بعثهم الله فقالوا " لبثنا يوماً أو بعض يوم " فهذا كله يدل دلالة واضحة على خرق المادة في هذه الكرامة . والله أعلم .

(١) انظر روح المعاني - للألوسى ج ١٥ ص ٢٢٤

” المبحث الثالث ”

” كرامة صاحب سليمان عليه السلام ”

" الكرامة " .

" حضور عرش الملكه "

آيات الكرامة :

قال تعالى في معرض قصة سليمان عليه السلام والملكة السبئية " قال يا أيها الملك أياكم يأتيه بعرشها قبل أن يأتيه مسلمين - قال عفريت من الجن أنا آتية به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوى أمين - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتية به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن

كفر فان ربي غني كريم " (١)

المباحث المتعلقة بالآيات :

أولا : لمححه عن سليمان عليه السلام والملكة :

من المعلوم أن سليمان عليه السلام أحد أنبياء الله عليهم السلام وقد جمع الله له بين النبوة والملك ، أما النبوة فقد ذكر عليه السلام ضمن النبيين في غير موطن من القرآن الكريم ، ففي معرض الحديث عن ابراهيم الخليل عليه السلام قال تعالى " ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين - الى أن قال - أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوه) الآية (٢) فهو يندرج في هذا الدليل ضمن النبيين عليهم السلام

(١) سورة النمل : ٣٨ - ٣٩ - ٤٠

(٢) = الانعام : ٨٤ - ٨٩

في اثبات النبوة له ، وأما الملك فقد كان لأبيه داوود عليه السلام كما قص
 ذلك القرآن في قوله تعالى " وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك " (١)
 وقال في موطن " ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد انه أواب " (٢) فهذا
 الأخير هو دليل الابوة والنسب وعلى مقتضاه جاء قوله تعالى :
 " وورث سليمان داوود وقال يأيتها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل
 شيء ان هذا لهو الفضل المبين " (٣)

ففي هذا اشارة الى وراثة الملك وقد تأكد بقوله عليه السلام في قوله تعالى
 " قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب " (٤)
 ففي هذا دليل صريح على ثبوت الملك لسليمان عليه السلام وما يدل على
 عظمة هذا الملك قوله بعده " فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب -
 والشياطين كل بناء وغواص " (٥)

وقوله في موطن آخر " وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم
 يوزعون " (٦)

وهذا كله يبين عظمة ذلك الملك وفخامته وأنه كان ملكا خارجا عن المعتاد .

(١) سورة البقرة : ٢٥١

(٢) = ص : ٣٠

(٣) = النمل : ١٦

(٤) = ص : ٣٥

(٥) = ص : ٣٦ - ٣٧

(٦) = النمل : ١٧

وأما ملكة سبأ فقد علمنا ملكها من قوله تعالى في ممرض الحديث عن الهدد :
 " انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم " (١)
 فالواضح أن ملكها فى حدود المعتاد ، فبينهما اذا من الفرق والجلال
 والعظمة مالا يخفى . والله أعلم .

ثانيا - عرش الملكه :

أ - صفة عرشها :

لعل فى المدول عن التعبير بالكرسى الى التعبير بالعرش ايماء الى
 العظمة والفخامة وان كان كل منهما معدا للجلوس .
 ولقد أوجز الله صفة هذا العرش فى كتابه العزيز بعبارة تحتل من الفخامة
 الذاتيه والمعنويه ما يجعله عنه الوصف فقال تعالى " ولها عرش عظيم " ففى
 التعبير بالعظمة اشعار الى أن ذلك العرش عظيم الحجم فائق الصنع وهذا
 هو الجانب الذاتى من الفخامة ، وأما الجانب المعنوى فهو ما يتمثل عليه
 من المهابة والخطر وقد أشار الطبرى الى ذلك فقال : وعنى بالعظيم
 فى هذا الموضع : العظيم فى قدره ، وعظم خطره . (٢)
 وقد وردت بعش الروايات بصفة ذلك العرش والتي تشتمل على بيان حجمه
 وقوائمه وما فيه من الجواهر مما يجعل القارىء لا يشك فى أن ذلك من عجائب
 الاسرائيليات (٣) واذا كما نرد مثل هذه الروايات - لكونها غير مستساغة

(١) سورة النمل : ٢٣

(٢) انظر جامع البيان - للطبرى ج ١٩ ص ١٤٨

(٣) روح المعانى - الألوسى ج ١٩ ص ١٩٠

ذوقاً ولأنها تتنافى مع روح القرآن الذى يركز على المعبره والمعظمه فى مثل هذه المواطن ويضرب صفحا عن التسليه بالمعائب - فليس معنى هذا أن ذلك العرش كان خاليا من الخصائص والمميزات . كيف وقد نوه الله بشأنه فى كتابه ووصفه بالمعظمه ، وقد استدى على النبى سليمان احضاره على مشهد من الملأ ١٤٤

فالأظهر أن ذلك العرش كان على شىء من الكبر والسّمه ، مع احتوائه على مواد ثمينه بإشارة قوله " وانى عليه لقوى أمين " فان القوة تستلزم الثقل والأمانة تستلزم النفاسة ، وليس لكينا تفصيل هذا وذاك كما أشارت اليه تلك الروايات فنكتفى بما أشارت اليه النصوص على وجه الاجمال . والله أعلم .

ب - الهدف من طلب عرشها :

لقد جرى بعض المفسرين ان يلمصقوا بالنبيين عليهم السلام أسورا تتنافى مع مقام النبوة وسموها وكان الأولى ألا يذكرها مثل تلك الأمور فسوى كتبهم فغفر الله لنا ولهم . فمن ذلك ما قيل فى بعض كتب التفسير أن - الهدف من طلب سليمان عليه السلام لعرش الملكه أنه أعجبه وخشى أن تسلّم فلا يحل له فلذا رغب فيه ليأخذه قبل اسلامها ، ونحن لا نعتقد ذلك فى نبى الله عليه السلام ونبى الله أجل من أن يتطرق الى ذهنه هذا الهدف الرخيص . كيف وقد ردّ الهدية التى بعثتها الملكة اليه عليه السلام قال تعالى فى ذلك " فلما جاء سليمان قال أحنون بما لى فما آتانى الله غير ما آتاكم بل أنتم بهد يتكم تفرحون " (١)

قال الطبرى : اختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله خصّ سليمان
مسألة الملأ من جنده احضار عرش هذه المرأة من بين املاكها قبل اسلامها .
فقال بعضهم : انما فعل ذلك لأنه أعجبه حين وصف له الهدى هده صفتيه
وغشى أن تسلم فيحرم عليه مالها ، فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن
يحرم عليه أخذها باسلامها .

وقال آخرون بل فعل ذلك سليمان ليعاتبها به ويختبر به عقلها وهل تثبتته
ان ا رآته أم تنكره ؟

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى السبب الذى من أجله خصّ سليمان
بسؤاله الملأ من جنده باحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا ،
ليجمل ذلك حجة عليها فى نبوته ، ويمرّفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه :
أنها خلفته فى بيت فى جوف أبيات بعضها فى جوف بعض مغلق مقفل عليها ،
فأخرجته الله من ذلك كله . بغير فتح أغلاق وأققال حتى أوصله الى وليه
من خلقه وسلمه اليه فكان لها فى ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها اليه
سليمان وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته . (١)

والذى يبدو أن ما قاله الطبرى فى الهدف الجدير بالقبول ان أنا نجسد
ما يشير الى هذا فى قوله تعالى " قال نكروا لها عرشها ننظر أتهدى أم

تكون من الذين لا يهتدون " (٢)

(١) انظر جامع البيان - للطبرى ج ١٩ ص ١٦٠ / ١٦١

(٢) سورة النمل : ٤١

ففي هذه الآية صراحة في الهدف وأن المراد اختبار عقلها لتظهر رجاحتها .
 فيكون في ذلك تمهيد وتهشير لقبولها الايمان ولذا فقد غتم سياق القصة بقوله
 تعالى " قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين " (١)
 ولا شك أن هذا هو الهدف السامى الذى يليق بمقام النبوة لأنه هدف دينى
 وليس دنيوى ، وانما كان خلاصة الهدف من طلب العرش لامتحان عقلها ،
 ولا قامته دليلا لها على النبوة فقد يقال كيف يكون دليلا على النبوة وليس بمعجزة
 بل تقولون انها كرامة ؟ ا .

والجواب أن دلائل النبوة أعم من المعجزات فكل معجزة دليل وليس كل دليل
 معجزة وقد بينا هذا في باب المعجزة ، فلا اشكال في ذلك . والله أعلم .

ثالثا : التزام المغرقت باحضاره :

ولما طلب سليمان عليه السلام احضار العرش " قال يأيتها الملكة
 أياكم يأتينى بعرضها " .
 وما ان انتهى سليمان من الطلب حتى تقدم ذلك المغرقت من الجن والتزم بأ
 باحضاره في مدة لا تتجاوز قيام سليمان عليه السلام من مقامه . وهنا يستدعينا
 المقام لنقف ونأمل ما هو السر في التعبير بالمغرقت دون التعبير بأحد الجن
 مثلا . ثم ما مقدار الزمن الذى فى قوله " قبل أن تقوم من مقامك " ثم ما مقدار
 المسافة التى بين موضع عرش الملكة وبين مجلس سليمان عليه السلام ؟ ؟
 أما التعبير بالمغرقت فلعل ذلك ليدلنا على أقصى قدرة الجن ان أنه من

أشد هم وأقواهم كما قال بعض المفسرين أن المفريت : رئيس من الجن مارد قوى . (١)

وأما المقام في قوله " من مقامك " فالمراد به المجلس كما ذكر غير واحد من المفسرين .

يقول الرازي : المعنى من مجلسك ، ولا بد فيه من عادة معلومه حتى يصح أن يؤقت ، فقول المراد مجلس الحكم بين الناس ، وقيل الوقت الذي يخطب فيه الناس ، وقيل إلى انتصاف النهار . (٢)

ويقول السعدي : والممتد من المجالس الطويلة أن تكون معظم الضمى نحو ثلاث يوم ، هذا نهاية الممتد وقد يكون دون ذلك أو أكثر . (٣)

أقول وليس لدينا ما يبين مقدار هذا الوقت - فيما أعلم - على سبيل اليقين ، والأظهر أنه جزء من النهار كثلثه أو نحوه وما يقوى هذا أنه قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيتك به قبل أن يرتد^{اليك} طرفك فهذا يشير إلى تطاول الزمن الأول . ولولا أنه كان كذلك لما قال الذي عنده علم من الكتاب ما قال .

وأما قدر المسافة بين موضع العرش ومجلس سليمان عليه السلام فالواضح من الآيات أن عرش الملكة كان به بلاد اليمن كما يدل عليه قوله " وجئتك من سبأ نبأ يقين " (٤) والظاهر أن سليمان إذ ذاك في الشام فيكون بينه وبين سبأ

(١) جامع البيان - للطبري - ج ١٩ ص ١٦١

(٢) انظر التفسير الكبير - للرازي ج ٢٤ ص ١٩٧

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام السنان - للسعدي ج ٥ ص ٢٧٨

(٤) سورة النمل : ٢٢

نعم مسيرة أريمة أشهر شهران نهابا وشهران اياها . (١)
 والواضح أن هذه المسافة على اعتبار وسائل المواصلات حينذاك وهى السير
 على الاقدام وليس الغرض فى هذا المقام تحديد المسافة على وجه الدقة ولكن
 الغرض أن هناك مسافة شاسعة تتجلى فيها هذه الخارقة .

رابعا : التزام العالم باحضاره

أ - القول فى صاحب الخارقه :

لا شك أنا نعلم من ثنايا السياق أن صاحب هذه الخارقه لم يُفكر
 اسمه ولم يُصرح به وانفا عبر عنه بالاسم الموصول فى قوله : " قال الذى عنده
 علم من الكتاب " وهذا الاسم الموصول يتبادر عليه احتمالات ووجهات نظر
 حتى قيل انه سليمان نفسه على اعتبار أنها ممجزة له ، وقيل هو جبريل ،
 وقيل بل رجل صالح اسمه آصف الى آخر ما هنالك من الأقوال وقد ذكر
 الرازى هذه الأقوال ثم اختار القول القائل أن ذاك سليمان عليه السلام
 وقال : وهذا القول أقرب لوجوه :

أحدها : أن لفظة الذى موضوعه فى اللغة للإشارة الى شخص معين عند
 محفولة تعريفه بقصة معلومه والشخص المعروف بأنه عنده علم الكتاب هو سليمان
 عليه السلام ، فوجب انصرافه اليه ، أقصى ما فى الباب أن يقال . كان آصف
 كذلك أيضا لكنا نقول ان سليمان عليه السلام ، كان اعرف بالكتاب منه لأنه
 هو النبي فكان صرف هذا اللفظ الى سليمان عليه السلام أولى .

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان - للسعدى ج ٥ ص ٢٧٨

الثاني : أن احضار المرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية . فلو حصلت
لاصف دون سليمان لاقتضى ذلك تفضيل آصف على سليمان عليه السلام ،
وأنة غير جائز .

الثالث : أن سليمان عليه السلام لو افتقر في ذلك الى آصف لاقتضى ذلك
تصور حال سليمان في أعين الخلق .

الرابع : أن سليمان قال " هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر " (١)
وظاهرة يقتضى ان يكون ذلك المعجز قد أظهره الله تعالى بدعاء سليمان
ويقول الألوسي تحقيقا على ما قاله الرازي : وآثر هذا القول الامام وقال :
أنه أقرب لوجهه - يريد الوجه الآنفه - ثم قال الالوسي : وللمناقشة فيه
مجال . (٢)

أقول : وها نحن نناقش الرازي فنقول أما الوجه الأول وجهته بالاسم الموصول
وأنة يختص بسليمان لأنه أعرف بالكتاب ، فالكتاب الذي أوجب هذه الخصوصية -
في نظر الرازي - غير معلوم فيحتمل أن يكون اللوح المحفوظ ويحتمل ان يكون
التوراة أو يكون كتابا آخر .

ولقد جرى بعض المفسرين وراء قوله : " عنده علم من الكتاب " فقال بعضهم :
انه التوراة . وقال بعضهم : انه كان يعرف اسم الله الأعظم وقال بعضهم
غير هذا وذاك . وليس فيما قيل تفسير ولا تحليل مستيقن . (٣)

فعلى هذا لا وجه للرازي في هذا الاستدلال لأن الاحتمال يبطل الاستدلال
وكونه نبيا لا يلزم معرفته لكل كتاب كما يظهر لي .

(١) التفسير الكبير للرازي ج ٢٤ ص ١٩٢ / ١٩٨

(٢) روح المعاني للألوسي ج ١٩ ص ٢٠٣

(٣) ظلال القرآن - سيد قطب ج ٥ ص ٢٦٤١

وأما الوجه الثاني : فهو منقوض بقول الهدد لسليمان عليه السلام :

” أحطت بما لم تحط به وجئتك من سباء بنباة يقين ” (١)

فإذا كان الهدد ذلك الطائر الضئيل الذى لا يحتفل به قد توصل واحاط بما لم يحطه سليمان عليه السلام وهو بما هو عليه من الملك العظيم الغارق للعادة . وما أحاط به الهدد لا يقل شأنًا عن احضار العرش لدى سليمان ومع ذلك لم يقتضى تفضيل الهدد على سليمان عليه السلام وإذا حصل ذلك للهدد فكيف لا يحصل للانسان التقى الذى يفوق الهدد فى كثير من الخصائص فلا أرى أن هذا الوجه يستقيم للرازى كما ذكر .

وأما الوجه الثالث : فيقول الألوسى : ولمل الأظهر أن القائل أحد أتباعه . ولا يلزم من ذلك أنه عليه السلام لم يكن قادراً على الاتيان به كذلك فان عادة الطوك تكليف أتباعهم بمصالح لهم لا يعجزهم فعلها بأنفسهم فليكن ما نحن فيه جارياً على هذه العادة . (٢)

وفى كلام الألوسى نقض لما ذهب اليه الرازى فى الوجه الثالث فسليمان ان يطلب من أحد رعيته احضار العرش لا يقتضى قصور حاله فى أعين الخلق .
وأما الوجه الرابع : فقد يشكر النبى على ما أنعم الله به عليه على يد رعيته أو أحد هم ولا مانع أن يكون له فى ذلك ابتلاء فبان بما تقدم أن تلك الوجوه لا تؤيد أن يكون سليمان عليه السلام هو صاحب الغارقه .

(١) سورة النمل : ٢٢

(٢) أنظر روح الصمانى - للألوسى ج ١٩ ص ٢٠٣ / ٢٠٤

وإذا كما قد انتهينا من مناقشة الرازي فانا نجد الألوسي يذكر عن الجبائي أنه قال : هو سليمان نفسه عليه السلام ، ووجه الفصل عليه واضح فان الجملة حينئذ مستأنفة استثنافا ببيانها كأنه قيل : فما قال سليمان عليه السلام حين قال العفرية ذلك ؟ فقيل : قال الخ ويكون التعبير عنه بما في النظم الكريم للدلالة على شرف العلم وأن هذه الكرامة كانت بسببه ، ويكون الخطاب في قوله : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك * للعفرية وانما لم يأت به أولا بل استفهم القوم بقوله " ايكم بأعيني بحرشها " ثم قال ما قال وأتى به قصدا لأن يريهم أنه يتأتى له ما لا يتبها لعفارية الجن فضلا عن غيرهم .
وتخصيص الخطاب بالعفرية لأنه الذي تصدى لدعوى القدرة على الاتيان به من بينهم (١) .

أقول : ولو سلمنا - جدلا - ما قاله الجبائي وأن سليمان قال للعفرية أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك لا يقتضى المقام أن يكون قوله " فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي " عائدا على العفرية وهذا خلاف الظاهر كما هو معلوم . فالخلاصة أن ما قاله الجبائي يؤول الى تنافر المعنى وتفكك الضائر المائدة .

ولذا قال ابو حيان : ومن أغرب الاقوال أنه سليمان عليه السلام كأنه يقول لنفسه أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك أو يكون خاطب بذلك العفرية (٢)

(١) روح المعاني - للألوسي ج ١٩ ص ٢٠٣

(٢) انظر البحر المحيط - لأبي حيان ج ٧ ص ٧٦/٧٧

ويقول سيد قطب : وقد ذكر بعض المفسرين أنه سليمان نفسه عليه السلام ونحن نرجح أنه غيره . فلو كان هو لأظهره السياق باسمه . ولما أخفاه . والقصة عنه ، ولا داعي لأخفائه اسمه فيها عند هذا الموقف الباهر . (١)
ومما سبق يتضح ضعف الاحتمال القائل بأن سليمان صاحب الخارقة وأما الاحتمال القائل بأنه جبريل فليس في المقام ما يدل عليه والمقام مقام سليمان مع رعيته كما هو الظاهر ، ولا أعلم أن أحداً قال ان الملائكة داخله ضمن ملك سليمان فضلاً عن أن يقوم على ذلك دليل فبهذا يضاف هذا الاحتمال . وكان القائلين به هم المعتزلة فقد جاء في روح البيان : قال المعتزلة المراد به جبريل وذلك لأنهم لا يرون كرامة الأولياء . (٢)
ويبقى الاحتمال القائل بأنه رجل صالح وهذا الاحتمال هو الاظهر لضعف الاحتمالين السابقين وعدم ورود ما يقتضى ضعفه وعلى هذا فهو كرامة لذلك الولي .

وأما تحديد اسمه . فقد ذكر بعض المفسرين ان اسمه آصف وعليه الجمهور . (٣)
ولا دليل على هذا الاسم وليس في بيان اسمه كبير معنى ولذا أشار اليه بالحلم لأن العلم أشهر من الاسم . والله أعلم .

ب- ظهور الكرامة :

لقد حصلت تلك الكرامة وهي احضار عرش الملكة لدى سليمان عليه السلام

(١) ظلال القرآن - سيد قطب ج ٥ ص ٢٦٤١

(٢) انظر روح البيان - للروسوى ج ٦ ص ٣٤٩

(٣) روح الصماني - للألوسى ج ١٩ ص ٢٠٣

من سبأ الى بلاد الشام كما أشرنا اليه من قبل بدليل قوله " فلما رآه مستقرا
عنده " وحصلت في ظرف قوله تعالى :

" قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرثك طرفك "
يقول الألوسى تعليقا على هذا السياق : فصله عما قبله للايدان بما بين
القائلين ومقالتيهما وكيفيتي قدرتيهما على الاتيان به من كمال التباين أو
لاسقاط الأول عن درجة الاعتبار . (١)

وفى كلام الألوسى ما يشير الى أن هذه الكرامة حصلت بطريقة فائقة وفى
درجة عالية من السرعة ولذا عبر تعالى عن ذلك الوقت بأنه قبل ارتداد الطرف .

والطرف : طرف اليمين ؛ والطرف اطلاق الجفن على الجفن . (٢)
قال الراغب : وطرف اليمين جفنه ، والطرف تحريك الجفن وعبر به عن النظر
اذ كان تحريك الجفن لازمه النظر (٣)

واذا كان الطرف طرف اليمين وهو المعنى الأصلي فى اللغة فقد جرى المفسرون
على هذا المعنى الاصلى .

يقول الرازى والطرف تحريك الأُجفان عند النظر ، فاذا فتحت الجفن فقد
يتوهم أن نور اليمين امتد الى المرئى ، واذا أغضت الجفن فقد يتوهم أن
ذلك النور ارتد الى اليمين ، فهذا هو المراد من ارتداد الطرف (٤)

(١) انظر روح المعانى - للألوسى ج ١٩ ص ٢٠٣

(٢) لسان العرب ج ٩ ص ٢١٣

(٣) المفردات فى غريب القرآن - للراغب ص ٣٠٢

(٤) التفسير الكبير - الرازى ج ٢٤ ص ١٩٨

ولكونه أمرا طبيعيا غير منوط بالتحريك أوثر الارتداد على الرد ويمجر بالطرف
عن النظر اذا كان تحريك الجفن يلازمه النظر وهذا غاية في الاسراع ومثل
فيه لأنه ليس بين تحريك الأجفان مدة ما . (١)

فعلى هذا لا زمن أصلا في حصول هذه الكرامة ، وعلى فرض وجود الزمن
فهو زمن لا ينضبط عقلا وما يؤيد ذلك أنه قال " قبل أن يرتد " ولم يقل فى
مدة ارتداده ، وقال أيضا " فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي " .
يقول الألوسى فى الغرض من هذا التعبير : للابتنان بكمال سرعة الاتيان كأنه
لم يقع بين الوعد به ورؤيته عليه السلام اياه شىء ما أصلا وفى تقييد رؤيته
باستقراره عنده تأكيدا لهذا المعنى لا يهامه أنه لم يتوسط بهنهما ابتداء
الاتيان أيضا كأنه لم يزل موجودا عنده . (٢)

أما كيفية احضار العرش وحصول هذه الكرامة فلم يذكر فى السياق واتمسا
الذى يفهم من السياق أن احضار العرش كان بواسطة ذلك العلم المذكور فى
قوله " قال الذى عنده علم " وعلى يد ذلك العالم ، بانن الله تعالى .

قال سيد قطب : انما نفهم أنه رجل مؤمن على اتصال بالله ، موهوب سرا من
الله يستمد به من القوة الكبرى لا تتف لها الهواجز والأبعاد . (٣)

ويقول السعدى : قال المفسرون هو رجل عالم صالح عند سليمان يعرف
اسم الله الأعظم الذى اذا دعا الله به أجاب واذا سئل به أعطى بأن يدعو الله
بذلك الاسم فيحضر حالا وأنه دعا الله فحضر فالله أعلم هل هذا المراد أم

(١) روح البيان - للبروسوى ج ٦ ص ٣٥٠

(٢) انظر روح المعانى للألوسى ج ١٩ ص ٢٠٥

(٣) ظلال القرآن - سيد قطب ج ٥ ص ٢٦٤١

أن عنده علما من الكتاب يقتدر به على جلب البميد وتحصيل الشديد . (١)
 أقول : وهذا هو سر الخارق وهو سر دقيق فامض ولو توصلنا اليه لتوصلنا
 الى سر الخوارق بما في ذلك المعجزات ولأصبحت أمور عاديه فإله أعلم بتلك
 الأسرار والد قائق .

جـ - وجه خرق العاده فيها :

وأما خرق العاده في هذه الكرامه فهو احضار العرش من مسافه
 شاسعه في غير زمن محتل ويضبط ان المعتاد في انتقال الاجسام أو نقلها
 وجود الزمن وان ذلك وقد يستبعد مثل هذا الخارق ، والحق أنه لا ينهض
 ذلك فاذا كان الانسان قد توصل بواسطة العلم الحديث الى نقل الصوت
 مباشرة عبر القارات والمحيطات فكيف لا يحصل مثل ذلك في الاجسام بواسطة
 علم الله وبإذنه .

يقول الخطب : والذين يستكثرون على العلم أن ينقل عرش ملكة سبأ من
 اليمن الى الشام في غمضة عين ، والذين يقفون من هذا الخبر القرآني موقف
 التوقف أو التشكك أو الاتهام ، حسبهم أن ينظروا في آيات العلم الحديث ،
 وما حقق في عالم الماده ، حيث ينقل صور الاشياء من سطح القمر الى

الأرض في لحظة خاطفه على لوح " التليفزيون " فاذا كان هذا هو سلطان
 العلم المادي على الماده ، فهل ينكر ان يكون سلطان العلم الروحي على الماده
 أضعاف ما للعلم المادي عليها ؟ ان العلم

(١) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للمسعودي ج ٥ ص ٢٧٨

الغادى ما هو الا اشارة خافته من اشارات العلم الروحى ، وليس الا ومضة

خاطفة من سناه المتألق . (١)

فالخلاصة أن العلم الحديث أصبح من الوسائل المقمه للمقول

لقبول مثل هذه الخوارق وان كان لا يتوصل اليها تماما الا أن ذلك من

باب التقريب والايناس . والله أعلم .

خاتمة

—————

ويمد : فقد تبين لى من خلال هذه الرسالة أمور جديدة بالذكر

فى هذا المقام منها :

أولا : أن خوارق العادات بشتى أنواعها من فعل الله تعالى وليس للمخلوق

قدره على ايجادها على الوجه الذى حصلت به سواء أكانت معجزة أم

كرامة أم غير ذلك كدلائل النبوة وآيات العقوبة . وهى تختلف فى

المظمة باختلاف سنن الكون .

ثانيا : أن خوارق الأنبياء تتنوع فمنها المعجزات وهى أهمها لأنها موضع

الحجة والبرهان فهى بمثابة الشهادة على الدعوى ومنها ما هو أعم

من ذلك كالدلائل التى تفيد الدلالة وقد يكون الفرض منها الاكرام

وكذا خوارق العقوبة التى تهدف الى الفصل بين الرسل وأممهم ،

فهذه أنواع مختلفة وان كانت كلها تخدم هدفا واحدا هو مقام النبوة

الا أنها تتمايز بما ذكرنا .

ثالثا : معجزات الأنبياء تفوق كرامات الأوليات فى الكم والكيف فالمعجزات

التي قامت بها النبوة لاشك أنها أعظم فى مداركات المقل من الكرامات

التي تتعلق بالولاية وهذا مما يستلزمه مقام النبوة والأنبياء كما لا يخفى .

رابعا : السعير ليس من الخوارق لأنه يمكن التوصل اليه بالكسب والتعلم فهو

بالتالى بعيد عن المعجزة كل البعد ، وكذا المخترعات فانها تقوم

على التحلم والاستنتاج والتدريج والترقى وطرق تكوينها مواهب عقلية

بشرية .

خامسا : خوارق الماديات لها حقائق واقعية كما نطق بها القرآن الكريم والذين يحاولون تفسيرها أو تأويلها على غير وجهها الظاهر انما هو لعدم تمكنهم من فهمها عقلا ولكن عدم فهمها لا يقتضى تأويلها واخراجها عن حقائقها .

وانا لنجد فى منتجات العلم الحديث ما يساعد العقل على قبولها واستساغتها وان كان شتان ما بينهما الا أن هناك أمورا كانت فى عالم الاستبعاد ثم ما لبثت أن أصبحت فى عالم الواقع فاذا كان هذا فعل الانسان على قصوره وحدود قدرته فكيف يفعل الله الفاعل المغتار .

ومما ينبغى ذكره أن تلك المعجزات والكرامات التى استعرضناها فى هذه الرسالة قد حف بها الكثير من الروايات الاسرائيلية التى شوهت كسب التفسير وكانت موطنا للطعن فى القرآن الكريم من أولئك المفرضين الذين يتصيدون المطاعن للقرآن العظيم فكان جديرا بالعالم النصف أن لا يخلط بين الحق والباطل وأن يميز بين هذا وذلك ثم ان تلك الآيات القرآنية التى تحدثت عن هذه الخوارق فيها من العبر والمعات - التى يمكن الاستفادة منها وتطبيقها فى عالم الواقع - ما لا يتسع له هذا المقام . ففى آيات السيده مريم التى تحدثت عن كراماتها انموذج للفتاة الطاهرة العفيفة وفى آيات أصحاب الكهف التى تحدثت عن كرامة أولئك الفتية الذين آمنوا برهبهم انموذج للشباب المستقيم وهكذا آيات الخوارق يشع منها النور كما يشع من سائر الآيات التى تضع الحد الفاصل بين ما يعلمه الانسان فيعقله وبين ما يجهله فيأتيه من طريق صحيح فيؤمن به ، وفى الختام أقترح ما يلى :-

(١) ضرورة متابعة هذا الموضوع واستكمال ما يتصل به لا يقف الشباب المتطلع الى المصرفه على النماذج الرفيعة التي أكرم الله بها بعض من التجاء اليه .

(٢) العمل على توضيح الحق وابطال الباطل فمن الناس من ينكر الكرامات ومنهم من يفالي في الاعتراف بها حتى يدعى للأولياء ما لم يصل اليه الأنبياء ، فلا بد من كشف الغطاء عن الحق الذي حُجب عن أعين الكثير .

(٣) العمل على محاربة المتسولين بالتظاهر بالكرامات لينالوا من ورائها دنيا يصيبونها مع أن صاحب الكرامة ربما استحياء من ظهورها كما تستحي المذراء في خدرها .

والله أسأل أن ينفع المسلمين بما كتبت وهو حسبنا ونعم الوكيل
وصلى الله على نبينا محمد وآخره دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

*

أهم المراجع

- (١) القرآن الكريم - تفزير رب العالمين .
حرف الألف
- (٢) الله يتجلى في عصر العلم - نخبة من العلماء الأمريكيين . ترجمة
الدمرداش عبد المجيد سرهان - الطبعة الثانية سنة ١٩٦١ م . دار
احياء الكتب العربية . المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٣) الاشارات والتبهيهاات - الحسين بن علي بن سينا - مطبعة دار
المعارف بمصر . المكتبة الخاصة بالجامعة .
- (٤) آراء أهل المدينة الفاضلة - محمد بن محمد الفارابي - الطبعة الأولى
مطبعة السعادة بمصر . المكتبة الخاصة بالجامعة .
- (٥) أين الله - أحمد زين - الطبعة الثانية - مطابع الأهرام التجارية -
المكتبة المركزيه بالجامعة .
- (٦) الأولياء والكرامات - ابو السمع محمد عبد الظاهر - مطبعة الامام بمصر
مكتبة الحرم المكي .
- (٧) الأربعين في أصول الدين - محمد بن عمر الرازي - الطبعة الأولى
بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ببلدة حيدرآباد سنة ١٣٥٣ هـ
مكتبة الحرم المكي .
- (٨) أسرار التكرار في القرآن - محمود بن حمزه بن نصر الكرمانى - تحقيق
عبد القادر أحمد عطا - الطبعة الثانية سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م -
دار الاعتصام - المكتبة المركزيه بالجامعة .

- (٩) الاسلام يتحدى - "مدخل علمي الى الايمان - وحيد الدين خان -
ترجمة ظفر الاسلام خان - مراجعة عبد الصبور شاهين - الطبعة السادسة
المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٩٧٦ م .
المكتبة المركزيه بالجامعة .
- (١٠) انجيل برنابا - برنابا - مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالأزهر -
الناشر دار الشروق سنة ١٩٥٨ م . المكتبة المركزيه بالجامعة .
- (١١) اعجاز القرآن " الكتاب الثاني " - عبد الكريم الخطيب - الطبعة الاولى
سنة ١٩٦٤ م - ملتزم الطبع والنشر - دار الفكر العربي بعصر - المكتبة
المركزيه بالجامعة .
- (١٢) الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي -
الطبعة الثالثه سنة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م - مطبعة مصطفى الباي
الحلبي بعصر - الناشر دار التعاون للنشر والتوزيع - مكة المكرمة -
مكتبتى الخاصة .
- (١٣) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به - القاضي أبو بكر
الطيب الباقلائي - تحقيق محمد زاهر بن الحسن الكوشى - الطبعة
الثانية مؤسسة الخانجي للطباعة سنة ١٣٨٢ هـ - المكتبة المركزيه
بالجامعة .
- (١٤) ارغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن - محمد عبد الرؤوف
المنأوى - مخطوط برقم ١٩٧ - مكتبة الحرم المكي .

حرف الهاء

- (١٥) البداية والنهاية - اسماعيل بن عمر بن كثير - الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م - مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (١٦) البرهان في علوم القرآن - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الطبعة الثالثة - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٣٩١ هـ مكتبي الخاصة .
- (١٧) البحر المحيط - محمد بن يوسف بن حيان الزرناطي - مطابع أفست بيروت - الناشر مكتبة ومطابع النصر - الرياض . المملكة العربية السعودية المكتبة المركزية .
- ### حرف التاء
- (١٨) تهافت الفلاسفة - محمد بن محمد الغزالي - الطبعة الخامسة مطبعة دار المعارف بمصر - تحقيق سليمان دنيا - المكتبة الخاصة بالجامعة .
- (١٩) تهافت التهافت - محمد بن رشد - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر - تحقيق سليمان دنيا - المكتبة الخاصة بالجامعة .
- (٢٠) التفسير القيم للإمام ابن القيم - ابن القيم الجوزية - توزيع المركز الدولي للتراث العربي - بيروت . لبنان - ترجمة محمد اويس الندوي حقيقه محمد حامد الفقي - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٢١) تفسير المرافى - أحمد مصطفى المرافى - الطبعة الثانية سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر - المكتبة المركزية بالجامعة .

- (٢٢) التفسير الكبير - فخر الدين الرازي - الطبعة الثانية - الناشر دار الكتب العلمية - طهران - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٢٣) تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي - المطبعة السلفية ومكتبتها ٢١ شارع الفتح بالروضة " مكتبة الحرم المكي " .
- (٢٤) تفسير القرآن العظيم - اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي - الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥ هـ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٢٥) التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - مطبعة السنة المحمدية ملتزم الطبع والنشر : دار الفكر العربي - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٢٦) تاج المروس - محمد مرتضى الزبيدي - منشورات دار مكتبة الحياة بيروت . لبنان - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٢٧) تفسير القرآن الكريم " الأجزاء المشرفة " - محمود شلتوت - الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٣ م الناشر : دار الشروق - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٢٨) تفسير أبي السعود - ابوالسعود محمد بن الصمد - تحقيق عبد القادر احمد . مطبعة السمامه بصر سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م الناشر مكتبة الرياض الحديثه . المكتبة المركزية بالجامعة .

حرف الشـا

- (٢٩) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - الرمانى الجرجاني الخطيب - تحقيق محمد خلف الله - الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م الناشر دار المعارف بصر . المكتبة المركزية .

حرف الجيم

(٣٠) جامع البيان - محمد بن جرير الطبري - الطبعة الثانية - سنة

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م - مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر -

المكتبة المركزية بالجامعة .

(٣١) الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد الانصاري القرطبي -

مطبعة الشعب بالقاهرة - الناشر المكتب المصري الحديث -

المكتبة المركزية بالجامعة .

(٣٢) جامع الاصول في أحاديث الرسول - محمد بن الأثير الجزري -

تحقيق عبد القادر الأرنؤوط - طبعة دمشق سنة ١٣٩٣ هـ -

توزيع مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان - المكتبة

المركية بالجامعة .

(٣٣) الجواب الصحيح - أحمد بن تيمية الحراني - مطبعة المدني - مكتبة

الحرم المكي .

حرف الحاء

(٣٤) حاشية الأمير على شرح الجوهرة - محمد بن محمد الأمير - الرقم

العام ٣٦٨٣ - مكتبة الحرم المكي .

(٣٥) حاشية الباجوري على شرح الجوهرة - ابراهيم الباجوري - المطبعة

الخيرية سنة ١٢٩١ هـ - مكتبة الحرم المكي .

(٣٦) حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين - يوسف بن

اسماعيل النبهاني - طبع المطبعة الأدبية في بيروت سنة ١٣١٦ هـ .

سيره رقم ١٥ - مكتبة الحرم المكي .

حرف الخاء

- (٣٧) غاتم النبيين صلى الله عليه وسلم - محمد ابو زهره - الطبعة الاولى
سنة ١٩٧٢ م - مطبوع الطبع والنشر . دار الفكر العربي . المكتبة
المركزية بالجامعة .

حرف الراء

- (٣٨) رسالة في وجود الجن والشياطين - احمد بن سليمان بن كمال
باشاه - مخطوط مجموعة رقم ١٠٧ - مكتبة الحرم المكي .
- (٣٩) روح المعاني - محمود الألوسي البغدادي - ادارة الطباعة
المنيرية - دار احياء التراث العربي ببيروت - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٤٠) روح البيان - اسماعيل حقي البروسوي - مطبعة عثمانية سنة ١٣٣٠ هـ
المكتبة المركزية بالجامعة .

حرف الزاء

- (٤١) زاد المسير في علم التفسير - عبد الرحمن بن الجوزي القرشي
البغدادي - الطبعة الاولى سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م - المكتب
الاسلامي للطباعة والنشر - بيروت - مكتبة الحرم المكي .

حرف السين

- (٤٢) سيكولوجية القصة في القرآن - الدكتور اتهاصي نقره - الحلقة
الثالثة جامعة الجزائر سنة ١٩٧١ م - الشركة التونسية للتوزيع
رسالة دكتوراه - المكتبة المركزية بالجامعة .

- (٤٣) سنن الدارص - عبد الله بن عبد الرحمن الدارص - المطبع النظامي
ببلدة كانفور سنة ١٢٩٣ هـ - المكتبة المركزية بالجامعة .

حرف الشين

- (٤٤) شرح مقاصد الطالبين - سمد الدين التفتازاني . مطبعة محرم
افندي الينسوي - مكتبة الحرم المكي .
- (٤٥) شرح العقيدة الاصبهانية - احمد بن عبد الحلوم بن تيميه - مطبعة
الاعتصام سنة ١٣٨٥ هـ بالقاهرة - المكتبة المركزية بالجامعة .

حرف الصاد

- (٤٦) صحيح الامام البخاري - محمد بن اسماعيل البخاري - مطابع الشعب
سنة ١٣٧٨ هـ - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٤٧) صحيح الامام مسلم - مسلم بن الحجاج القشيري - الطبعة الاولى
مطبعة الحلبي - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٤٨) صحيح الترمذي - ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي - مطبعة
الصاوي بمصر - الطبعة الاولى . ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ هـ - مكتبة
الحرم المكي .

حرف الطاء

- (٤٩) الطب محراب للايمان - الدكتور خالص جليبي - الطبعة الاولى سنة
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م - توزيع دار الكتب العربية - المكتبة المركزية
بالجامعة .

حرف الميم

- (٥٠) العقيدة الاسلامية وأسسها - عبد الرحمن حبنكة الميداني - الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م - المكتبة المركزية بالجامعة .

حرف الفاء

- (٥١) في علم نفس النمو - سعدية محمد بهادر - الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م - دار البحوث العلمية - الكويت - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٥٢) فاكهة البستاني - عبد الله البستاني اللبناني - المطبعة الاميركانية بيروت سنة ١٩٣٠ م - مكتبة الحرم المكي .
- (٥٣) في ظلال القرآن - سيد قطب - الطبعة المشروعه الثانية - دار الشروق سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٥٤) الفلك العام - سير هيربرت سبنسر جونز - ترجمة عبد الحميد سماحه ، والدكتور حلمي عبد الرحمن - الطبعة الثانية سنة ١٩٣٤ م - ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - مكتبة الحرم المكي .
- (٥٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ مكتبة الخاصة .
- (٥٦) فتح القدير - محمد بن علي الشوكاني - مطبعة مصطفى البابسي الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م - مكتبة الخاصة .

حرف القاف

- (٥٧) قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار - مطبعة المدنى - القاهرة -
سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م - الناشر مؤسسة الحلبي - المكتبة المركزية
بالجامعة .

حرف الكاف

- (٥٨) كتاب الحصون الحميدية لمحافظة العقائد الاسلامية - حسين افندى
الجزر - الطبعة الاولى بالمطبعة العامرية الطيحيه سنة ١٣٨٢ هـ
مكتبة الحرم المكي .
- (٥٩) الكافي - ابي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسى - طبع
على نفقة الشيخ على بن عبد الله آل ثاني - منشورات المكتب الاسلامي
بدمشق . مكتبة الحرم المكي .
- (٦٠) الكشف - محمود بن عمر الزمخشري - مطبعة مصطفى الباى الحلبي
بمصر - المكتبة المركزية بالجامعة .

حرف اللام

- (٦١) لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري - دار
بيروت للطباعة والنشر سنة ١٣٨٨ هـ . المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٦٢) لباب النقول في أسباب الغزول - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي -
الطبعة الثانية دار الفكر بيروت - الناشر مكتبة الرياض الحديثه -
المكتبة المركزية بالجامعة .

حرف المصم

- (٦٣) محيط المحيط - المعلم بطرس البستاني - مطبعة بيروت سنة ١٢٨٦ هـ
١٨٧٠ م - مكتبة الحرم المكي .
- (٦٤) المواقيف بشرح الجرجاني - الطبعة الأولى - مطبعة السعادة .
المكتبة المركزية بالجامعة
- (٦٥) المعنى في أبواب التوحيد والعدل - القاضي ابي الحسن عبد الجبار
مطبعة دار المصرية للتأليف والترجمة - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٦٦) المحلى - علي بن احمد بن هزم - مطبعة بيروت . المكتبة المركزية
بالجامعة .
- (٦٧) المعجزة الخالدة - الدكتور حسن ضياء الدين عتر - الطبعة الاولى
سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - دار النصر - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٦٨) معجزات الأنبياء والعلم الحديث معها - محمد أحمد الفمراوى
(ملحق) بكتاب التوحيد - لجعفر الصادق - الطبعة الثانية
طبعه عن نسغة قديمه مطبوعة بتاريخ ١٣٢٩ هـ بدار السلام -
المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٦٩) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين - مصطفى صبرى - طبع
بدار احياء الكتب العربية - عيسى الباي الحلبي وشركاه - مكتبة
الحرم المكي .

- (٧٠) المفردات في غريب القرآن - الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني -
تحقيق محمد سيد كيلاني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر -
الطبعة الأخيرة سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م - مكتبة الحرم المكي .
- (٧١) محاسن التأويل - محمد جمال الدين القاسمي - الطبعة الاولى سنة
١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م - دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي -
مكتبة الحرم المكي .
- (٧٢) مقدمتان في علوم القرآن - مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية -
الناشر الاول للمخطوطه آرثر جفرى الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ -
١٩٧٢ م - الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة المكتبة المركزيه بالجامعة .
- (٧٣) المعجزة الكبرى " القرآن " - محمد ابوزهره - ملتزم الطبع والنشر .
دار الفكر العربي سنة ١٣٩٠ هـ - المكتبة المركزية بالجامعة .
- (٧٤) مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني -
دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه مكتبة
الخاصة .

حرف النسوان

- (٧٥) النبوات - تقى الدين أحمد بن تيميه الحراني - المطبعه
السلفيه - المكتبة المركزيه بالجامعة .

حرف الواو

(٧٦) الوحي المحمدي - محمد رشيد رضا - المكتب الاسلامي - طبع
دار الثقافة - المكتبة المركزية بالجامعة .

حرف الياء

(٧٧) اليواقيت والجواهر - عبد الوهاب الشمراني - الطبعة الاولى -
سنة ١٣٥١ هـ - المكتبة الخاصة بالجامعة ٧٨ - اليقينات الكونية -
محمد سعيد رمضان البوطي - طبعه ثانية دار الفكر للطباعة .
المكتبة المركزية بالجامعة .

~~~~~

فهرس الموضوعات

| <u>صفحة</u> |                                |
|-------------|--------------------------------|
| ١           | شكر وتقدير                     |
| ٢           | المقدمة                        |
| ٩           | مدخل لدراسة خوارق العادات      |
| ١٦          | معنى خوارق العادات             |
| ١٦          | معنى العادات في اللغة          |
| ١٧          | تعريفها في الاصطلاح            |
| ١٩          | اقسام العادات                  |
| ٢٠          | معنى خرق العادة في اللغة       |
| ٢١          | معنى خرق العادة في الاصطلاح    |
| ٢٢          | خوارق العادات عند الاشاعرة     |
| ٢٢          | خوارق العادات عند المعتزلة     |
| ٢٦          | رأى ابن تيمية في خوارق العادات |
| ٢٩          | الخلاصة في معنى خوارق العادات  |
| ٣١          | المعجزة                        |
| ٣١          | المعجزة في اللغة               |

|    |                                          |
|----|------------------------------------------|
| ٣٢ | المعجزة في الاصطلاح                      |
| ٣٢ | رأى الفلاسفة في المعجزة                  |
| ٣٩ | تعريف الاشاعرة للمعجزة                   |
| ٤٢ | تعريف المعتزلة للمعجزة                   |
| ٥٠ | رأى شيخ الاسلام ابن تيمية في المعجزة     |
| ٥٦ | خلاصة في تعريف المعجزة                   |
| ٥٦ | شروط المعجزة                             |
| ٥٨ | الكرامة                                  |
| ٥٨ | الكرامة في اللغة                         |
| ٥٩ | الكرامة في الاصطلاح                      |
| ٥٩ | ثبوت الكرامة                             |
| ٦٨ | حقيقة الكرامة                            |
| ٧١ | الفرق بين المعجزة والكرامة               |
| ٧٢ | منزلة الكرامقن المعجزة                   |
| ٧٤ | الفرق بين المعجزة والكرامة عند المتكلمين |
| ٨٤ | خلاصة الفروق الهامة بين المعجزة والكرامة |
| ٨٧ | السحر في اللغة                           |
| ٨٨ | السحر في الشرع                           |

صفحة

|     |                                               |
|-----|-----------------------------------------------|
| ٨٨  | ثبوت السحر بالأدلة الشرعية                    |
| ٩١  | حقيقة السحر وماهنيته                          |
| ٩٨  | اقسام السحر                                   |
| ١٠٠ | الفرق بين المعجزة والسحر                      |
| ١٠٧ | الاختراع في اللغة                             |
| ١٠٨ | تعريف المخترعات والفرق بين الاكتشاف والاختراع |
| ١١٠ | موقف المخترعات والمعلم الحديث من المعجزات     |
| ١١٤ | الفرق بين المعجزة والمخترعات العلمية          |
| ١٢٠ | معجزة صالح عليه السلام                        |
| ١٢٣ | دعوة صالح عليه السلام                         |
| ١٢٤ | اقتراح القوم للآية                            |
| ١٢٧ | خصائصها                                       |
| ١٣٠ | عرض المعجزة                                   |
| ١٣١ | رعايتها والوصاية بها                          |
| ١٣٢ | بيان حقوقها                                   |
| ١٣٤ | التحذير والوعيد في شأنها                      |
| ١٣٥ | عقرها ونهاية امرها                            |
| ١٣٦ | ماهية المعجزة وحقيقتها الذاتية                |
| ١٣٦ | وجه خرق المادة فيها                           |

صفحة

|     |                                                |
|-----|------------------------------------------------|
| ١٣٩ | معجزات موسى عليه السلام                        |
| ١٤٦ | معجزة العصا                                    |
| ١٤١ | مادة المعجزة قبل الاعجاز                       |
| ١٤٣ | خصائصها قبل ظهور الاعجاز فيها                  |
| ١٤٥ | خرق المادة وظهور الاعجاز                       |
| ١٤٧ | خصائص المعجزة بعد ظهور الاعجاز                 |
| ١٤٩ | حقيقة المعجزة بعد ظهور الاعجاز                 |
| ١٥٠ | موقف موسى عليه السلام من المعجزة               |
| ١٥٢ | سلب خصائص الاعجاز واعادتها الى ما دلتها الاولى |
| ١٥٤ | معجزة اليسد                                    |
| ١٥٥ | معنى الجيب والجنح                              |
| ١٥٨ | توجيه الامر الالهى لموسى عليه السلام           |
| ١٦١ | حقيقة المعجزة وماهيتها                         |
| ١٦٤ | وجه خرق المادة فيها                            |
| ١٦٦ | معجزات الرجز                                   |
| ١٦٦ | معجزة الطوفان                                  |
| ١٦٩ | معجزة الجراد                                   |
| ١٧١ | معجزة القمل                                    |



صفحة

|     |                                        |
|-----|----------------------------------------|
| ١٧٢ | معجزة الضفادع                          |
| ١٧٣ | معجزة الدم                             |
| ١٧٤ | وجه خرق المادة في معجزات الرجز         |
| ١٧٨ | معجزة الطور                            |
| ١٧٩ | معنى الطور                             |
| ١٨١ | حقيقة المعجزة وماهيتها                 |
| ١٨٢ | وجه خرق المادة فيها                    |
| ١٨٥ | معجزات عيسى عليه السلام                |
| ١٨٦ | المعجزات العامة                        |
| ١٨٨ | المعجزة الاولى خلق الطير               |
| ١٨٨ | معنى الخلق                             |
| ١٨٩ | دور عيسى في خلق الطير                  |
| ١٩١ | الحكمة في خلق الطير من الطين           |
| ١٩٣ | حقيقة المعجزة بعد ظهور الامجاز         |
| ١٩٤ | وجه خرق المادة فيها                    |
| ١٩٤ | المعجزة الثانية : ابراء الاكهم والابرم |
| ١٩٤ | القول في معنى الاكهم                   |
| ١٩٧ | معنى الابرم                            |

صفحة

|     |                                                 |
|-----|-------------------------------------------------|
| ١٩٨ | طريقة الاعجاز في هذه المعجزة                    |
| ١٩٩ | وجه خرق المادة في هذه المعجزة                   |
| ٢٠٠ | المعجزة الثالثة : احياء الموتى                  |
| ٢٠٠ | قضية الموت                                      |
| ٢٠١ | حقيقة المعجزة                                   |
| ٢٠٤ | وجه خرق المادة فيها                             |
| ٢٠٤ | المعجزة الرابعة : الاخبار بما يأكلون وما يدخرون |
| ٢٠٥ | اقوال المفسرين في هذه المعجزة                   |
| ٢٠٧ | حقيقة هذه المعجزة                               |
| ٢٠٨ | وجه خرق العادة                                  |
| ٢٠٩ | المعجزة الخاصة ( المائدة )                      |
| ٢١٠ | معنى المائدة                                    |
| ٢١٠ | ايمان الحواريين                                 |
| ٢١٣ | اسلوب الايات وعلاقته بايمان الحواريين           |
| ٢٢٠ | الاهداف المنشودة من طلب المائدة                 |
| ٢٢٣ | القول في نزول المائدة                           |
| ٢٣٠ | حقيقة هذه المعجزة                               |
| ٢٣٢ | وجه خرق العادة فيها                             |

صفحة

|     |                                                      |
|-----|------------------------------------------------------|
| ٢٣٤ | معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم العقلية والحسية |
| ٢٣٥ | المعجزة العقلية ( القرآن الكريم )                    |
| ٢٣٧ | تعريف القرآن الكريم                                  |
| ٢٣٧ | القرآن في اللغة                                      |
| ٢٣٨ | القرآن في الاصطلاح                                   |
| ٢٣٩ | ادلة ثبوت المعجزة القرآنية                           |
| ٢٤٩ | صفات المعجزة القرآنية وخصائصها                       |
| ٢٥٢ | الاعجاز القرآني                                      |
| ٢٥٢ | ثبوت الاعجاز في ذات القرآن                           |
| ٢٥٣ | وجوه الاعجاز                                         |
| ٢٥٦ | وجه خرق المادة في القرآن                             |
| ٢٥٨ | المعجزة الحسية ( انشقاق القمر )                      |
| ٢٦٠ | ثبوت المعجزة ووقوعها                                 |
| ٢٦٢ | هيئة المعجزة حال ظهور الاعجاز                        |
| ٢٦٤ | خرق المادة في المعجزة                                |
| ٢٦٤ | الاعتراض على وقوع المعجزة                            |
| ٢٧٣ | كرامات السيدة مريم رضی الله عنها                     |
| ٢٧٤ | الكرامة الاولى : وجود رزقها                          |

صفحة

|     |                                      |
|-----|--------------------------------------|
| ٢٧٤ | قبول مريم وتأهيلها لهذه الكرامة      |
| ٢٧٦ | كفالة زكريا للسيدة مريم عليها السلام |
| ٢٧٨ | المحزاب الذى وقعت فيه الكرامة        |
| ٢٧٩ | نوع الكرامة وماهيتها                 |
| ٢٨٢ | خرق المادة فى هذه الكرامة            |
| ٢٨٥ | الكرامة الثانية : ظهور حملها         |
| ٢٨٦ | بشارة الطلائكة لمريم                 |
| ٢٨٦ | القول فى مضمون البشارة               |
| ٢٨٩ | تعجب مريم مما تضمنته البشارة         |
| ٢٩٠ | مريم والروح                          |
| ٢٩٠ | تمثل الروح لمريم بشرا سويا           |
| ٢٩٢ | صفه مريم وطهارتها                    |
| ٢٩٣ | الحوار بين مريم والروح               |
| ٢٩٤ | وقوع الكرامة لمريم العذراء*          |
| ٢٩٤ | نفخ الروح                            |
| ٢٩٧ | ظهور الحمل                           |
| ٢٩٨ | وجه خرق العادة فى هذه الكرامة        |
| ٢٩٩ | لطائف التمييز فى آيات الكرامة        |